

الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد
دراسة بلاغية وأسلوبية

أطروحة تقدم بها

عدنان جاسم محمد الجميلي

إلى

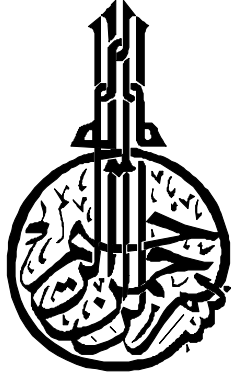
مجلس كلية التربية - ابن رشد - / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة
في اللغة العربية / أدب

بإشراف

الأستاذ الدكتور علي عبدالرزاق حمود السامرائي

2003 م

1424هـ



مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَالْكَافِرِينَ عَلَيْهِ الْكُفْرَانُ رَحِمًا
بَيْنَهُمْ رَبُّهُمْ رَحِيمًا سَجِدًا بَيْنَهُمْ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سَبِيحًا فِيهِمْ أَجْرٌ السُّجُودِ فَاتْلُ مَا أُوحِيَ فِي النُّورِ
وَمَا لَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ مِنْ زَكَاةٍ فَاسْلُكُوا فَا سَنُؤْتِي
عَلَى سَوْقَةٍ يُحْبِبُونَ الزَّرْعِ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفْرَانُ وَعَمَّا لِلَّهِ الْكَافِرِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

الْحَقُّ

الفتح: 29

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ ((الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد - ﷺ - دراسة بلاغية وأسلوبية)) لطالب الدكتوراه (عدنان جاسم محمد الجميلي) جرى تحت إشرافي في كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية - أدب .

التوقيع :

الأستاذ الدكتور علي عبد الرزاق السامرائي

المشرف

التاريخ : / / 2003

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيع :

الأستاذ المساعد الدكتور عبد الرحمن مطلق الجبوري

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / / 2003

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا قد اطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ ((الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد ﷺ - دراسة بلاغية وأسلوبية)) وقد ناقشنا الطالب (عدنان جاسم محمد الجميلي) في محتوياتها ، وفيما له تعلق بها ، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية - أدب ، بتقدير (جيد جداً)

التوقيع :

الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب

رئيس اللجنة

التوقيع :

الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد

عضواً

التوقيع :

الأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

عضواً

التوقيع :

الأستاذ الدكتور حسن يحيى الخفاجي

عضواً

التوقيع :

الأستاذ المساعد الدكتورة بشرى محمد طه البشير الأستاذ الدكتور علي عبد الرزاق السامرائي

عضواً

التوقيع :

(المشرف) عضواً

أقرت من مجلس كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد

التوقيع :

الأستاذ الدكتور عبد الأمير عبد دكسن

عميد كلية التربية - ابن رشد -

التاريخ / / 2003

الإهداء

إلى الذي بعثه الله في الأميين رسولاً ،
الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ .

إلى روعي عميَّ : أبي مهند وأبي
أحمد ، شهداء النبل الذين توقفت قلوبهم
عن النبض فآثروا الرحيل بصمت
تاركين ذكرهم الخالد دموعاً تتلألاً .

ممدنان

مفتتح

((إنكم أصحاب الغد ولا بد أن تحققوا وجودكم فتطلقوا إلى آفاق لم يستشرف لها جيلنا نحن أساتذتكم ، لأنكم إن وقفتم حيث انتهى بنا الشوط تعطلت الحياة لا تتقدم وإن تأخرتم عنا تخلفت الحياة ومرضت وتخونون أنفسكم إن رضيتم بأن تكونوا تكراراً لنا ، وتخونون حقنا إن قنعتم بأن تكونوا نسخاً مكررة منا وأقصى ما نطمح إليه هو أن تكونوا بعدنا (نحن وأنتم) وهذا وحده هو ما يؤنس خطواتنا إذا نسلمكم الأمانة الصعبة ونمضي...والله معكم))

الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)

من كتابها : مقدمة في المنهج ص 215

المحتويات

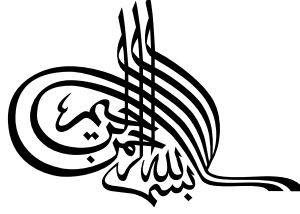
الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - ج
الفصل الأول : المستوى الصوتي	1 - 63
المبحث الأول : الحرف ودلالته الإيحائية	1 - 17
أنماط الإيحاء الصوتي	6 - 17
1- التنغيم	6 - 9
2- الجرس	10 - 13
3- الإيقاع	13 - 17
المبحث الثاني : التكرار	18 - 40
أولاً : مستويات التكرار	21 - 39
1- مستوى التكرار في الصوت المفرد	21 - 26
2- مستوى التكرار في الكلمة	27 - 36
3- مستوى تكرار العبارة	36 - 39
ثانياً - تتابع التكرار بين آية وأخرى	39 - 40
المبحث الثالث : الجناس	41 - 54
أولاً : الجناس التام	43 - 44
ثانياً : الجناس غير التام (الناقص)	44 - 50
* الملحق بالجناس	50 - 54
1- جناس الاشتقاق	50 - 54

الموضوع	الصفحة
2- الجنس المشابه	54 - 54
المبحث الرابع : الفاصلة القرآنية	63 - 55
الفصل الثاني : المستوى التركيبي	203 - 64
المبحث الأول : الخبر والإنشاء	93 - 64
أولاً : الخبر	69 - 65
* الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر	69 - 66
ثانياً : الإنشاء	93 - 69
* الأساليب الإنشائية	93 - 70
1- الأمر	74 - 70
2- النهي	78 - 74
3- الاستفهام	89 - 78
4- النداء	93 - 90
المبحث الثاني : بنية المفردة والجملة القرآنية	117 - 94
أولاً : الحروف والأدوات	99 - 94
ثانياً : بنية الجملة القرآنية	117 - 99
1- الجملة الأسمية	104 - 100
2- الجملة الفعلية	117 - 104
المبحث الثالث : النظم	203 - 118
أولاً : الخطاب القرآني للرسول محمد (ﷺ)	122 - 118

الموضوع	الصفحة
ثانياً : عوارض بناء الجملة بين البنية العميقة والبنية السطحية .	125 - 122
ثالثاً : العدول	127 - 125
* أساليب تميزت بالعدول	203 - 128
1- الالتفات	147 - 128
2- التقديم والتأخير	162 - 147
3- الحذف	181 - 163
4- الفصل والوصل	188 - 181
5- التعريف والتنكير	203 - 188
الفصل الثالث : المستوى الدلالي	303 - 204
المبحث الأول : بناء الجملة والسياق	214 - 204
أولاً : الف والنشر	209 - 204
ثانياً : الاجمال والتفصيل	214 - 209
المبحث الثاني : الصورة	221 - 215
المبحث الثالث : الدلالة التصويرية في صيغ البيان	303 - 222
أولاً : التشبيه	232 - 222
1- التشبيه البليغ	229 - 225
2- التشبيه التمثيلي	230 - 230
3- التشبيه المرسل	231 - 230

الموضوع	الصفحة
4- التشبيه المقلوب	232 - 232
ثانياً : المجاز	260 - 232
1- المجاز العقلي	247 - 234
2- المجاز المرسل	260 - 247
ثالثاً : الاستعارة	287 - 261
1- الاستعارة التصريحية	273 - 266
2- الاستعارة المكنية	280 - 273
3- الاستعارة التمثيلية	284 - 280
4- الاستعارة في الحروف	287 - 284
رابعاً : الكناية	303 - 287
1- كناية عن صفة	300 - 288
2- كناية عن موصوف	303 - 300
3- كناية عن نسبة	303 - 303
نتائج البحث	306 - 304
المصادر والمراجع	338 - 307
ملخص الأطروحة باللغة الانجليزية	1 - 2

القصة



المقدمة

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأشرف رسله محمد بن عبد الله - ﷺ - وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن والاه.

أما بعد ؛

فقد كان القرآن الكريم وما زال نبعاً صافياً يَرِدُه الدارسون بشغف لإظهار سمات إعجازه وبلاغته ويقيناً أن الإسهام في هذا المضمار المقدس شرف ومسؤولية. ورغبة طموح وأمل طالما راودني لأكون ممن ينال هذا الشرف الرفيع فوق اختياره على موضوع: "الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد - ﷺ - دراسة بلاغية وأسلوبية " .

لقد مثل الرسول محمد - ﷺ - قمة عليا على مدار عجلة التحضر للبشرية، فأكبر العلماء والدارسون على فهم شخصيته وتحليلها، ومن مختلف الحضارات ، والأقوام سواء أكانوا عرباً مسلمين أو غربيين مستشرقين، وقد أثرت هذه الشخصية الخالدة في بني البشر فراح قسم منهم يدرس أخلاقه، وذهب الآخر يتطرق لورعه، وعدالته، ونفسيته وعالمية رسالته إلى الإنسانية جمعاء .

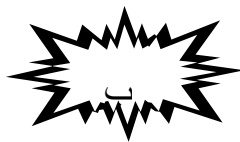
وتأسيساً على ذلك فالذي لا يخالجننا فيه شك أن الآيات المتعلقة بالرسول - ﷺ - قد تصدت لها دراسات علمية وبحوث جامعية كانت قريبة من عنوان بحثنا مختلفة جذرياً في مناهجها عن المنهج الذي طبقناه وهذه الدراسات هي : دراسة حسن كامل الملطاي الموسومة ((رسول الله في القرآن الكريم)) والصادرة سنة 1972م، ودراسة الدكتور محمود بن الشريف الموسومة بـ((



الرسول في القرآن)) الصادرة سنة 1981م، ودراسة الشيخ جلال الحنفي وعنوانها ((شخصية الرسول الأعظم قرآناً)) والصادرة سنة 1997م ، فضلاً عن أطروحة الباحث أحمد محمد السروان ((الآيات القرآنية المتعلقة بشخصية الرسول ﷺ -)) وهي أطروحة دكتوراه في كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد / 1998م، وكذلك دراسة شهيد راضي حسين الموسومة بـ((الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ -)) وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب جامعة البصرة / 2001م.

وقد تناولت هذه الدراسات الجانبين الوصفي والموضوعي للآيات من غير التطرق للسمات البلاغية والأسلوبية فيها، فأختلفت في مناهجها وطريقة معالجتها لهذه الآيات عن المنهج والطريقة التي تعاملت بها، والرؤية الأسلوبية التي أوضحتها في هذا البحث، فكما هو معلوم أن المنهج الأسلوبي يعتمد على نقد الأدب باعتماد اللغة عن طريق تحليل الملامح الجمالية المنبثقة في النص الأدبي عبر طريقة علمية موضوعية تتجرد عن إطلاق الأحكام جزافاً بالجودة أو الرداءة، إن غاية الأسلوبية تكمن في الوقوف عند المنبهات التي يشتملها النص الأدبي وذلك بتعرف القيم الجمالية المنبثقة منه بدراسة الجانب الفني للأسلوب عبر استجلاء هذه السمات من الداخل، لأن الإبداع ينأى عن الخضوع لأي قانون خارجي. ولهذا كانت الأسلوبية بوصفها منهجاً نقدياً من انجع المناهج القادرة على دراسة أسلوب المتكلم أو الباحث عن طريق دراسة العناصر التي يلجأ إليها فاضاً على المخاطب أو المتلقي طريقة تفكيره، وعلى هذا الأساس يكون الأسلوب هو الاختيار الواعي لأدوات التعبير التي تميزه من غيره، أي دراسة التعبير اللغوي وتحليل عناصره وأدواته عن طريق الكشف عن منابع التأثير والتميز والجمال، مانحة المتلقي أو القارئ القدرة على تدبر وتذوق خصائص الأثر الأدبي وتجرده في الوقت نفسه عن الأحكام الذاتية الوصفية. وعليه حاولت أن اعتمد هذا المنهج في دراسة هذه الآيات وإبراز سمات التفرد والتميز الفني الذي اشتمل عليه النص القرآني من غير أن أعطي أحكاماً معينة.

وقد اكتتفت هذه الرحلة مصاعب جمة وضغوط متعددة من أهمها سعة الموضوع وجدته؛ إذ بلغت الآيات التي تناولتها بحسب الكم (1246) آية فضلاً عن تشظي الآراء في المظان بشكل كبير ومكثف، كما أن الآيات مختلف في تعلقها بالرسول الكريم ﷺ - ما بين المفسرين ، فحاولت اعتماد الآراء الراجحة وانتقاءها التي اتفق عليها في اختصاص هذه الآيات بالرسول ﷺ - وقد انتظمت الدراسة على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة .



فالفصل الأول دار الحديث فيه حول (المستوى الصوتي) فضم أربعة مباحث، تكفل المبحث الأول بالحديث عن الحرف ودلالاته الإيحائية وكذلك أنماط الإيحاء وتتمثل في التنعيم والجرس والإيقاع.

وانعقد المبحث الثاني في الحديث عن التكرار ليحاول المبحث الثالث التطرق لموضوع الجنس، في حين أقيت نظرة متأنية في الرابع على الفاصلة القرآنية .

وتأسس الفصل الثاني وهو (المستوى التركيبي) على ثلاثة مباحث، عرض الأول للحديث عن الأساليب الخبرية والإنشائية متوقعين عند أبرز هذه الأساليب وطبيعة خروجها عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية، ووقف المبحث الثاني على الحديث عن بنية المفردة والجملة القرآنية، فعرض لموضوع الحروف والأدوات وصولاً إلى بنية الجملة الاسمية والفعلية.

واستجلى المبحث الثالث حديثه عن النظم مفصلاً القول في مواضيع الخطاب القرآني للرسول محمد ﷺ - وعوارض بناء الجملة بين البنية العميقة والبنية السطحية، والعدول واستشراف الأساليب المتضمنة للعدول ومنها الالتفات، والتقديم والتأخير، والحذف، والفصل والوصل، والتعريف والتذكير .

ثم جاء الفصل الثالث الخاص (بالمستوى الدلالي) فنراه يتأسس على ثلاثة مباحث حاول الأول الحديث عن بناء الجملة والسياق عارضين لأساليب اللف والنشر، وكذلك الإجمال والتفصيل، ليتحدث المبحث الثاني عن موضوع الصورة وأبرز ملامحها في النصوص القرآنية ليحيط المبحث الثالث عصا الترحال عند دلالة التصوير في صيغ البيان، وهي التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، ثم تلا ذلك إيراد أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وهي وجهات نظر يمكن أن تفتح آفاقاً رحبة لأفكار ورؤى جديدة.

وبعد؛ فإن بدرت مني زلة أو عثرة فأني أطمع من الباري - عَزَّوَجَلَّ - غفرانها لي وأعلن توبتي عنها وتراجعي عن كل ما يقدر كتابه الشريف الخالد، وحسبي في كل ذلك إخلاص النية وسلامة القصد لأنني طالب علم وعملي جهد بشر مجبول على النقص، راجياً أن ينال هذا السفر اليسير الرضا والقبول عنده - سبحانه - فيجعله في ميزان عبده الضعيف، وأن يكون أجراً وثواباً أدخره ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

عدنان جاسم محمد الجميلي

بغداد في 25 جمادى الأولى 1424هـ الموافق 24 / 7 / 2003م



الفصل الأول

المستوى الصوتي

المبحث الأول

الحرف ودلالته الإيحائية

للصوت أهمية بارزة في بناء المفردة والجملة فدونه لا يتم الكمال المرجو ولا يمكن أن تستقيم بالشكل الأمثل ، وقد قال الجاحظ: ان "امر الصوت عجيب، وتصرفه في الوجوه عجب ، ... وقد بكى ماسرجويه (*) من قراءة أبي الخوخ فقل له كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا " (1) . ويعرف ابن الأثير الصوت بأنه " عرض يخرج مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له ، في الحلق والفم والشفيتين ، مقاطع ، تننيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. ثم تبلغ أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها " (2) . ومن أخص ما يستوجب النظر فيه " أن العرب في القرن الثاني للهجرة أدركوا من علم الأصوات (الفونتيك) phonetique وما يسمى بعلم وظائف الأصوات (الفنولوجيا) phonologie الكثير مما يدخل في ملاك هذا الاختصاص في عصرنا هذا . إن ضبط مخارج الأصوات ومعرفة أحيائها ووصف صفاتها ليعد فتحاً في العلم أدركه الخليل بن أحمد ثم خلف من بعده نفر أو ضموا وزادوا" (3) ونجد تعريف الصوت عند المحدثين بأنه " البناء الموسيقي للألفاظ" (4) فضلاً عن ذلك فالاستكشاف الدقيق والنفوذ العميق الى خفايا الأصوات وأغراضها يمكن له أن يلاحظ بأن "الأصوات التي تتجاوز مخارجها تثقل لما تتطلبه من جهد عضلي " (5) وهكذا ينبني الصوت بناء منسجماً متناغماً مع أصوات أخرى ليتم

(*) ماسرجويه : " طبيب بصري يهودي ، وكان أحد المترجمين من السريانية الى العربية وهو الذي فسر كناش القس أهرن بن أعين، وزاد عليه مقالتين " ، هامش كتاب : الحيوان / الجاحظ / تحقيق عبد السلام محمد هارون 192/4 .

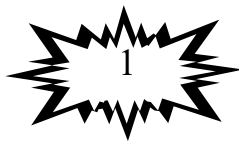
(1) كتاب الحيوان : 191/4 - 192 .

(2) الجامع الكبير / 35 .

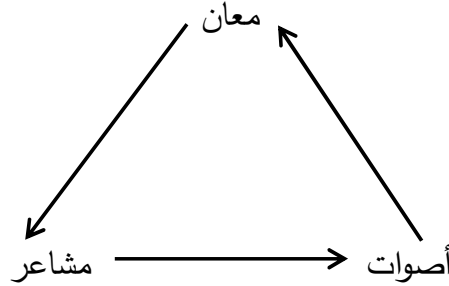
(3) من وحي القرآن / إبراهيم السامرائي / 171 .

(4) البناء اللفظي في لزوميات المعري / مصطفى السعدني / 17 .

(5) نفسه / 95 .



التواشج بينها وتؤلف مقاطع صوتية والمقاطع في "اللغة العربية إما قصيرة وإما طويلة وإما زائدة الطول ، ولما كانت الكلمات تتكون من مقاطع متتابعة ، وكان لكل مقطع سماته الصوتية المتميزة كان ترتيب هذه المقاطع في الكلمات وتواليها على نسق معين ذا أثر كبير في إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية تتناسب والافكار التي تعبر عنها وتصورها فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة ، ومن هنا كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لوناً من التعبير لتأديبه المقاطع المفتوحة والعكس صحيح " (1) ثمة إذن مقاطع صوتية تتأسس على أصوات مفردة ويبدو " اننا لانتذوق الهندسة الإيقاعية الحقة الا إذا حصلنا على تلاؤم بين المكونات الثلاثة التي تشكل الرؤوس الثلاثة للمثلث



وإذا ما اعتمدنا على هذه الترسيمية التي تمثل نوعاً ما (دورة مقفلة) نستطيع القول إن الأصوات في نظام اللغة الفنولوجي لاقية رمزية لها، بينما هي تثير بعض مشاعر القارئ أو المستمع في فعل كلام مجدد ، مكتوب أو شفهي، بالاتفاق مع المعنى " (2) . ولعل الذي يهمننا أكثر من غيره هنا هو أن التحليل الصوتي يستند إلى " إدراك الخصائص الصوتية في اللغة العادية ثم ينتقل من ذلك الى تلك التي تتحرف عن النمط العادي لاستخلاص سماتها التي تؤثر بشكل واضح في الأسلوب، ذلك أن الصوت والنطق يمكن أن يكونا ذوي * طبيعة انفعالية" (3) فالجملة القرآنية دقيقة في أصواتها ومفرداتها

(1) دراسات قرآنية في جزء عمّ / محمود أحمد نحلة / 109.

(2) دليل الدراسات الأسلوبية / جوزيف ميشال شريم / 110 ، وينظر: النظم القرآني في تفسير القرطبي دراسة أسلوبية / السيد عبدالسميع حسونة / مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ دبي/ ع21 / 1422 هـ - 2001 م ، ص59.

* في المطبوع (يكون ذات) والصواب ما أثبتته .

(3) البلاغة والأسلوبية / محمد عبد المطلب / 145.

ومليئة بالإيحاء؛ لأنك " لاتحس فيها بكلمة تضيق بمكانها او تتبو عن موضعها أو لاتعيش مع اخواتها ، حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة أو أن تستغني عن لفظ أو أن تزيد فيها شيئاً ، وصار قصارى أمرك إذا أردت معارضة جملة من القرآن أن ترجع بعد طول المطاف إليها كأنما لم يخلق اليه لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ ، وكأنما ضاقت اللغة فلم تجد فيها وهي بحر خضم لتؤدي به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء " (1) ومن هنا يتضح لنا سر جمال التعبير القرآني فألفاظه "لاتعدو أن تكون محسنات سطحية لاتتصل بجوهر البلاغة وليس من الخطأ في الدين ولافي البلاغة أن نقول إنَّ القرآن يهتم بالناحية اللفظية . لأنها جزء من أسلوبه ولأنها من دواعي التأثير وتلك وظيفة القرآن الكبرى ، فالغرض منه أولاً هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير فمن الحتم أن يأخذ كل سبيل الى هذه الغاية" (2). وهكذا رأينا كيف " تتخذ اللغة القرآنية أحياناً من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية ، وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد ، وإنك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع وإعجاز معجز فالصوت المفرد يختار بعناية وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك ، وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدل على المعنى وأكثر تصويراً له " (3) ويمكن أن نتمثل ببعض النماذج من ذلك قوله تعالى ﴿... فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ...﴾ (4) فقد وصف ابن الاثير هذه اللفظة بأنها حسنة رائقة تتألف من تسعة أحرف (5) .

(1) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي / 105، وينظر: الإعجاز الفني في القرآن / عمر السلامي / 73 .

(2) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد حسين أبو موسى / 369 ، وينظر : البناء الصوتي في البيان القرآني ، محمد حسن شرشر / 87.

(3) دراسات قرآنية في جزء عم / 98-99.

(4) البقرة / 137.

(5) ينظر: المثل السائر 265/1.

وقد علق الدكتور محمد عبد المطلب على رأي ابن الأثير المذكور آنفاً فقال "ويقدم ابن الأثير رأياً جيداً في هذه المسألة ... حيث رفض التحكم بالقيمة على اللفظة لكثرة حروفها واستدل على ذلك بما ورد في الكتاب الكريم من كلمات طالت حروفها ومع ذلك فهي حسنة رائعة ... فالحكم النهائي لا يرجع الى الطول والقصر وانما إلى نظم الحروف بعضها مع بعض " (1) .

وقد تصدى الألوسي لهذه اللفظة ولفت نظره صوت السين ودلالته فقال " إنَّ السين في المشهور لاتدل على أكثر من التنفيس عقب ذكر ما يؤدي الى الجدل والقتال والمراد سيكفيك كيدهم وشقاقهم " (2) ونرى اللفظة قد استهوت الرافعي فتمثل بها وعلق عليها قائلاً : "كلمة من تسعة احرف وهي ثلاثة مقاطع ، وقد تكررت فيها الياء والكاف وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها " (3) فاللفظة على الرغم من طولها بسبب تكونها من ثلاثة مقاطع إلا أنها " حسنة سلسلة سهلة " (4) وهكذا وجدنا أنَّ الأصوات قد أمّدت هذه اللفظة بخصوصية يتجلى فيها سمة أسلوبية واضحة. ومن الآيات التي حملت في طياتها ألفاظاً ذات إحياء معين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ ... ﴾ (5) فنرى التعبير يؤسس دعامته على لفظة (تَثَقَّفَتْهُمْ) يستكشف المتأمل لقرائتها ان طول اللفظة لم يمنع التعبير أن يكون عذباً موحياً من خلال اخراج " معنى التلاقي الذي يكون بين المسلمين واعدائهم في صورة من ظل يتربص بشيء حتى ظفر به ووقع عليه ، وعبر عن ذلك بقوله (تَثَقَّفَتْهُمْ) بمجموع ماتحمله هذه الكلمة من الدلالة ومن الصياغة اللفظية ومن تناسق السكنات والحركات والتشديد البارز بينها " (6) فالحدس الشخصي يرشدنا الى أن الصوت عمل على إبراز المعنى، فكان

(1) البلاغة العربية قراءة أخرى / 46 .

(2) روح المعاني 397/1.

(3) تاريخ آداب العرب 229/2، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / 229، فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب ، فتحي عبدالقادر فريد / 32-33.

(4) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم ، كريم مزعل محمد (رسالة ماجستير) / 86.

(5) الأنفال / 57.

(6) مباحث في إعجاز القرآن ، أحمد جمال العمري / 181.

انعكاساً له ، وقد لا يعترينا الشك أو التردد عندما نعلم أن عبد القاهر الجرجاني أكد مراراً على أن فضيلة الصوت لا تكون إلا (بنصرة المعنى) ⁽¹⁾ . فجاءت لفظة (تثقفنهم) لتعبر عن المعنى بتكثيف صوتي حمل معه شحنة أسلوبية مهمة في التعبير عن السياق الذي وردت فيه الآية . وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ⁽²⁾ ، ويمكن ان نلاحظ ان اختيار كلمة (مكلبين) قد جاءت لتوضح أبعاداً دلالية أخرى يضيفها السياق ، فالجاحظ يرى أنها تطلق لكل صائد ، وجارح كاسب من باز ، وصقر ، وعقاب ، وفهد وشاهين وزرق ويؤيؤ وباشق وعناق الأرض من اسم الكلب ⁽³⁾ ، فهذه الكلمة كما يراها الجاحظ تعبر عن معان كثيرة ولهذا اللفظ أكثر من شحنة أسلوبية تحمل تكثيفاً صوتياً ذو قيم أسلوبية مهمة ⁽⁴⁾ . فجاء " هذا اللفظ حاملاً المعنى الذي جرى عليه نظمه في نغم موسيقي ووزن خاص له أثره في نفوس متقلبه ، فقد أوجز كثيراً من المعاني في هذا اللفظ فارتفعت درجة بلاغته حتى وصلت حد الإعجاز " ⁽⁵⁾ فكلمة (مكلبين) قد منحت النص الكريم فضاء رحباً تنهض البنية العامة للآية على الافصاح عن مكنونات المعنى فتعدد الدلالة للفظه منح المتلقي الحرية لإختيار الاحتمال المقصود من هذا النص ، وليجعل القارئ في تواصل دائم لمعرفة الاختيار الذي أراده الباري - ﷻ - لعباده .

وقال تعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ ⁽⁶⁾ فيطالعنا التعبير الكريم بلفظة (عزمت) و (العزم) " عقد القلب على امضاء الأمر " ⁽⁷⁾ فيظهر " للميم دور آخر يوحى

(1) ينظر : كتاب أسرار البلاغة / 8 .

(2) المائدة / 4 .

(3) ينظر : كتاب الحيوان 187/2 - 188 .

(4) ينظر : الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، عواطف كنوش مصطفى (أطروحة دكتوراه) / 56 .

(5) نفسه ، الصحيفة نفسها .

(6) آل عمران / 159 .

(7) المفردات ، الراغب الأصفهاني / 499 .



به وإنه إن كان قريباً مما سبقه إلا أن الاستخدام الصوتي هنا يدل على العزم..... فتجلى دور (الميم) في إبراز التوكيد وتحفيز المتردد على المضي قدماً في الأمر متوكلاً على إرادة الله" (1). فالميم داخل اللفظة قد أدى قيمة أسلوبية واضحة ، وقد كان اختياره بدلاً من الأصوات الأخرى لغرض يتطلبه سياق الآية ، ومن أجل أن تكون له دلالاته الإيحائية في تأكيد المعنى. فالتنوع الذي ظهر في النص القرآني من خلال إختيار أصوات معينة داخل الكلمات لم يأت من فراغ ، وإنما جاء لغايات مقصودة لا يمكن أن تظهر من غير أن نتعرف على سياق كل آية . وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (2). فقد تساءل الزمخشري عن السر البياني في إختيار لفظة (جميلاً) وأجاب عنها قائلاً : " فإن قلت : بم يتعلق قوله (فاصبر)؟ قلت : سأل سائل ، لأن استعمال النصر بالعذاب ، إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله - ﷺ - والتكذيب بالوحي ، وكان ذلك مما يضجر رسول الله - ﷺ - ، فأمر بالصبر عليه " (3) فساهمت هذه اللفظة في التعبير عن هذا الوصف الدقيق المتناهي "لأنَّ في الجمال اهتماماً واعتناء ورعاية ، فكذاك الصبر الذي يأمر به الله نبيه بالالتزام به " (4) .

✽ أنماط الإيحاء الصوتي

1- التنغيم: للتنغيم أثر واضح في تحديد جمال اللفظة الموسيقي وعذوبتها لما له من أثر في مدها بالإيحاء المنبعث من أصواتها ، ويحمل في الوقت نفسه دلالات وظيفية متعددة . والتنغيم " هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (= الصعود) والانخفاض (= الهبوط) في (درجة) (الجهر) في الكلام وهذا التغيير في (الدرجة) يرجع الى التغير في نسبةذبذبة الوترين الصوتيين هذه الذبذبة التي تحدث (نغمة) موسيقية ، ولذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام يدل على (لحن) الكلام " (5) وقد تحدث

(1) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم /41.

(2) المعارج /5.

(3) الكشف 157/4 ، وينظر مستويات النظم في التركيب القرآني ، عبدالواحد زيارة اسكندر (أطروحة دكتوراه)/61.

(4) الإعجاز الفني في القرآن /82.

(5) علم اللغة ، محمود السعران / 210.

العلماء العرب عن التنغيم ويطالعنا رأي ابن جني عندما يقول عن التنغيم " وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتخيم والتعظيم" (1) ، ويمكن لنا أن نعرف التنغيم على ضوء ماسبق بأنه : تمكن الصوت بكلمة مع رقة او تخيم لإرادة معنى التعظيم أو الاستخفاف أو التعجب أو الاستفهام مع قرينة صوتية. فلا بد من وجود التناسق والانسجام بين الأصوات لكي يتحقق غرض التنغيم في الكلام. ومن الآيات التي اشتملت على التنغيم قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (2) ، فالآية الكريمة يهيم عليها التنغيم بفضل أسلوب رد العجز على الصدر في قوله (استهزئ - يستهزون) (3) . وعن لفظة استهزئ قال الراغب الأصفهاني : " والاستهزاء : ارتياد الهزوء ، وإن كان قد يعبر به عن تعاطي الهزؤ كالاستجابة في كونها ارتياداً للاستجابة وإن كان قد يجري مجرى الإجابة" (4) .

فإعادة اللفظ مرة ثانية أضفى بعداً نغمياً على النص مليئاً بالإيحاء ، ومن الآيات التي اشتملت على التنغيم بفضل أسلوب رد العجز على الصدر قوله تعالى ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (5) وقوله تعالى ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (6) فالتنغيم في الآيات جاء من اعادة اللفظ (7) .

فنرى فصاحة القرآن الكريم وإعجازه في الإطار الصوتي بفضل التنغيم الذي أضاف حلاوة سمعية الى المتلقي تجعل منه قمة في الأداء الصوتي التعبيري. ولأن الوظيفة الدلالية للتنغيم تكمن في الكشف عن المعنى من خلال الأهمية الكبيرة التي يؤديها في الإفصاح عنه (8) .

(1) الخصائص 372/2-373.

(2) الأنعام /10.

(3) ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني / 94.

(4) المفردات /790.

(5) الإسراء / 21.

(6) الأحزاب/37.

(7) ينظر : البناء الصوتي في البيان القرآني / 94.

(8) ينظر : الدلالة الصوتية في القرآن الكريم / 180.



فنحن نرى قوله تعالى ، وقوله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ (1) وقوله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (2) ، ويتخذ عبر الآيات الكريمة المذكورة أنفأ مظاهر أسلوبية خاصة في مجيء التنغيم عن طريق الكشف عن المعنى ، وذلك في خروج الاستفهام للتقرير (3) .
فالتنغيم أمد هذه الآيات بإيحاء جمالي عن طريق استكشاف المعنى وإبراز تجلياته .
ومن الآيات التي اشتملت على سمة التنغيم قوله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا ... ﴾ (4) .

فنرى بجلاء ماحملته لفظتا (أشداء) و (رحماء) ، وقد وردتا بصيغة (فعلاء) من دقة في الوصف والإحساس النفسي القوي الذي يميز صحابة الرسول محمد - ﷺ - في علاقتهم فيما بينهم فالتنغيم جاء من قوة الجرس في اللفظتين وصلابة في معناها فهي قد نقلت صور حسية لهؤلاء الصحابة في تراحمهم بعضهم البعض وتماسكهم وتوحدهم أزاء الأعداء بالشدة والقوة (5) . وهكذا وردت اللفظتان لتعبر عن عظمة هؤلاء الصحابة وهم يجمعون بين القوة والويل والتكامل بأعدائهم ، وكذلك المحبة والرحمة والتوadd للرسول - ﷺ - ولأخوانهم (6) . فالآية الكريمة في تنغيمها وموسيقاها لم تنزل عن سمتها

(1) الضحى/6.

(2) الانشراح/1 .

(3) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم /180.

(4) الفتح/29.

(5) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن / 79.

(6) ينظر: فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب/ 82.

ومستواها الأعلى ⁽¹⁾ . الذي أمدّها بصور الإيحاء والحركة. فضلاً عن ذلك فقد حوت الآية أيضاً على لفظة (يبتغون) وقد زادت من سمة التنغيم في النص، والابتغاء كما يرى الراغب الأصفهاني: "فقد خص بالاجتهاد في الطلب - فمتى كان الطلب لشيء محمود ، فالابتغاء فيه محمود" ⁽²⁾ فنرى أنّ لفظة (يبتغون) منتقاة بعناية كبيرة لنقل حقيقة روح الرسول ونفسيته - ﷺ - وكذلك أصحابه، فاختيار (يبتغون) بدلاً من (يبغون) أو (يريدون) أو (يرجعون) أو أية لفظة أخرى لتعبر وتعرض عن نفس بسيطة مدنية ومتواضعة لربما خاضعة لعظمته بإيحاء جميل لاتؤديه لفظة بديلة عنها ⁽³⁾ . فالتنغيم يتأسس من العلاقة بين الدال والمدلول والإيحاء المنبعث من اللفظة ليؤدي المعنى المراد. وقريب من هذه اللفظة نجد كلمة (تبتغي) وهي تشترك مع اللفظة السابقة وقد وردت في القرآن الكريم بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⁽⁴⁾ فنلمس التنغيم في قوله (تبتغي) والظاهر من معنى الكلمة أن الصيغة التنغيمية لهذه الآية جاءت لمعنى مقصود والتقدير (أتبتغي مرضات أزواجك) ⁽⁵⁾ . فالتعبير القرآني حذف أداة الاستفهام ليبرز قيمة أسلوبية بفضل التنغيم الذي اشتملت عليه الآية وليزيد من حلاوة النص ويجعله أكثر عذوبة. وجملة القول يمكن لنا معرفة مدى اهتمام القرآن الكريم بنغمة الكلمة وتناغمها مع غيرها داخل سياق الآية فتنبعث في أثناء تلاوته وقراءته موسيقى توحى بعذوبة كلماته التي عملت على خشوع القلب والنفس حتى لو كانت في قمة القساوة، ولذلك نرى أن كثيراً ممن أسلموا قد تأثروا بسماع ترتيل القرآن ومدى وقعه في نفوسهم، فضرب مثلاً " فتحت الامصار بالسيوف ، وفتحت المدينة بالقرآن" ⁽⁶⁾ .

(1) ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني / 63.

(2) المفردات/72.

(3) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن /78.

(4) التحريم /1.

(5) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم /182.

(6) بيان إعجاز القرآن ، الخطابي / 65.

2- الجرس : يعرف الجرس بأنه "قيمة جوهريّة في الألفاظ ، وبنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه إلى السامع باتساق اللفظة، وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي" ⁽¹⁾ ، ومن الآيات التي اشتملت على جرس واضح قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَأُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ ... ﴾ ⁽²⁾ فالجرس في التعبير الكريم قد بدا واضحا في التضعيف المتتابع للأفعال (يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع ايديهم) كذلك بناء هذه الأفعال للمجهول ، وذلك للمبالغة في شدة التقتيل والتصليب وتقطيع أجزاءهم ليلاقوا الجزاء من الله نكالا بهم على ما اقترفوه من ذنب ومعصية ⁽³⁾ . فالجرس الذي أشاعه التضعيف في هذه الأفعال أعطى الإيحاء للتعبير وأمدّه الى أقصاه بطاقات صوتية واضحة. وقال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ ⁽⁴⁾ فالناظر الى لفظة (ينسفها) وقد أنبعث جرسها متدفقا ليؤسس حضوراً واضحاً في سياق الآية والنسف : من نسف الرياح للشيء إذا أقتلته وأزالته ففرقه وتذريه تذرية ⁽⁵⁾ . فنرى ان دلالة النسف تحمل جرساً خاصاً فضلاً عن الحركة السريعة التي تضع اللسان في اثناء النطق يحدث صفيراً يكتنفه التقاهة وإذا نسفت الجبال ظهرت الارض قاعاً ⁽⁶⁾ .

وقال تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ... ﴾ ⁽⁷⁾ فنلمس بجلاء الجرس المنبعث من الآية في قوله (واصطبر) التي نهضت على أساس صوت (الطاء) الذي يساعد على تجسيم الجهد الذي يتم في اثناء اقامة الصلاة ومدى تحمل المؤمن للمشقة

(1) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال / 13.

(2) المائدة/33.

(3) ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية ، عهود عبد الواحد (أطروحة دكتوراه) / - 115- 116.

(4) طه / 105.

(5) ينظر: معاني القرآن ، الفراء 191/2، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس 419/5، المفردات / 747 ، ومن المفسرين الذين ذهبوا الى المعنى نفسه: ينظر: الكشف 553/2 ، التفسير الكبير ، الرازي 117/22 ، التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور 307/16 .

(6) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن / 137.

(7) طه /132.

وهو في تنفيذه للأمر الإلهي بوجوب المداومة عليها كما نفذها الرسول الكريم - ﷺ - (1) .
فالشدة التي حوتها لفظة (اصطبر) عند النطق وجرسها البديع الذي تضمنته، كانت تعبير
عن الدلالة التي تروم التعبير عنها ، وهي المشقة والشدة التي يلقاها المسلم عند أداء
الصلاة في بعض الاحيان. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا
رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (2) فهذا التناغم بين المعنى والمبنى الذي
ظهر في النص الكريم أسس حضوره بلفظة (لَوَّوْا) وهي تحمل جرساً متفرداً، ولوى برأسه :
أماله (3) . وقد وردت بصيغة الفعل الماضي لترسم لنا صورة لحركة رؤوس هؤلاء المنافقين
، فنلاحظ هذا التشديد الذي ظهر على الواو مع تكرارها قد أوحى بهذا الالتواء والامتناع
عن ذهابهم الى الرسول الكريم - ﷺ - (4) . فالالتواء حركة حسية أبرزها جرس اللفظة
لتعبر عن شعور معنوي انتاب المنافقين فجاء الدال ليرسم حالة المدلول ويظهر بتكثيف
صوتي مكانم الثراء في النص الكريم.

وقال تعالى ﴿ يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (5) فالتعبير الكريم يعمد إلى ألفاظ
(الأعز) و(العزة) وهي تشي بجرسها العذب على معنى القوة والغلبة، وقد جاءت العزة في
اللغة للدلالة على " حالة مانعة للإنسان من أن يغلب ، من قولهم ارض عزاز - أي
صلبة" (6) . وهكذا يبنني النص بناءً منسجماً متناغماً يتجلى في "إجتماع الزاي الصفيية
مع العين الحلقية الناصعة فيرد اللفظ من خلال السياق التعبيري شيقاً سلساً دالاً دلالة
واضحة على معانٍ مرجوة" (7) فالآية الكريمة حوت زيادة على هذه الألفاظ ألفاظاً مضعفة

(1) ينظر: البرهان ، الزركشي 38/3 ، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، أحمد
ياسوف / 249-250.

(2) المنافقون / 5.

(3) ينظر : معجم مقاييس اللغة 218/5 ، المفردات/690.

(4) ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية /112.

(5) المنافقون/ 8.

(6) المفردات / 498.

(7) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم / 70.

هي : ليخرجن ، الأذل ، وكذلك المؤكدات اللام ونون التوكيد الثقيلة، فضلاً عن حرف الاستدراك (لكن) لترسم لنا حدة الموقف في اظهار الغلبة والقوة الالهية للباري - ﷻ - (1) . وقال تعالى : ﴿ وَاثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (2) .

فالجرس ظهر في لفظة (أنسلخ) والسلم " نزع جلد الحيوان " (3) فحملت لنا لفظة " (انسلم) لترسم الصورة العنيفة للتملص من هذه الآيات ولم يقل (خرج) أو (أعرض)؛ لأن الانسلاخ حركة حسية قوية " (4) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ ... ﴾ (5) ، فالمنعم النظر في التعبير يدرك بوضوح لفظة (ليزلقونك) وشدة جرسها وقوته، وتعني في اللغة " تزلج الشيء عن مقامه من ذلك الزلق " (6) والمزلق : هو المكان الدحض (7) . وهذه اللفظة توحى من خلال تصويرها لكفار قريش ونظراتهم الحادة بالبغض والعداوة لشخص الرسول - ﷺ - فهي نظرات انتقام وحقد ليزلقوا قدمه أو يهلكوه فجاءت لفظة (يزلقونك) لتعبر من خلال جرسها وإيقاعها ونطق حروفها التي تخلق حركة غير منتظمة في اللسان تبدأ بانزلاق اللسان وتنتهي بتعلقها بوسط الفم من الأعلى هذه العملية المعقدة عند نطق الكلمة تعبير عن الحدة الخارقة التي ينظر فيها هؤلاء القوم الى الرسول الكريم - ﷺ - (8) . فالجرس الذي تضمنته هذه الكلمة هو سمة أسلوبية في اختيار هذه اللفظة بدلاً من غيرها ، وليكون العدول اليها تفرداً أسلوبياً لا يمكن لأية لفظة بديلة أن تؤدي الدلالة المرجوة في هذا النص.

(1) ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية / 115.

(2) الأعراف / 175.

(3) المفردات / 348.

(4) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى / 71.

(5) القلم / 51.

(6) معجم مقاييس اللغة 21/3.

(7) ينظر: المفردات / 314.

(8) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن / 102-103.

وقال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾⁽¹⁾ وقوله بعد ذلك ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾⁽²⁾ . فالآيات المتتالية هذه قد تضمنت كلمة (التربص) ، وهي تعني في اللغة "الانتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصاً ، أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله"⁽³⁾ .

فالجرس الذي تجلى في هذه اللفظة كان مليئاً بالشدة والحدة بحيث عبّر عن المعنى الذي أراد النص أن يفصح عنه وليكون الدال صورة منعكسة عن المدلول وتكثيف للقيم الصوتية التي أشارت الى هذا الأمر .

3- الإيقاع: إن للإيقاع أثره السمعي الواضح على ذائقة المتلقي أو السامع فهو يمثل التماوج الموسيقي المنبعث عبر الأصوات ، ويعرّف الإيقاع بأنه " تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه فيمكن اذن التحصيل على الإيقاع " ⁽⁴⁾ .

وقد اشتمل النص القرآني على إيقاعات سلسلة وعذبة عملت على زرع الاريحية في ذهن متذوقه فهذا النص يتميز باتزان " الإيقاع في الآيات والفواصل يبدو واضحاً في كل موضع ودليل ذلك أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة الى صورة خاصة أن ينبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو اخرت فيه أو عدلت في النظم أي تعديل " ⁽⁵⁾ وقد ظهر للمتفحص فيه أن " هذا النغم القرآني ليبدو في قمة السحر والتأثير في مقام الدعاء ؛ إذ الدعاء بطبيعته ضرب من النشيد الصاعد الى الله فلا يخلو وقعه في نفس الضارع المبتهل الا إذا كانت ألفاظه جميلة منتقاة وجمله متناسقة متعانقة وفواصله متساوية ذات إيقاع موسيقي متزن " ⁽⁶⁾ وتأسيساً على ذلك فالتعبير القرآني يأخذ شيئاً من سمات النثر والشعر في آنٍ واحدٍ بيد أن الأمر الثابت كما يقول الدكتور طه حسين " إن

(1) الطور /30.

(2) الطور /31.

(3) المفردات /271.

(4) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو/ 197.

(5) الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون /113.

(6) نفسه / الصحيفة نفسها.

القرآن ليس نثراً ، كما أنه ليس شعراً إنما هو قرآن" (1) ولكي نبغي الوصول الى هذه الفرضية ومن أجل أن "يتم توحيد مكونات النص بالإيقاع فإنّ هذه العملية تستقر مجسات الأسلوبية للبحث عن صفات هذا الموحد (الإيقاع) فتعتمد حينئذ على مفهوم المتغيرات الصوتية الأسلوبية وبمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية بمقدار ما تستطيع أن تستخدم تلك العناصر لغايات أسلوبية" (2) .

ومن صور الإيقاع ما نلاحظه في الإيقاع الذي يحدث لقسم من الكلمات والتي يبرز فيها الجانب الصرفي بشكل واضح. وذلك عن طريق الإدغام وغيره ففي قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ (3) ، وقوله أيضاً : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (4) . فلماذا نجد التعبير يفك الإدغام في الآية الاولى من كلمة (يشاقق) في حين يدغم الثانية (يشاق) (5) ؟ والجواب عن ذلك يخبرنا به الدكتور فاضل السامرائي ؛ إذ يقول " فحيث ورد ذكر الرسول فك الإدغام، وحيث لم يرد ذكر الرسول بل ورد ذكر الله وحده أدغم ، ولعله وحد الحرفين وأدغمهما في حرف واحد ، لأنه ذكر الله وحده وفكهما وأظهرهما ، لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنتين " (6) وهكذا رأينا أن الإيقاع ظهر في الآيتين بفضل معرفة الجانب الصرفي بإدغام أحد الحروف وفكه، كما أن الإيقاع تمثل في ظهور حرف الشين ومايشيعه من شنشنة كل ذلك منح التعبير طابع الايحاء والتدفق.

ومن صور الإيقاع الصرفي نجد قوله تعالى : ﴿ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (7) وقوله ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا

(1) من حديث الشعر والنثر / 25.

(2) الأسلوب والأسلوبية ، بيير جيرو / 39.

(3) النساء/ 115.

(4) الحشر/ 4.

(5) درة التنزيل ، الخطيب الإسكافي / 274-275.

(6) التعبير القرآني / 19 وينظر: المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ،

عبدالمجيد ياسين (أطروحة دكتوراه) / 127.

(7) آل عمران/ 44.

صِيحَةً وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ⁽¹⁾ فجاءت لفظة (يختصمون) في الأولى ولفظة (يخصمون) في الثانية وعلّة ذلك أن الآية الأولى تدل على التنازع أما الثانية فإنها تدل على مداهمة الصيحة لهم وهم في حالة اضطراب شديد⁽²⁾. ولاشك أن الاختلاف الصوتي الإيقاعي بين الصيغتين اوجد تفسيراً لغوياً نفسياً دقيقاً للآيتين الكريمتين وفي هذا تأكيد أن الأصوات بتناغمها تعطي قيمة تعبيرية دلالية متنوعة.

ومن صور الإيقاع ما رأيناه في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾⁽³⁾ فالإيقاع ظهر في الآية الكريمة بفضل تكرار صوتي المد (الواو والألف) بشكل واضح مما أعطى تردداً سمعياً خلافاً لدى المتلقي، فضلاً عن ذلك فهناك تكرار آخر في الآية أشار إليه الإمام ابن قيم الجوزية فقال : " أن التأكيد واقع على الصلاة والسلام وإن اختلفت جهة التأكيد فإنه سبحانه أخبر في أول الآية بصلاته عليه وصلاة ملائكته عليه مؤكداً لهذا الإخبار بحرف (إن) مخبراً عن الملائكة بصيغة الجمع المضاف إليه ، وهذا يفيد العموم والاستغراق فإذا استشعرت النفوس أن شأنه - ﷺ - عند الله وعند ملائكته هذا الشأن بادرت إلى الصلاة عليه وإن لم تؤمر بها بل يكفي تنبيهها والإشارة إليها بأدنى إشارة فإذا أمرت بها لم تحتج إلى تأكيد الأمر بل إذا جاء مطلق الأمر بادرت وسارعت إلى موافقة الله وملائكته في الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه فلم يحتج الى تأكيد الفعل بالمصدر " ⁽⁴⁾ ويضيف أيضاً " ولما خلا السلام عن هذا المعنى وجاء في حيز الأمر المجرد دون الخير حسن تأكيده بالمصدر ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته ويقوم تأكيد الفعل مقام تكريره كما حصل التكرير في الصلاة خبراً وطلباً ، فكذا حصل التكرير في السلام فعلاً ومصدراً فتأمله فإنه بديع جداً والله أعلم " ⁽⁵⁾ .

(1) يس/49.

(2) ينظر: التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سمير إبراهيم وحيد العزاوي / 105.

(3) الأحزاب /56.

(4) بدائع الفوائد 2/188.

(5) نفسه / الصحيفة نفسها.

ومن سمات الإيقاع في النص القرآني ما لمسناه في الإيقاع على المستوى الوزني (العروضي) من ذلك قوله تعالى في الآية نفسها ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾⁽¹⁾ وقد تعرض الألوسي للتعبير الكريم مظهرًا للإيقاع فيه فقال " وفي قوله سبحانه ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ رمز خفي فيما أرى الى مطلوبة تحسين الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام حيث أتى به كلاماً يصلح أن يكون شطراً من البحر الكامل ، فتدبره فأني أظن انه نفيس"⁽²⁾ وهو كلام رائع وكما هو معروف فإن تفعيلة بحر الكامل هي متفاعلن .

فالنص الكريم اشتمل على الإيقاع بفضل الألفاظ الزاخرة بالإيحاء ولتزيده موسيقى عذبة وخلابة .

ومن الآيات الأخرى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ مجزوء الرجز

مستقلن مستقل (مقطوعة)

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ ﴾ مجزوء الرجز

مستقلن مستقل (مقطوعة)⁽³⁾

ومن الآيات التي ظهر فيها الإيقاع بشكل واضح قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ⁽⁴⁾ فالإيقاع الذي تضمنته الآيات يتأتى من التناسق والتوازن بين الفاظها ويقول عنها سيد قطب "هذه فواصل متساوية في الوزن تقريبا على نظام غير نظام الشعر العربي متحدة في حروف النقفية تماماً ذات إيقاع موسيقي متحد تبعا لهذا وذلك وتبعا لأمر آخر لا يظهر ظهور الوزن والقافية لأنه ينبعث من تألف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل ، ومرده الى الحس الداخلي والادراك الموسيقي الذي

(1) الأحزاب /56.

(2) روح المعاني 83/22.

(3) ينظر: الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية ، عبدالواحد زيارة أسكندر (رسالة ماجستير) /87.

وللاستزادة من تقطيع هذه العبارات والجمل ينظر المصدر نفسه: الصفحات 94،97،98.

(4) النجم /1-2.

يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع" (1) فنرى ان فواصل الآيات متساوية في الوزن وهي في الوقت نفسه ذات إيقاع موسيقي متحد، وكذلك نرى تألف حروف كلماتها وتتسق جملها وهي فوق كل ذلك متحدة لتوحد الأسلوب الموسيقي (2) . الذي يكتنفها. فجمال الآيات متوسطة الطول متوازنة فيما بينها مما أوجت بإيقاع عذب وسلس بحيث يقبله السمع برهافة .

(1) التصوير الفني في القرآن/81، وينظر: الإعجاز في نظم القرآن / 113، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية/ 76 ، روائع الإعجاز في القصص القرآني ، محمود السيد حسن مصطفى /92، البناء الصوتي في البياني القرآني /29-30، التصوير الفني في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية في جهود الباحثين ، جبير صالح حمادي (أطروحة دكتوراه) /131.

(2) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم/ 172.

المبحث الثاني

التكرار

يعمل التكرار على إغناء الجانبين الصوتي والدلالي للنص الأدبي ولهذا نجد أنّ "الخطوة الأولى في التحليل الأسلوبي ستكون بمراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل" (1) فالمعنى يعتمد الشكل الصوتي أساساً للفهم الذي يروم إيصاله للمتلقي . فالتكرار أحد الخصائص الأسلوبية بوصفه انحرافاً عن اللغة العادية. وقد أولى العلماء العرب القدامى عناية كبيرة بموضوع التكرار فقال عنه الفراء " والكلمة - تكررهما العرب على التخليط والتخويف فهذا من ذلك " (2) ، وتحدث الجاحظ عن التكرار وسماه (الترداد) فقال " وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام والخواص. وقد رأينا الله - ﷻ - ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب ، وإبراهيم ولوط ، وعاد وشمود. وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب" (3) وذكره ابن فارس حين قال " ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر" (4) وعرفه ابن الأثير فقال " وحده هو : دلالة اللفظ على المعنى مردداً وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى" (5) وقال عنه الزركشي "إن الكلام إذا تكرر تقرر" (6) والتكرار عند البلاغيين القدامى نوعان يقول الخطابي في ذلك " التكرار أحدهما مذموم وهو ما كان مستغني عنه غير مستفاد به زيادة معنى حينئذ يكون

(1) نظرية الأدب ، او ستن وارين ورينيه ويلك / 231-232.

(2) معاني القرآن ، 287/3.

(3) البيان والتبيين 105/1.

(4) الصاحبى / 207.

(5) المثل السائر 3/3.

(6) البرهان 10/4.

فضلا من القول ولغوًا، والثاني ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة فيه" (1) ورأى ابن رشيق أنَّ التكرار إذا كان في اللفظ والمعنى جميعاً فهو الخذلان بعينه (2) . في حين إشار ابن الأثير أنَّ كل تكرار يجيء من غير فائدة فهو جزء من التطويل (3) . وأعطى البلاغيون للتكرار دواع كثيرة منها: التأكيد وتقرير المعنى في النفس وطول الفصل والتحسر والتلذذ والتعظيم والتهويل والتعجب (4) . والذي نطمئن إليه بشدة أنَّ أنسياق قسم من البلاغيين وراء تحري الفروق الدقيقة بين الألفاظ وشدة الولع بالنقرع كان سبباً في إهمال بواعث التكرار ودوره الدلالي في السياق والجو التنغمي الذي يشيعه والذي يكون له بالغ الأثر في المتلقي (5) . ولم يكن التكرار مصدر إغراء القدامى فحسب بل تابعهم في ذلك المحدثون فعرفوه بانه " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم" (6) والتكرار " له وظيفة مزدوجة الأداء ... تجمع مع التوثيق للمعنى ووقع المساهلة في القصد اليه قيمة صوتية وفنية تزيد القلب له قبولا والوجدان به تعلقا " (7) ويعد التكرار " من أهم الأركان التي تظهر الجرس بين الألفاظ" (8) ولهذا يلمس الدارس المتمعن " أنَّ القيم الصوتية لجرس الحروف والكلمات عند التكرار لاتفارق القيمة الفكرية والشعرية المعبر عنها " (9) ويـرى تشـترين أنَّ " القوة التعبيرية للكلمة المنفردة لاتتأتى من معناها وحده بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضاً" (10) ولهذا يقوم " التكرار الصوتي والتوتر الإيقاعي بمهمة الكشف عن القوة الخفية

(1) بيان إعجاز القرآن /52.

(2) ينظر: العمدة 74/2.

(3) ينظر: المثل السائر 358/2.

(4) ينظر: المثل السائر 16/3 ، الجامع الكبير /204 ، الإيضاح ، الخطيب القزويني / 113 .

(5) ينظر: نحو منهج جديد في البلاغة والنقد ، سناء حميد البياتي /107.

(6) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب /239.

(7) التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد /86.

(8) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب /313.

(9) التكرير بين المثير والتأثير/ 84 .

(10) الأفكار والأسلوب /45.

في الكلمة " (1) ، إنَّ مانبه عليه القدامى من المآخذ التي تعتري التكرار قد وجدناها لدى المحدثين كذلك، فربما أعطى التكرار نتائج سلبية وقد تجلّى هذا التصور لدى ريفاتير وسمّاه (مقياس التشبع) ؛ لأنّه يرى " أنّ الطاقة التأثيرية لخاصية أسلوبية تتناسب تناسباً عكسياً مع تواترها فكلما تكررت نفس الخاصية في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية معنى ذلك أنّ التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجياً " (2) وللتكرار أشكال متعددة " وهذه الأشكال المتعددة لا تقوم بوظيفة واحدة وإنما تقوم بوظائف متعددة ومن هذه الوظائف ما يتصل بالإيقاع وما يتصل بالوصف وما يتصل بالتأكيد " (3) .

والنص القرآني زاخر بالوانٍ متعددة من التكرار ؛ لأنّه " فن من الفنون البلاغية التي ازدهرت دراستها في ظل الدراسات القرآنية ، لأنّه من خصائص الأسلوب القرآني الواضحة ، وقد ذكره الطاعنون في كتاب الله ، فكان لزاماً على من تصدى للرد عليهم ان يدرس هذا الأسلوب ويبين أسرار البلاغية ويشير الى نظيره في كلام العرب. وقد فعلوا ذلك " (4) يقول ابن قتيبة في هذا الصدد " فقد أعلمتك أنّ القرآن الكريم نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم التكرار أرادة التوكيد والإفهام كما أنّ من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز " (5) إنّ " ورود التكرار في القرآن الكريم دليل على قيمة أدائه في التعبير البياني ، والقرآن الكريم قد خاطب العرب بما يألّفون من الأساليب وبكلام يدركون مواقعهم ومراميهم " (6) وللتكرار معانٍ متنوعة فطن إليها علماؤنا العرب ويعد الجاحظ أول من تحدث عن هذه المعاني في كتابه (الحيوان) ؛ اذ يقول " ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب، أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام " (7) وعلى هذا الأساس يكون " ذلك مبالغة في

(1) الأفكار والأسلوب / 50.

(2) الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي/86.

(3) النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير /44.

(4) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ، عبد الفتاح لاشين /201.

(5) تأويل مشكل القرآن / 235.

(6) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب /240.

(7) كتاب الحيوان 94/1 وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / 194، وفي هامش ص 194 من كتاب إعجاز القرآن يقول الرافعي " نقل العسكري هذه العبارة في كتاب (الصناعتين)=

إفهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ ، إيجازاً في موضع وإطناباً في موضع . إذ كانوا قوماً لاسليقة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم من البيان، فلا يمضي كلامه لسننه بلا إعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعة اللغوية، فل هذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح، بخلاف العرب، فإنّ الخطاب يقع إليهم على سنن كلامهم من الحذف، والقصد الى الحجة والإكتفاء باللمحة الدالة، وبالإشارة الموحى بها، وبالكلمات المتوسمة، ومايجري هذا المجرى ، وهو قول صحيح بالجملة" (1) ولهذا فالتكرار في القرآن الكريم واحد من أهم عناصر بلاغته (2) .

ولأنّ التكرار يعد أحد أبرز العناصر الصوتية المستخدمة لغايات أسلوبية في السلسلة الكلامية (3) . فأننا سنرى مدى تحقق هذه الغايات الأسلوبية في النصوص التي سنقف عندها كاشفين الخصائص الجمالية التي تشتمل عليها .

أولاً : مستويات التكرار :

هنالك في القرآن الكريم ثلاثة مستويات من التكرار تدخل في بنية الآيات الكريمة

وهي:

1- مستوى التكرار في الصوت المفرد

فمما لاشك فيه أنّ تكرار صوت أو عدة أصوات يؤدي الى شيوع جرس موسيقي يكون ملبياً لحاجة المعنى والسياق، فاذا كان السياق يتطلب جرساً شفافاً هادئاً جاءت الأصوات سلسلة ورقيقة، أما إذا تطلب الخشونة والقسوة فيأتي قوياً هادراً. والقرآن الكريم يتميز أسلوبه بالتنظيم الدقيق لأصواته وترتيبها بالشكل الذي لا يوحى بوجود تنافر فيما بينها. وصولاً الى إبراز المعنى المطلوب وأيضاًحه بأيسر الطرق. إنّ كثرة الأصوات في الجملة القرآنية يمكن تصنيفها إلى قسمين هما :

=ولم يعزها، فكأنه هو استخرج هذا المعنى ابتداء، ولم من مثلها في كتابه. انظر ص 46 ، ج1 ، من (الحيوان) فلا تشك ان العسكري نقل عن الجاحظ " هامش ، ص 194 ، إعجاز القرآن للرافعي.

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / 194-195.

(2) ينظر: الإعجاز البلاغي ، دراسة تحليلية لتراث اهل العلم ، محمد محمد أبو موسى/65.

(3) ينظر: الاسلوب والأسلوبية ، بيير جيرو /39.

1- الأصوات المهيمنة : يتميز تكرارها بالوضوح الشديد.

2- الأصوات الموازنة : يتميز تكرارها بقلة الوضوح . (1)

ومن تكرار الأصوات نجد تكرر صوت السين الصفيري المهموس في قوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (2) فالصوت المهيمن هو السين وقد تكرر (6 مرات) ولهذا التكرار مزية سمعية من خلال موسيقية الألفاظ التي حوت هذا الصوت، والسين يتصف بأنه "صوت أسناني لثوي رخو مهموس مرقق، وينطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان السفلى ، ومقدمة بحيث يلتصق باللثة ، مع رفع التطبيق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي في طريق الهواء الخارج من الرئتين ثم خفض مؤخر اللسان وفتح الأوتار الصوتية في وضع التنفس المهموس" (3) ويزاد الى المزية السمعية مزية أخرى تولدت من هذا التكرار ألا وهي المزية الفكرية باظهار المعنى لتتواشج المزيان بقيمة أسلوبية واحدة فسياق الآية هو سياق قسوة وتعنت في وصف الكفار ، وهذا التكلف والعنت هو إسقاط وانعكاس دلالي لنطق هذا الصوت على الرغم من الهمس الموجود في هذا التعبير. ومن التكرار الصوتي لصوت (السين) المهيمن قوله تعالى ﴿ وَسْئَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (4) ، فهيم صوت (السين) (6) مرات ليعبر هذا التكرار عن عظم ذلك الأمر الذي وصفته الآية الكريمة ، فقد جاء التعبير القرآني بصيغة التوجيه والتذكير للرسول محمد - ﷺ - عن هول ذلك الأمر الذي حدث قبله. وهكذا رأينا تكرار صوت

(1) ينظر: المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر ، حامد مزعل الراوي (أطروحة

دكتوراه) / 181.

(2) التوبة / 80.

(3) مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان / 128 .

(4) الأعراف/ 163.

السين في الآيات المذكورة آنفاً والآيات الأخرى ⁽¹⁾ التي قمت بتحليلها أنه يأتي ليفصح عن معانٍ ودلالات يقتضيها سياق الآية.

ومن الأصوات الأخرى التي شاع فيها التكرار نجد صوت (الكاف) في قوله تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ ⁽²⁾.

فقد تحقق التكرار - بوصفه - بنية أسلوبية عن طريق هيمنة صوت (الكاف) (6مرات) ، والكاف "صوت شديد مهموس مرقق، يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبقة، وإصاقه به، وإصاق الطبقة بالحائط الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، مع إهمال الاوتار الصوتية وعدم اهتزازها" ⁽³⁾ فالنسق الصوتي للآية الكريمة مال إلى القوة والشدة بفضل تكرار الكاف الشديدة المهموسة فضلاً عن مجاورتها لطائفة من الأصوات الشديدة مثل الياء والذال والباء ولاسيما في الكلمات (يكفيكم، يمدكم، ربكم، الملائكة) لتتواشج هذه الأصوات على إظهار المعنى المتمثل بقوة الله - عَزَّ وَجَلَّ - على إكفاء المؤمنين وهم قلة صابرة إزاء شر هؤلاء المشركين، وليدل هذا التكرار على شدة الباري تبارك وتعالى وبطشه بهم ⁽⁴⁾.

وقال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ ⁽⁵⁾ فتكرار صوت (الكاف) في هذه الآيات يعد تكراراً دالاً تتأسس عليه وظيفة أسلوبية في تصوير الحدث وما يحمله هذا التكرار من ثقل في النطق ليعكس ثقل النعم التي أسبغها الله على رسوله - ﷺ - فأحدث هذا الصوت رنة إيقاعية قوية اهتزت لها النفس كذلك حملت مع الشدة الراحة والطمأنينة الى نفس الرسول الكريم ، ولذلك جاء الإيقاع في الآية معبراً عن

(1) من الآيات التي تكرر فيها صوت السين تنتظر: الإسراء / 1، 77، 101، الأنبياء/ 41.

(2) آل عمران / 124.

(3) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب/ 53 ، وينظر: التشكيل

الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران، جاسم غالي رومي (رسالة ماجستير) / 22-21.

(4) ينظر: التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران / 22-21.

(5) الفتح / 1-3.

المعنى ومصوراً لجزئياته ⁽¹⁾ . فضلاً عن تكرار صوت المد الطويل (الألف) في الآية الأولى عدة مرات ، فجاء التكرار حسناً يستلذه السمع ⁽²⁾ . وكذلك التكرار في الآيات الأخرى . لقد لاحظنا في هذه الآيات والآيات الأخرى ⁽³⁾ أن صوت (الكاف) عندما يتكرر يضيفي بعداً نغمياً على النص القرآني يشكل قيمة أسلوبية واضحة. ويبدو أن صوت (النون) قد تكرر هو الآخر في أثناء الآيات التي دخلت في بحثنا من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ فالنون هو الصوت المهيمن (5 مرات) فضلاً عن مؤازرة صوت (السين) المهموس (4 مرات) ، وصوت النون هو "صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل الى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويشرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع" ⁽⁵⁾ ومن هنا نراه في هذه الآية يكتسي وضوحاً سمعياً عالياً ساعده في ذلك لكونه مسبقاً بحروف المد واللين (الألف والواو والياء)، يدعم هذا التكرار الرنين العذب المنبعث من الكلمات (بالذين، كانوا، يستهزئون) فأضفى جواً من الوضوح الدلالي الذي أكد بوضوح أيضاً مصير الأقوام السالفة المستهزئة . ويرى الدكتور عز الدين علي البيدان من " أكثر الحروف ارتباطاً بالصوت - فيما نشاهد ونتكلم - حرفا (النون والميم) حتى نراهما في أكثر المفردات اللغوية على درجة كبيرة من تعديل الصوت وتلطيفه ، والنون كثيراً ما نراه مكرراً في الكلمات الدالة على نوع من الصوت ذاته" ⁽⁶⁾ فجاء تكرار صوت (النون) معبراً عن

(1) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن / 81-82، فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية ، طالب عويد

نايف (رسالة ماجستير) / 73-72.

(2) ينظر: مستويات النظم في التركيب القرآني / 92.

(3) من الآيات الأخرى التي تكرر فيها صوت (الكاف) تنتظر: الحج / 67، آل عمران / 44، 58،

النساء / 105 ، الأعراف / 2 ، الأنفال / 5 ، القصص / 86.

(4) الأنعام / 10.

(5) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس / 66.

(6) التكرير بين المثير والتأثير / 15.

المعنى وهو في هذه الآية والآيات الأخرى ⁽¹⁾ يحمل هذه الغنة التي تغلف هذا الصوت وتمنحه الإيحاء .

ومن الأصوات التي تكررت في أثناء الآيات صوت (الراء) يتمثل ذلك في قوله تعالى ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾ ⁽²⁾ فالناظر للتعبير الكريم يلمس إيحاء صوت (الراء) وهو يتكرر (3 مرات) وهو يصور حركة الرمي وتدفعها، والراء صوت مجهور " مكرر يضرب اللسان معه ضربات متتالية " ⁽³⁾ فجاء التكرار ليعبر عن هيئة الرمي الشديد ومال النص الكريم الى العدول بالفعل بدلاً من المصدر ؛ لأن الفعل بلغت النظر الى الفاعل فاكد مهارة الرامي ودقته واصابته الهدف ، والرامي هو الباري - ﷻ - فهياً لأبراز شدة هذا الرمي بالنفي لهذا الرمي عن الرسول - ﷺ - والتأكيد على الرمي الإلهي ، فتقدم لفظ الجلالة (الفاعل) على (الفعل) رمى لأبراز تفرد هذا الرمي ، والتعبير القرآني في استعماله المصدر لايحقق هذا الغرض ؛ لأنه يركز على الحركة بدلاً من الفاعل وهذا مالا يعنيه سبحانه فاستعمل صيغة الفعل ولم يستعمل المصدر ⁽⁴⁾ . ومن تكرار صوت (الراء) أيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ⁽⁵⁾ فالنص الكريم طغى فيه صوت (الراء) ولاسيما في نهاية الآيات، فكان توزيعه منتظماً ومتسقاً منح السورة إيقاعاً صوتياً بارزاً ، فتكرار الصوت كان يشي بالحدث المستمر والمكرر وهو عطاء الله للرسول الكريم - ﷺ - فهو عطاء كثير وفائض وغزير ومستمر لاينفذ على الصعد كافة ⁽⁶⁾ . والتكرار الصوتي للنون رأيناه في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ وَأَمَّا

(1) من الآيات التي تكرر فيها صوت (النون) ينظر : طه / 105 ، القلم / 2.

(2) الأنفال/17.

(3) دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر / 340.

(4) ينظر : السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية / 118-119.

(5) الكوثر / 1-3.

(6) ينظر : الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية دلالية / 120.

السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ»⁽¹⁾ فيتبين للمتذوق للآية الكريمة أنه على الرغم من "أنَّ السورة ليست مبنية على صوت (الراء) الذي يفيد التكرار، ولو بقيت (الهاء) لما اختلت الفاصلة، ولكن الحذف جاء هنا من أجل إبراز صوت (الراء) وكأن الخطاب مكرر بهذا الصوت، فهو بمثابة تأكيد أفاده صوت (الراء) الدال على التكرار " (2) ، وربما تكرر صوتين أو أكثر لتشكل تجاوباً إيقاعياً شجياً فتتوزع هذه الأصوات على السلسلة الصوتية توزيعاً متوازناً (3) . من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ... ﴾ (4) فنجد في النص تكرار صوتين مختلفين (4 مرات) ، رأيناها مرتين متحدتين ومرتين منفصلتين مع تجاوب إيقاعي واضح وشجي ظهر في صوتي السين والألف ، والسين هو صوت صامت مهموس في حين صوت الألف مصوت مجهور ، فالصوت الصامت المهموس يتجلى في النصف الأول من الآية الكريمة في حين ظهر المصوت المجهور على النصف الثاني منها فضلاً عن تكرار النون والهمزة (5) . وهكذا نجد أنَّ تكرار أكثر من صوت يجلب للنص إيقاعاً معيناً يبرز بوضوح ضلال المعنى ويفصح عن مكنون الكلام .

ومن الآيات الأخرى التي تكرر فيها صوتان متلازمان قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (6) فتكرر صوتان مختلفان عدة مرات وهما صوتا (الواو والالف) متحدان فاعطيا تجاوباً إيقاعياً واضحاً ، ولأسيما هما من أصوات المد هذا الامتداد الذي تولد بفضل تكرار هذه الأصوات هو انعكاس لامتداد طاعة الله والرسول ﷺ - في كل زمان ومكان على مدار الأيام فالتكرار عبّر عن المعنى وكثّفه.

2- مستوى التكرار في الكلمة

- (1) الضحى / 9-10.
- (2) الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم ، دراسة أسلوبية دلالية / 79.
- (3) ينظر : المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر / 67.
- (4) الأعراف / 187.
- (5) ينظر : المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر / 67.
- (6) المائدة/92.

وهو عبارة عن تكرار الكلمة أو اللفظة لعدة مرات داخل نسق الآيات القرآنية وليس المقصود من هذا التكرار مجانسة الألفاظ بعضها البعض وإنما تكرار المتشابه بينها، ومشكلة فيما بينها، وصولاً إلى تقوية النغم وإبراز الإيقاع وإيصاله إلى المتلقي من خلال الأثر الذي يتركه في السامع والقارئ ولهذا قالوا إن هذا " الضرب من التكرار هو الذي يفيد تقوية النغم في الكلام " (1) .

والتكرار في الكلمة أو اللفظة يتم بعدة وجوه منها : الأفعال، ومنها الأسماء، وتختلف بطبيعة الحال الدلالات المعنوية للأفعال عن الأسماء . وقد وجدنا من خلال دراستنا أن نسبة تكرار الأفعال في هذه الآيات أكثر منها في الأسماء وسنبداً بتكرار الفعل لكثافته .

أ- تكرار الفعل :

ورد تكرار الفعل بصيغة الماضي والمضارع والأمر فنلاحظ تكرار الفعل الماضي يتجلى في قوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (2) فنلاحظ تكرار صيغتي الفعل الماضي (نزل) ، و(أنزل) وهنالك خصيصة أسلوبية في مجيء كليهما ، وهي أن القرآن نزل منجماً في حين نزل الكتابان جملة كما يرى الزمخشري (3) . فالنص يؤسس تفرد أسلوبه بمجيء الفعل مكرراً ليعطي معاني مختلفة تخدم سياق الآية . ومن تكرار الفعل الماضي قوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (4) فيكمن سر جمال هذا التعبير عن طريق تكرار الفعل الماضي (تاب) مرتين ، ويرى طائفة من المفسرين أن التكرار أفاد معنى التوكيد (5) . وفضلاً عن هذا المعنى فقد أضاف الشيخ البيضاوي علة أخرى لهذا التكرار أنه جاء من أجل

(1) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب / 239.

(2) آل عمران / 3.

(3) الكشاف 336/1، وينظر: التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران / 22.

(4) التوبة / 117.

(5) ينظر: الكشاف 218/2، مدارك التنزيل، النسفي 686/1، إرشاد العقل السليم ، أبو السعود

454/2، التحرير والتنوير 51/11.

ماكابدوا من العسرة ⁽¹⁾ . أما القاسمي فأنته يرى أن قوله " (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) تأكيد ظاهر وإعتناء بشأنها، هذا إذا كان الضمير راجعا الى من تقدم ذكر التوبة عنهم، وإن كان الضمير الى الفريق الثاني ، فلا تكرر " ⁽²⁾ وكذلك رأينا تكرر الفعل الماضي في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ⁽³⁾ فقد تكرر الفعل (أمرت) الماضي مرتين فعلى الرغم من التشابه بين الفعلين إلا أن هنالك اختلافا في المعنى لكل منهما ، وهو سمة تكاد تكون متكررة في الاستعمال القرآني ، فالأول أمر خاص بالرسول محمد - ﷺ - وهو عصمته عن عبادة الاصنام ، أما الأمر الثاني فهو أمر عام شمل دعوة الخلق الى التوحيد ⁽⁴⁾ . وقد بسطنا توضيح هذا التقابل بين الاستعمالين بالآتي :

اختلاف في المعنى	اعبد	أمرت أن	تشابه في اللفظ (التكرار)
	أكون	أمرت أن	

وهكذا رأينا أن تكرر الفعل الماضي في هذه الآيات والآيات الأخرى ⁽⁵⁾ قد منح سياق الآية دلالة معينة توخاها التعبير في الإفصاح عنها . بعد ذلك نصل في حديث التكرار للفعل عند الفعل المضارع الذي جاء بالمرتبة الثانية في سلم التواتر من ذلك قوله تعالى ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ⁽⁶⁾ ، فنلمس بوضوح تكرر الفعل (يسئلونك) المضارع ،

(1) أنوار التنزيل 524/1 ، وينظر: علل التعبير القرآني في تفسير الكشاف للزمخشري ، اسعد

عبد العليم عبد الرحمن (رسالة ماجستير) /184.

(2) محاسن التأويل 3287/8.

(3) النمل /91.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 57/20.

(5) للاستزادة من تكرر الفعل الماضي تنظر الآيات: البقرة/4، آل عمران /84، النساء /41، 54،

60، 162، 163 ، المائدة/4 ، التوبة/26، الكهف/32، الحج /78، العنكبوت/46،

القصص/48، هود/12، الأحزاب/66، الضحى/7-8.

(6) الأعراف /187.

ويرى الزمخشري أنّ التكرار ورد " للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلو المكرر من فائدة زائدة" (1) .

والى معنى الرأي نفسه ذهب النسفي والطاهر بن عاشور (2) . أما الرازي فقد أفاض القول في هذا التكرار فقال متساءلاً : " فلم يلزم التكرار ؟ : أجاب عن الأول بقوله (إنما علمها عند ربي) وأجاب عن الثاني بقوله (إنما علمها عند ربي) والفرق بين الصورتين أنّ السؤال الأول كان واقعاً عن وقت قيام الساعة. والسؤال الثاني كان واقعاً عن مقدار شدتها ومهابتها، وأعظم أسماء الله مهابة وعظمة هو قوله عند السؤال عن مقدار شدة القيامة الاسم الدال على غاية المهابة، وهو قولنا الله" (3) وقد تبنى القاسمي رأي الزمخشري القائل أنّ التكرار أفاد معنى التوكيد بيد أنّه أورد رأياً للناصر صاحب (الانتصاف) فقال (4) : " قال الناصر في (الانتصاف) : وفي هذا النوع من التكرير نكتة لا تلتفى إلا في الكتاب العزيز ، وهو أجل من أن يشارك فيها وذلك أنّ المعهود في أمثال هذا التكرير ، أنّ الكلام إذا بني على مقصد، واعترض في أثائه عارض، فأريد الرجوع لتتيمم المقصد الأول ، وقد بعد عهده ، طري بذكر المقصد الأول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدم لذلك في الكتاب العزيز امثال ... وهذا منها فانه لما ابتدأ الكلام بقوله (يسئلونك عن الساعة أيان مرسها) ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله (كأنك حفي عنها) ، وهو شديد التعلق بالسؤال ، وقد بعد عهده ، فطري ذكره تطرية عامة، ولانراه أبدا يطرى إلا بنوع من الإجمال كالتذكرة للأول ، مستغني عن تفصيله بما تقدم فمن ثم قيل: وهو (الساعة) اكتفاء بما تقدم ، فلما كرر السؤال لهذه الفائدة ، كرر الجواب أيضاً مجملاً ، فقال (قل إنما علمها عند الله) " . ويبدو أنّ رأي الزمخشري - في رأينا - الأجدر بالأعتماد عليه فالتكرار لمعنى التوكيد . ومن تكرار الفعل المضارع أيضاً قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ

(1) الكشف 134/2 ، وينظر: محاسن التأويل 2917/7، النظم القرآني في كشف الزمخشري،

درويش الجندي / 140.

(2) ينظر: مدارك التنزيل 593/1 ، التحرير والتنوير 204/9.

(3) التفسير الكبير 82/15.

(4) محاسن التأويل 2917/7.

الثَّقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾⁽¹⁾
فنلمس تكرار الفعل المضارع (يؤمنون) ولكل فعل منهما دلالة مشابهة الطرف الآخر ،
فالتماثل بين الفعل كان واضحاً وقد ظهر " التماثل المعنوي ... من خلال إثبات الطرفين
للإيمان باليوم الآخر وبالله - ﷻ - من هنا جاء التماثل التام بين اللفظ والمعنى " ⁽²⁾ فعلى
الرغم من التشابه بين اللفظ والمعنى في النص الكريم فإننا نرى تكرار الفعل قد منح النص
تنغيماً موسيقياً عذباً تستدوقه الأذن وتطرب له النفس . ومن تكرار الفعل المضارع قوله تعالى
﴿ ... وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ... ﴾ ⁽³⁾ ، فتكرار الفعل (يقتلون) يؤسس
دلالة معينة انبثقت من النص الكريم وهي " دلالة على مافعله أهل الكتاب لقتلهم رسولهم بغير
الحق وقتلهم أتباعهم كذلك ، وسعيهم الحثيث لقتل رسول الله - ﷺ - والمؤمنين لولا أن
عصمه الله من شر كيدهم " ⁽⁴⁾ فمنح التكرار للآية تكتيفا واضحاً في المعنى وفيضاً زائراً
بالإيحاء والتجدد .

فالناظر الى الآيات والآيات الأخرى ⁽⁵⁾ التي وقفنا على تحليلها في تكرار الفعل
المضارع ، أنها تأتي لتبيان المعنى الذي انبثقت من أجله الآية ، ولتكتنف وتؤكد هذا المعنى
بشكل واضح ويسير .

ونصل في حديثنا عن تكرار الفعل عند فعل الأمر وهو أقل الأنواع وروداً في بحثنا
ومنه قوله تعالى ﴿ ... فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ⁽⁶⁾ فنحن نلاحظ
تكرر فعل الأمر (اضربوا) مرتين ، مرة مع عبارة (فوق الأعناق) ومرة مع (كل بنان) ويقول
الزمخشري عن هذا التكرار " أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام ... والبنان:
الأصابع ، يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوي ؛ لأن الضرب إما واقع على مقتل

(1) الأنعام/92.

(2) التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، فايز عارف القرعان /122.

(3) آل عمران /21.

(4) التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران /23.

(5) للاستزادة من الآيات التي تضمنت تكرار الفعل المضارع ينظر : البقرة/222، 96،

المائدة/82، التوبة/61، يونس/35، الكهف/22، الإسراء/47، 54.

(6) الأنفال/12.

أو على غير مقتل، فامرهم أن يجمعوا عليهم النوعين معا" (1) ويذهب أبو السعود أن " تكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والأعتناء بأمره" (2) ومعنى ذلك أن (اضربوا كل بنان) " أي اقطعوا الأيدي التي تحمل السلاح ضدكم لتعطلوها عن قتالكم فتنتفي بذلك قيمة المقاتل وتشل بمثل هذا الضرب حركة الجيش " (3) .

ومن صور تكرار فعل الأمر قوله تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ... ﴾ (4) فيؤسس النص انبثاقه عن طريق تكرار فعل الأمر (أطيعوا) مرتين ، ويرى أبو السعود أنه كرر الأمر بالقول ، وذلك لإبراز كمال العناية به فضلاً عن الإشعار باختلافهما (5) في حين رأى الطاهر بن عاشور أن إعادة الأمر بالقول للأهتمام به فيأتي كلاماً مستقلاً غير معطوف (6) . فجاء التكرار ليفصح عن المعنى الذي جاءت به الآية وليشير ذهن المتلقي الى هذا الأمر ، فضلاً عن ذلك فهناك آيات قرآنية (7) أخرى مشابهة للآيات المذكورة آنفاً جاء فيها تكرار فعل الأمر (اطيعوا) أكثر من مرة حاملاً معه معاني مختلفة يؤديها هذا التعبير .

ونجد أيضاً تكرار فعل الأمر في قوله تعالى ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا ﴾ (8) فتكرر فعل الأمر مرتين ، وهذا التكرار أفاد معنى التوكيد ، وهنالك قراءة تقول ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤُودًا ﴾ بحذف الهمزة من فعل الأمر الثاني كما يقول ابن جني (9) . ولهذا التكرار وظائف صوتية ونحوية تحدث عنها العلماء ومنهم ابن جني ولانود أن نقف عندها ؛ لأنها ليست في صميم عملنا .

(1) الكشف 148/2.

(2) إرشاد العقل السليم 349/2.

(3) السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية 90.

(4) النور/54.

(5) ينظر: إرشاد العقل السليم 105/4.

(6) ينظر: التحرير والتنوير 280/18.

(7) ينظر: النساء/59 ، المائدة/92، النور/54 ، التغابن/12.

(8) الطارق / 17.

(9) ينظر: المحتسب 354/2.

وتكرار فعل الأمر نلاحظه في قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ... ⁽¹⁾ وعن تكرار فعل الامر في هذا النص يقول ابو السعود " ثم كرر الأمر بقوله تعالى (اقرأ) أي افعل ما أمرت به تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ⁽²⁾ أما الطاهر بن عاشور فرأى أنَّ الفعل " (اقرأ) الثاني تأكيداً لـ (اقرأ) الأول للأهتمام بهذا الأمر " ⁽³⁾ ومن الوقفات العميقة في تحليل هذه الآيات ما لمسناه عند الكرمانى مدلاً على أكثر من تكرار في هذه السورة فقال: " قوله ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ وبعد ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ ﴾ وكذلك (الذي خلق) وبعده (خلق) ومثله (علم بالقلم) (علم الإنسان) ؛ لأنَّ قوله (اقرأ) مطلق فقيده بالثاني ، والذي خلق علم فخصه بما بعده و(علم) مبهم ففسره فقال ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ " ⁽⁴⁾ ، وهكذا لمسنا في التكرار الذي تضمنته الآية ما يضيف على النص تميزاً وإيقاعاً صوتياً موحياً عبر به عن طريق تكرار فعل الأمر. وقد لاحظنا من خلال الآيات المذكورة آنفاً والآيات الأخرى ⁽⁵⁾ التي وقفنا على تحليلها أنَّ أفعال الأمر في خطاب القرآن الكريم للرسول - ﷺ - قد اجملت في أفعال الطاعة والدعوة وسماع الرسول محمد - ﷺ - وهو يهدي العباد الى اقوم طريق ، وقد أعاد القرآن الكريم هذه الألفاظ وكررها لإفادة معنى التوكيد والتمسك بتعاليم رسوله الكريم، وهو ملمح أسلوبى واضح من خلال كثرة التردد له. وجاءت هذه الدعوة بصيغة الفعل وهي صيغة يراد بها التجدد والاستمرار بما يؤدي الى استمرار هذه الدعوة والرسالة حتى بعد وفاة الرسول - ﷺ - .

ب- تكرار الاسم :

إنَّ الاسم في العربية كما هو معروف - يراد به معنى الثبات والديمومة، وقد جاء إيراد تكرار الاسم في الآيات التي تخص موضوعنا بالمرتبة الثانية وبنسبة أقل.

(1) العلق / 1-5.

(2) إرشاد العقل السليم 886/5.

(3) التحرير والتنوير 439/30.

(4) أسرار التكرار في القرآن / 221-222.

(5) للاستزادة من تكرار فعل الأمر ينظر: الأنعام/19، الرعد/16، الإسراء/110، محمد/33.

قال تعالى ﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْلُونَ لَسُخْتٍ ... ﴾⁽¹⁾ فتكررت لفظة (سماعون) مع اللفظة نفسها من الآية السابقة وهي صيغة مبالغة ، وقد أفاد تكرارها معنى التوكيد كما يرى ذلك طائفة من المفسرين⁽²⁾ ، فهذه اللفظة بقوة جرسها وصياغة حروفها تفصح عن دلالة هؤلاء القوم وتؤكد صفة السمع عن طريق التكرار لتعبر عن التميز الذي رافق ذكر هذه اللفظة للمرة الثانية وتدل على قوة فعل التنفيذ⁽³⁾ .

ومن تكرار الاسم قوله تعالى ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ ... ﴾⁽⁴⁾ فالنص ينبني على تكرار اسم (النبي) مرتين وأفاد معنى " تقخيم له وتقدير لأستحقاقه الكرامة لنبوته"⁽⁵⁾ كما يرى الزمخشري. فإيراد التكرار جاء من أجل التشريف لمقامه وكرامة له فادى معنى رفع المنزلة للرسول الكريم ، فتكرر الاسم ليعبر عن هذا المعنى الموحى. ومن الملاحظ على تكرار الاسم في هذه الآيات والآيات الأخرى⁽⁶⁾ التي قمت بتحليلها إن تكرار الاسم جاء لمعنى توكيد الثبات ورفع قدر النبي - ﷺ - وعلو منزلته .

ج- تكرار الصيغ الأخرى :

وهو عبارة عن تكرار الأدوات والحروف كأدوات الاستفهام والنفي والعطف وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والحروف المشبهة بالفعل وحروف الجر وغيرها. ومن ذلك تكرار أدوات الاستفهام في قوله تعالى ﴿ ... قُلْ أَلَذَكَّرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْإِنشِيَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ ... ﴾⁽⁷⁾ فنرى بوضوح أن تكرار الاستفهام مرتين تعريض بالتخطئة وذلك

(1) المائدة/42.

(2) ينظر: مدارك التنزيل 411/1 ، كتاب التسهيل ، ابن جزي 177/1.

(3) ينظر: جماليات المفردة القرآنية / 252.

(4) الأحزاب/50.

(5) الكشاف 268/3.

(6) للاستزادة من الآيات التي تضمنت تكرار الاسم ، تنظر: البقرة/ 189، 217، 222،

آل عمران / 7 ، 93، 98، 154 ، 159 ، النساء/ 59، 64، 84 ، 113 ، الأنعام/124،

التوبة/40 ، النحل / 89، 103 ، الإسراء / 1، 21، 75، 85، 105 ، المؤمنون/ 72 .

(7) الأنعام /143.

لأن التوبيخ والتقريع الذي يعقبه التصريح به ظهر في قوله إن كنتم صادقين ⁽¹⁾ . ومن تكرار أدوات الاستفهام نرى قوله تعالى ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ⁽²⁾ فتكررت الأداة (أم) أكثر من مرة ، وقد أفادت معنى الخبر كما يرى الرازي ⁽³⁾ . في حين يرى الطاهر بن عاشور أن "الاستفهام المكرر ثلاث مرات مستعملاً في التنبيه " ⁽⁴⁾ .

ومن تكرار الصيغ نرى تكرار اسم الإشارة (اولئك) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَاءُ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ ... ﴾ ⁽⁵⁾ ، فقد ظهر تكرار اسم الإشارة (اولئك) ثلاث مرات ، وقد أفاد تعظيم الأمر ⁽⁶⁾ ، والتهويل ⁽⁷⁾ فاعطى هذا التكرار دفقا دلالياً عذباً عبّر عن المعنى التي جاءت من أجله الآية ، وقد ظهرت سمات أسلوبية واضحة بفضل تكرار هذه الأداة من الناحية الصوتية وكذلك الدلالية.

ومن الصيغ الأخرى التي ورد فيها التكرار (اسم الموصول) مثال ذلك قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ ⁽⁸⁾ فنرى أنّ النص يؤسس وجوده بفضل تكرار الأسم الموصول (ما) مرتين ، في حين رأى أبو السعود أنّ " تكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبلتين وتباين السبيلين فليتأمل .

وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الأول فريق خاص " ⁽⁹⁾ فايبراد التكرار بالاسم الموصول قد منح النص إحياء واضحاً في التعبير .

ومن الصيغ الأخرى تكرار حرف الجر تمثل ذلك في قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(1) ينظر : التحرير والتنوير 130/8.

(2) النور /50.

(3) ينظر : التفسير الكبير 21/24.

(4) التحرير والتنوير 271/18.

(5) الرعد/5.

(6) ينظر: مدارك التنزيل 137/2.

(7) ينظر: التحرير والتنوير 91/13.

(8) البقرة/ 4.

(9) إرشاد العقل السليم 39/1.

الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً النُّفُوزِ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾ ،
تتبنى هذه الآية على تكرار لفظة (على)، ويمكن الاستغناء عنها بيد أن ذكرها أفاد معنى
التأكيد ونلاحظ الدقة في أداء المعنى تتأتى من أن المؤمنين حقاً هم نسخة من الرسول أنزل
عليه وعليهم السكينة بالتصحيح بالحرف (على) ويعقب السكينة التناسق العميق الحاصل
بين دلالة الألفاظ والمعاني التي أدتها (2) .

ومن التكرار في الصيغ تكرار حرف الإضراب (بل) أكثر من مرة وذلك في قوله
تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمَ بَلْ أَفْتَرِيهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ... ﴾ (3) فحمل تكرار (بل) في
طياته " تصوير الاضطراب الذي سقطوا به حتى إنهم لا يعرفون ماذا يقولون في شأن محمد ،
فضلاً عن إشاعته نوعاً من الموسيقى التصويرية المصاحبة للحدث فالباء (حرف انفجاري
شديد) ، وكذلك اللام ليرتفع الإيقاع في الآية ويشد من خلال تكرار (بل) ثلاث مرات " (4) إنَّ
التكرار الذي جاء بالأداة (بل) كان انعكاساً لحالة الحدث الذي رافق الرسول - ﷺ - في هذه
المسألة وليصور المعنى بشيء من التكتيف. ومن التكرار في الصيغ أيضاً تكرار الضمير
المنفصل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ (5) فكرر الضمير (نحن)
وعن هذا التكرار يقول الزمخشري " تكرير

الضمير بعد إيقاعه اسماً ؛ لأن تأكيد على تأكيد لمعنى إختصاص الله بالتنزيل ليقر في نفس
رسول الله - ﷺ - أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصواباً
كأنه قيل: ما انزل عليه القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لاغيري وقد عرفتني حكيماً فاعلاً
لكل ما أفعله بدواعي الحكمة" (6) .

(1) الفتح / 26.

(2) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن / 74 .

(3) الأنبياء / 5.

(4) فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية / 73.

(5) الإنسان / 23.

(6) الكشف 200/4 ، وينظر : خصائص التراكيب ، محمد محمد أبو موسى / 176-177.

والى معنى الرأي نفسه ذهبت طائفة من المفسرين ⁽¹⁾ . فتكرار الضمير المنفصل أكد أنّ اختصاص التنزيل هو من قدرة الباري - ﷻ - لا غيره ولهذا عبر التكرار عن معنى ودلالة عميقة تضمنها النص الكريم ، ولتؤكد أنّ النص اشتمل على قيمة أسلوبية وملمح فني جاء بفضل هذا التكرار .

ومن تكرار الصيغ تكرار (اللام) التي تفيد التوكيد من ذلك قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ ﴾ ⁽²⁾ ، وقد تصدى ابن الأثير الى التكرار في هذا النص وبينه فقال: "فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبر إنّ والأولى وردت في قول المنافقين وإنّما وردت مؤكدة لأنهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي - ﷺ - وتملقوا له وبالغوا في التملق في باطنهم خلافه، وأما ماورد في الثانية والثالثة فضجيج لاريب فيه واللام في الثانية لتصديق رسالته وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه" ⁽³⁾ فإيراد التكرار بالأداة اللام أفاد معنى التأكيد كما أخبرنا ابن الأثير فعبرت عن قيمة أسلوبية واضحة لم تكن لتظهر لولا تواليها أكثر من مرة.

3- مستوى تكرار العبارة

ويمثل هذا النوع من التكرار قمة الأداء الصوتي المنبعث من النص، لما يتسم به من الشمولية والإتساع مقارنة بالأنواع المذكورة سابقاً من التكرار، فهو يعمد الى تكرار العبارة أو الجملة القرآنية داخل السياق بعد كل فقرة أو فقرتين فيمنح النص القرآني تشكيلاً صوتياً جمالياً أسلوبياً خلاباً يزرع الراحة والطمأنينة في ذهن المتلقي.

وقد كان هذا الأمر مدعاة اهتمام البلاغيين العرب القدامى، من ذلك السكاكي الذي تعرض لموضوع تكرار العبارة في الشعر والنثر في آن معاً ⁽⁴⁾ . ويأتي الزمخشري ليدلي بدلوه

(1) ينظر: التفسير الكبير 257/30 ، مدارك التنزيل 631/3 ، التحرير والتنوير 402/29.

(2) المنافقون/1.

(3) المثل السائر 243/2-244 .

(4) ينظر: مفتاح العلوم /28.

في موضوع تكرار العبارة. ويرى أن التكرار في القرآن "مطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره" (1) ولم يكن رأي ابن الأثير بعيداً عما ذهب إليه الزمخشري (2) .

فالتكرار في العبارة أو الجملة يعمل على إيقاظ ذهن المتلقي من خلال فرع الأسماع بالجرس المنبعث من ألفاظها ومن الآيات القرآنية التي تضمنها بحثنا والتي اشتملت على تكرار العبارة قوله تعالى ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (3) ، فالناظر الى التعبير يطالع تكرار عبارة (وماكنت لديهم) ، وعن فائدة هذا التكرار يقول أبو السعود " وتكرير ماكنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله - ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه الصلاة والسلام ، لاسيما إذا أريد باختصامهم تنازعهم قبل الإقتراع فأن تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له " (4) . وهكذا حمل التكرار سمة التوكيد في استقلال النبوة. وهذا لم يأت لولا تكرار العبارة وإضفاء سمة أسلوبية على النص.

ونرى تكرار العبارة يظهر أيضاً في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (5) .

فقد تضمن النص القرآني تكرار عبارة (إن ربك) مرتين ، وقد أفادت معنى التجديد والتوكيد لقدرة الباري - ﴿ كَلَّا ﴾ - في إصلاح شأن خلقه واستقامتهم (6) . فأسس التكرار سمة أسلوبية ظهرت عن طريق الإحساس بجرس اللفظ وتأثيره في السامع والخشية من الله التي غلفت النص كل ذلك جعل من التعبير متجدداً مليئاً بالإحياء .

(1) الكشف 14/1.

(2) ينظر: المثل السائر 15/3.

(3) آل عمران /44.

(4) إرشاد العقل السليم 361/1.

(5) النحل /119.

(6) ينظر: التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران /16.

ونرى تكرار العبارة في قوله تعالى ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾⁽¹⁾ وقوله ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾⁽²⁾ فتكررت العبارة مرتين وذهب الطبرسي الى ان التكرير للتأكيد والإفهام⁽³⁾ . والى المعنى نفسه ذهب الرازي بأنه للتأكيد والمبالغة⁽⁴⁾ . فقد نفى العبادة للرسول محمد - ﷺ - لأصنام قریش في الماضي والحاضر والمستقبل ، وكذلك نفى عبادة الكفار للإسلام أيضاً فتكرر الكلام على هذا النحو وهذا ماذهب اليه القدامى والمحدثون⁽⁵⁾ .

وقد خرج كل من القاضي عبد الجبار⁽⁶⁾، وابن الزبير الغرناطي⁽⁷⁾ عن هذا الرأي ولم يعدا هذا التعبير من التكرار بل إنّ لكل آية معنى وخصوصية جاءت لتعطيها.

وجملة القول في هذه الآيات والآيات الأخرى⁽⁸⁾ التي ظهر فيها تكرار العبارة أنّ التعبير القرآني يأتي بهذا التكرار لزيادة المعنى وتأكيد وتلوين النسق القرآني بمختلف أنواع التكرار ، ليعطي عذوبة في موسيقيته وجماليته. وهذا مالاحظناه على الآيات التي قمنا بالوقوف عندها.

ثانياً: تتابع التكرار بين آية وأخرى

وقد ورد هذا النوع من التكرار في آيات عدة من بحثنا قال تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾⁽⁹⁾ وقال ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

(1) الكافرون /3.

(2) الكافرون/5.

(3) ينظر: مجمع البيان 210/3-211.

(4) ينظر: التفسير الكبير 147/32.

(5) ينظر: أمالي المرتضى 121/1، أسرار التكرار في القرآن /226 ، المثل السائر 7/3، الجامع الكبير/205 ، بدائع الفوائد 133-141 ، البرهان ، الزركشي 20/3-22 ، الإتيان 851-852، إعجاز القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس/ 237-238 ، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان/117-118.

(6) تنزيه القرآن عن المطاعن /382-383 ، وينظر : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار 205/.

(7) ملاك التأويل 2/1150-1151.

(8) للاستزادة من الآيات التي تكررت فيها العبارة تنظر: المائدة/41 ، الأنفال/13 ، 33، الإسراء/20 ، 78 ، فاطر /42.

(9) البقرة/149.

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴿⁽¹⁾ وفي دلالة هذا التكرير يرى النسفي أَنَّ التكرار " لتأكيد أمر القبله وتشديده ؛ لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا " ⁽²⁾ وقريب من هذا المعنى قول أبي السعود ؛ إذ يقول " والتكرير لما أَنَّ القبله لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة غب أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة " ⁽³⁾ بيد أن الطاهر ابن عاشور لم يعط دلالة لهذا التكرار واكتفى بوصفه قائلاً " وقد تكرر الأمر باستقبال النبي الكعبة ثلاث مرات، وتكرر الأمر باستقبال المسلمين الكعبة مرتين " ⁽⁴⁾ ونحن نرى أن رأي النسفي الأقرب الى الحقيقة من غيره وأن التكرار أفاد معنى التوكيد والثبات. ومن تكرار آية مع أخرى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ ...﴾ ⁽⁵⁾ وقال أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ ⁽⁶⁾ وعن دلالة هذا التكرار يرى أبو السعود ان " تكرر الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الأعتناء بشأن الأمور به " ⁽⁷⁾ أما ابن عاشور فيقول " أعيد نداء النبي - ﷺ - للتتويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء " ⁽⁸⁾ فجاء تكرار النداء ليفتح آفاق أرحب في معرفة المعنى الذي جاءت من أجله الآية الكريمة ولتؤسس قيمة أسلوبية بفضل هذا التكرار وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا ...﴾ ⁽⁹⁾ وقال أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا ...﴾ ⁽¹⁰⁾ فورد تكرار الآيتين بصيغة النداء يقول الزمخشري " إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الإستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغلو عن تأملهم ، وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله - ﷺ - من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم

(1) البقرة/150.

(2) مدارك التنزيل 100/2.

(3) إرشاد العقل السليم 211/1 وينظر: التفسير الكبير 154/4-155.

(4) التحرير والتتوير 66/10.

(5) الأنفال /64.

(6) الأنفال / 65.

(7) إرشاد العقل السليم 373/2.

(8) التحرير والتتوير 66/10.

(9) الحجرات/1.

(10) الحجرات/2.

وذلك ؛ لأن إعظام صاحب الشرع إعظام ماورد به " (1) ويعطي الرازي خمس فوائد لهذا التكرار وإعادة النداء فيقول : " منها أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كما في قول لقمان لأبنه (يا بني لا تشرك بالله ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة ، يا بني اقم الصلاة) لأن النداء لتنبيه المنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه ، فأعادته تفيد ذلك ، ومنها أن لايتوهم متوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً فإن من الجائز أن يقول القائل يا زيد أفعل كذا وقل كذا يا عمرو " (2) وذهب أبو السعود في دلالة هذا التكرار إلى أن " إعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه والإشعار باستقلال من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه " (3) وعلل ابن عاشور السبب قائلاً " إعادة النداء ثانياً للاهتمام بهذا الغرض والإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه " (4) فضلاً عن ذلك فهناك آيات قرآنية جاء فيها التكرار بين آية وأخرى (5).

(1) الكشف 554/3 ، وينظر: النظم القرآني في كشف الزمخشري /141 ، منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصاوي الجويني / 228.

(2) التفسير الكبير 112/28.

(3) إرشاد العقل السليم 607/5.

(4) التحرير والتنوير 219/26.

(5) للاستزادة من هذه الآيات تنظر : (يونس /34 - يونس /35) (المؤمنون/97- المؤمنون/98) (العنكبوت /53-العنكبوت/54).

المبحث الثالث

الجناس

يعرّف الجناس لدى البلاغيين بأنه : إتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع الاختلاف في المعنى ⁽¹⁾ . فللجناس وظيفتان من ناحية الشكل والمضمون، فهو شكلاً يزيد من الناحية الإيقاعية والنغمية ، أما مضموناً فيزيد من الانسجام بين المعاني وذلك عن طريق الأسلوب السلس والمحبيب، ويمكن أن يعد الجناس صورة من صور العدول عن الأصل ، فاللفظ إذا حمل معنى ثم نراه يتكرر ويحمل معنى آخر عندئذ يكون ذلك خروجاً عن المؤلف مما يحدث الدهشة والاعجاب والنشوة في ذهن المتلقي أو المخاطب.

ويبدو لنا أنّ ابن الأثير كان أكثر البلاغيين القدماء عمقاً في الوقوف عند موضوع الجناس الذي استهواه كثيراً فراح يقول عنه " التجنيس غرة شاذخة في وجه الكلام ، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحدثين منهم " ⁽²⁾ وعن سبب تسميته بالجناس فعلل ابن الأثير السبب قائلاً " ، وإنّما سمّي هذا النوع من الكلام مجانساً ؛ لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد " ⁽³⁾ ، وتابع ابن حجة الحموي الرأي نفسه في سبب تسميته بالجناس ⁽⁴⁾ .

ولعل الذي يهمننا أكثر من غيره هنا هو أنّ البلاغيين القدامى ينظرون الى الجناس بعدّه " أقرب النمطيات الى الناحية الصوتية الخالصة، وقد تناولوه بتفريعات معقدة حرصاً منهم على أن يتمثل في التركيب أقصى درجات التوازن " ⁽⁵⁾ بيد أن " إختلافات كثيرة قامت بينهم في شأنه منذ القديم ولم تتبلور الا بعمل الزمان لا بعمل المجتهدين ، وهذه المشاكل

(1) ينظر: قواعد الشعر ، ثعلب / 65 ، كتاب البديع ، ابن المعتز/ 25 ، مفتاح العلوم / 429 ، المثل السائر 342/1 ، الإيضاح / 216 ، كتاب الطراز العلوي 351/3 ، الإتيقان 920/2 ، معترك الأقران ، السيوطي 303/1.

(2) المثل السائر 342/1 .

(3) نفسه ، الصحيفة نفسها وينظر : الجامع الكبير / 256.

(4) ينظر: خزنة الأدب / 22.

(5) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب / 218- 219.

أهمها قضية الدال اذن قضية المصطلح ثم قضية المدلول أي حد الجنس ، ومنها قضية الأنواع التي تتدرج في صلبه " (1) .

وهكذا يكتسب الجنس أهمية بارزة ، تتأتى أهميته من المنحى الجمالي الذي يضيفه على النص فهو " من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع وتحدث في نفسه ميلاً الى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة ، فتجد في النفس القبول ، وتتأثر به أي تأثير، وتقع في القلب احسن موقع " (2) وللجنس أنواع كثيرة يستعملها نجلها جميعاً ثم نقوم بتفصيلها لاحقاً وهي على النحو الآتي:

أولاً: الجنس التام : وينقسم على نوعين : الجنس التام المماثل ، والجنس المستوفي .
ثانياً: الجنس المعكوس : ويتم بنوعين هما : عكس الألفاظ، وعكس الحروف، ونرى الجنس المعكوس نادر الاستعمال وينحسر الى درجة كبيرة ولن نقف عنده.
ثالثاً: الجنس غير التام (الناقص) : ويتألف من أنواع هي : جناس الترجيع، وجناس التصريف، وجناس قلب البعض ، والجناس اللفظي، الجنس المحرف، والجناس المزوج ، والجناس المصحف.

ويلحق هذه الأنواع من الجنس نوعين آخرين هما :

- 1- جناس الاشتقاق : ويضم نوعين هما : جناس الاشتقاق المماثل، وجناس الاشتقاق المغاير .
- 2- الجنس المشابه: ويضم نوعين أيضاً هما : الجنس المشابه المماثل، والجناس المشابه المغاير (3) .

وسنحاول أن نقف عند أكثر هذه الأنواع دورانا في بحثنا مفصلين الحديث في هذه الأنواع تنظيراً وتطبيقاً .

أولاً: **الجناس التام :**

(1) خصائص الأسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي / 64.

(2) البديع في ضوء أساليب القرآن ، عبدالفتاح لاشين / 155.

(3) ينظر: في تقسيمات الجنس وأنواعه : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب

وهو أن يتفق اللفظان " في أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها" (1) .
ومن الآيات التي تضمنت الجناس التام قوله تعالى : ﴿ يَقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ
يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (2) فالناظر الى التعبير يلحح مجيء
الجناس التام المفرد بين (من - من) وهو جناس بين حرفين ، فقد تعدى الجناس حدود
الجمال الموسيقي واتصل بمدلول اللفظة داخل سياقها وهنا لفت الجناس نظر المخاطب
الى وجود ظاهرة أسلوبية عبرت عن التقارب بين المدلولين المتجانسين .

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَغْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ
خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (3) ، فالجناس التام المفرد
يتمثل في لفظتي (خيرا ، خيرا) وهو جناس بين اسمين فاللفظتان وردتا متماثلتين في
الحروف غير أنهما أدت معنى مختلفا داخل سياقها فاغنت النص بمعانٍ أنقذت التعبير
عن الرتابة، وحولت ذهن المخاطب الى تخيل جمال الدلالة وعذوبتها . وكل ذلك جاء
بفضل وجود الجناس التام . وقد أفاد الجناس في هذا التعبير غرض التوكيد أي توكيد
الخير في نفوس مخاطبيه .

وقال تعالى ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ... ﴾ (4) وقال
بعدها ﴿ ... فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (5) فنطالع وجود الجناس التام المفرد بين
قوله (جعل - جعل) في الآيتين ، وقد تماثل اللفظان في كونهما جناساً تاماً بين فعلين بيد
أن لكل واحد دلالته داخل سياقه الذي ورد فيه ، فالخصيصة الأسلوبية وردت في مجيء

(1) التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني/ 388، وينظر: المعنى نفسه في: خزانة الأدب/30،

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 64/2.

(2) الأحقاف / 31 ، وللاستزادة من الآيات التي تضمنت الجناس التام المفرد بين حرفين . ينظر:

المائدة/48، الحج/25.

(3) الأنفال: 70 ، وللاستزادة من الآيات التي تضمنت الجناس التام المفرد بين اسمين ينظر:

البقرة/215 ، النور/43-44، سبأ /50-51 ، 52-53.

(4) الفتح /26.

(5) الفتح / 27 ، وللاستزادة من الآيات التي تضمنت الجناس التام المفرد بين فعلين ، ينظر:

يونس/31.

الجناس بين الفعلين ليمنحا التعبير شحنات اسلوبية واضحة تعدت حدود الإطار الموسيقي الى إطار دلالي كذلك، مما منح النص سمة الإبداع والتفرد والدهشة داخل المتلقي.

ثانياً: **الجناس غير التام (الناقص) :**

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأنواع المذكورة آنفاً (أنواع الحروف وأعدادها وهيأتها وترتيبها) . ومن أشكال الجناس غير التام : جناس الترجيع ، وجناس التصريف، وجناس قلب البعض، والجناس اللفظي، والجناس المحرف، والجناس المزدوج ، والجناس المصحف ⁽¹⁾ . وسنتعرض الى أكثر هذه الأشكال دورانا في بحثنا موضحين قيمتها الأسلوبية داخل السياق الذي ظهرت فيه من ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ⁽²⁾ فالجناس غير التام (الناقص) يتمثل في لفظتي (مداداً) و (مدداً) وهي جناس الترجيع المكتنف فالطرف الأول هو لفظة (مداداً) ، وهي هنا بمعنى الحبر الذي تمد به الدواة، في حين جاءت لفظة (مدد) في الطرف الثاني بمعنى الزيادة واللفظتان على الرغم من اتحادهما في الجذر اللغوي لكل منها إلا أنها تختلف من ناحية الدلالة التي وردت فيها. فالمفارقة حصلت بين لفظة (مداد) وعدلت عنها الى لفظة (مدداً) لتحقيق قفزة أسلوبية تعبيرية في الاداء.

فجاء الجناس المكتنف ليحقق وحدة موسيقية وترجيحاً نغمياً بفضل تشابه الحروف بين اللفظتين وليمنح النص عمقا دلاليا عن طريق اختلاف المعنى في كل منها والعلاقة عكسية قائمة على التضاد بين حركة الامتداد لماء البحر وكتابة كلمات الله من غير توقف، فلا تنتهي هذه الكلمات إلا بنهاية ماء البحر ونفاذه، في حين جاء بلفظة (مددا) الدالة على الزيادة غير أنها ضئيلة جداً أمام علم الله وقدرته. هذا على نطاق الدلالة ، أما على نطاق الناحية الصوتية فهناك تنوع في الزمن الإيقاعي للفظتين، فلفظة (مداداً) أطول من الزمن الإيقاعي لكلمة (مدداً) تواسجاً مع متطلبات الدلالة "فالبحر كل مكان جامع للماء الكثير وهنا جاء مثلاً للمداد فاحتاج الى هذا الزمن الإيقاعي والطويل بما ينسجم مع المعنى أما المدد فهو دال على الزيادة ولكن إزاء كلمات الله فهو ضئيل جداً فجاء الزمن

(1) ينظر: تعريف هذه الأشكال في : المثل السائر 349/1 - 350.

(2) الكهف /109.

الإيقاعي أقصر معبراً عن أنّ هذه الزيادة في المداد متناهية أما علم الله فهو غير متناه" (1).

ومن الآيات الأخرى التي تضمنت الجناس غير التام (الناقص) قوله تعالى : ﴿وَمَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (2) ، فنرى الجناس بين (غوى) و(هوى) وهو جناس التصريف المضارع فاللفظتان متشابهتان في حروف الواو والالف، ومختلفة في حرفي (الغين) و (الهاء) هذا التقارب بين اللفظتين قد أفاد شيئاً من كسب انتباه المخاطب فضلاً عن الإيحاء الذي غلف التعبير كذلك التضاد القائم بين تنوع حرفي الغين والهاء في اللفظتين ، غير أننا نجد أنّ دلالة كل منهما متقاربة في معناها فلفظة (غوى) بمعنى الضلال المؤدي الى فساد الرأي وتعلقه بالباطل.

أما لفظة (هوى) فهي بمعنى : الباطل واللغو في القول (3) . وهكذا نرى التقارب الكبير في المعنى بين اللفظتين على الرغم من اختلاف الحروف والهيئة. فالقيمة الأسلوبية تتوضح في أنّ الجناس جاء لغرض وإفادة التوكيد فالرسول محمد ﷺ - لم يأت به الضلال والباطل ، بل جاء بالمحبة البيضاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، فالجناس المضارع ادى سمة أسلوبية تعبيرية قائمة على المفاجأة والدهشة في تخيل المخاطب.

ونرى الجناس غير التام (الناقص) أيضاً في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْخَرُونَ مِمَّنْ أَوْصَفُوا نَاصِرًا وَاقِلًا عُدَدًا ۖ قُلْ إِنِّي أُدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (4) فالجناس هنا نلمسه في لفظتي (ابداً، امداً) اذ اتفق الوزن واختلف التركيب بحرف واحد وهو من جناس التصريف المضارع ، وقد افاد هذا الجناس ناحية دلالية أكثر منه في الناحية الصوتية ، ويمكن لنا أن نعدل بالفاظ بديلة إلا أنها لاتمنح النص القيمة الأسلوبية المتأنية من إستعمال لفظتي (ابداً، وامداً) فكل منها دلالتها

(1) الجناس في القرآن الكريم ، أسماء سعود الخطاب (رسالة ماجستير) /99.

(2) النجم /2-3.

(3) ينظر: الجناس في القرآن الكريم /128.

(4) الجن /23-25.

التي تختلف عن الأخرى، لفظة (ابدا) تعني مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ أي دلالة الخلود والدوام. أما لفظة (امدا) فتعني مدة لها حد مجهول على إعتبار الغاية (1).

لفظة (ابدا) عبرت عن مغزى دلالي هو دلالة الخلود والدوام في نار جهنم لمن يعص الله ورسوله ، في حين دلالة (امدا) تفيد معنى زمن منتهي لتناسب مقام الرسول وما يشعر به . " فأحدث الجناس المضارع نغمة إيقاعية تعلو وتنخفض يصحبها ضغط على الشفتين متأت من نغمة الأصوات نفسها ، فالجناس يربط بين زمنين متضادين (أبداً) زمن غير منته و(امدا) زمن منتهي بما ينسجم مع يقين الرسول محمد - ﷺ - بأن ذلك اليوم آت لا بد منه ؛ لأنه قد برز الوعيد به ممن لا يخلف الميعاد" (2) فالدلالة تحمل سمة أسلوبية هي استعمال كل لفظة داخل سياق مناسب لها على اساس تقابلي، من حيث إن كلا منهما يشير إلى نقيض ما يشير إليه الآخر . وهذا ما يجعل المخاطب يتدبر بإمعان الإيحاء الذي غلف التعبير الكريم وجعله خلافاً مبدعاً.

وهناك آية أخرى ورد فيها الجناس غير التام (الناقص) هي قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ...﴾ (3) فالنص الكريم اشتمل على الجناس غير التام بين لفظتي (اهدى) و(احدى) ، وقد زعم الطاهر بن عاشور أن الجناس من نوع الجناس المحرف (4) . ولست ادري كيف سوغ لنفسه أن يصف الجناس بالمحرف؟ هل نسي أو غفل عن كون الجناس المحرف هو تطابق في اللفظ واختلاف في الحركة ؟ في حين الجناس في هاتين اللفظتين اختلاف في الحروف وهي (الهاء) و (الحاء) ، وأنا أعتقد أن الجناس في هذا التعبير هو جناس التصريف المضارع ، وهو ماتؤكدده طبيعة البنية التركيبية للفظتين ودلالاتها داخل السياق الواردة فيه مما يمنح النص عمقا في الدلالة وشحنة في الناحية الصوتية. ونجد الجناس غير التام (الناقص) أيضاً في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ...﴾ (5)

(1) المفردات / 29 .

(2) الجناس في القرآن الكريم / 126.

(3) فاطر / 42.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 332/22.

(5) النساء / 83.

فالجناس التام يتمثل في لفظتي (أمر) و(أمن) ، واتفق الوزن واختلف التركيب بحرف واحد هو حرفي (الراء والنون) ، وهو من جناس التصريف المضارع، ونرى اللفظتين على الرغم من التقارب الصوتي في حروفهما إلا أنَّ الدلالة تختلف من لفظة الى أخرى ، فلفظة (أمر) تعني الشأن ، وهي هنا بمعنى الخبر بقرينة الفعل (أذاعوا به) ، أما دلالة (أمن) فهي الطمأنينة المؤدية الى السكون (1) .

وهكذا عمل الجناس المضارع على العدول باللفظ من معنى الى آخر لتصوير حالة العتاب الذي خاطب بها الباري - ﷻ - للمسلمين بسبب تسرعهم في إذاعة الأخبار، هذا الأمر عبّر عنه التعبير القرآني أصدق تعبير بفضل وجود الجناس المضارع بين اللفظتين ، وهي سمة أسلوبية ذات قيمة فنية واضحة تتميز بالتفرد والأبداع . " فجمع الجناس المضارع بين الطرفين بإيقاع بطيء ناتج عن تردد صوت (النون) الذي جاء على شكلين الأول هو (النون الكاملة) في (من الأمن) ، أما الشكل الثاني فهو التثوين في (أمر) الذي خفف من شدة الإيقاع الترددي لصوت (الراء) فانبعث الإيقاع المتجانس مشوباً بنغمة تنطوي على تأنيب خفي موجه الى المسلمين بسبب تسرعهم في إذاعة الخبر، فمهد الجناس بإيقاعه العقل البشري لاستقبال التصرف الأمثل في مثل هذه الأمور ، وهذا ماخبر عنه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ في الآية نفسها (2) .

ونصل في الحديث عن الجناس غير التام (الناقص) الى قوله تعالى ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) فالجناس في الآيات الكريمة يظهر في قوله (مجنون - ممنون) وهو جناس التصريف اللاحق ، فقد تماثل اللفظان واتفقا في الوزن واختلفا في التركيب بحرف واحد هو (الجيم) و(الميم) ، فعدل التعبير الى معنى مغاير للمعنى السابق يؤكد ذلك دلالة اللفظتين، فضلا عن الطبيعة الموسيقية لكل منها فاللفظة الأولى (بمجنون) ذات موسيقى قوية مدوية بفضل قوة حروفها وشدتها لتعبر عن فضاغة وشناعة ما ادعوه في رسولهم الكريم - ﷺ - والصاق صفة الجنون ليتواشج مجيء الحروف الشديدة مع إيراد التعبير بصيغة النفي لينفي عن رسوله هذا الافتراء،

(1) المفردات /30.

(2) الجناس في القرآن الكريم /135.

(3) القلم /2-3.

يقابل ذلك تضاد واختلاف في اللفظة الثانية (ممنون) إذ جاءت حروفها سهلة لينة لتمنح النص نغمة محببة في النفوس تستلذ لسماعها. فانتقل التعبير من سياق القوة والشدة في الطرف الأول الى سياق اللين والسهولة في الطرف الثاني عبر تماوج في الحركة والنغم (1)

فالخصيصة الأسلوبية في النص الكريم ظهرت في هذه الانتقالات على صعيد الدلالة والصوت لتؤكد المعنى المطلوب من الآية ، فالتماثل والتقارب بين حروف الكلمتين منح النص دفقا موسيقيا تعبيريا زاد من ثراء المعاني ، وزرع في نفس المخاطب الهزة والدهشة والإعجاب.

كما رأينا الجناس غير التام (الناقص) يتحقق في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (2) ، فنرى الجناس يظهر بين لفظتي (تظلمون) و(تظلمون) وهو جناس محرف (3) قائم على اختلاف الحركة، أي جناس مزدوج ، فالطرف الأول وهو لفظة (تظلمون) جاءت بفتح التاء، أما الطرف الثاني (تظلمون) فجاءت بضم التاء، وهنا يلعب الجناس تأثيره في خروج اللفظ من معنى إلى معنى آخر يناقض المعنى الأول على الرغم من تطابق اللفظتين شكلاً وعدد أحرف ، فقد منح النص عذوبة موسيقية عن طريق الترجيع النغمي الذي مثل ملمحاً أسلوبياً جاء عن طريق تكرار اللفظة نفسها. وهنا رأينا أن " الحركة بين لين (الفتحة) وشدة (الضمة) جاء منسجماً مع المعنى فظلم الإنسان لغيره يكون أخف وطأة على الظالم، من وقع الظلم على النفس من غيره فعادل الجناس بإيقاعه بين الطرفين، فوجود الطرف الأول وتحقق العدل فيه أساس لوجود وتحقق العدل في الطرف الثاني على نحو متوازن، وهذه هي سنن العدل " (4) فالجناس مثل عدول في المعنى بين اللفظتين على الرغم من التشابه الذي يجمعهما ، وهي خصيصة أسلوبية ذات أبعاد فنية كبيرة. ومن

(1) ينظر : فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية / 83-84.

(2) البقرة / 279.

(3) يعرف الجناس المحرف بأن " تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها " ، المثل

السائر 349/1.

(4) الجناس في القرآن الكريم / 146-147.

الآيات التي حوت الجناس غير التام (الناقص) هي : وقال تعالى ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ...﴾⁽¹⁾ فالناظر الى النص الكريم يلمس " الجناس المحرف حاصل بين الطرف الأول (آمنوا) بفتح الميم بمعنى التصديق الذي معه آمن والطرف الثاني (آمنوا) بكسر الميم بمعنى الثبات والدوام، بلفظتين متساويتين في اللفظ مختلفتين في الوزن"⁽²⁾ وهو جناس محرف باختلاف الحركة أي جناس مزدوج، وهذا التطابق بين اللفظتين أفاد شيئاً من كسب انتباه المتلقي، فالظاهرة الصوتية هنا خدمت الدلالة فأفاد الاقتران اللفظي بين الكلمتين أفاد غرض التوكيد لوجوب الإيمان بالله والرسول والكتاب مما منح النص القرآني سمة أسلوبية خلاقة تعدل فيه الى معاني متعددة وتأويلات مختلفة يمكن أن يتصورها المخاطب عبر التخيلات التي يستحضرها في تلقي النص. فعمل الجناس المحرف على إبراز إيقاع " متراوح من لين الى شدة لأختلاف درجة الإيقاع باختلاف حركة الميم (الفتحة) في الطرف الاول (آمنوا) بما ينسجم مع دلالة الايمان العامة وحركتها في الطرف الثاني الكسرة (آمنوا) بما ينسجم مع الشدة المتأتية من صيغة الأمر الالهي"⁽³⁾، فاختلف الحركة أدى إلى اختلاف الدلالة فجعلها أكثر إيحاءً في تحقيق الغرض المطلوب من النص عبر الخصائص الصوتية التي حملها. ونجد الجناس غير التام (الناقص) في قوله تعالى ﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾ .

فالجناس في النص الكريم " بين (هواه) و (هدى) جناس محرف وجناس خط"⁽⁵⁾ فالجناس عمل على بنية تضاد تقوم على التناظر بين المتجانسين كما أنه تعدى حدود الجمال الموسيقي الى إعطاء المدلول اللفظي قيمته داخل السياق ، فلفت نظرنا الى ظاهرة

(1) النساء/136.

(2) الجناس في القرآن الكريم / 147-148.

(3) نفسه/ الصحيفة نفسها .

(4) القصص/50.

(5) التحرير والتنوير 142/20 ، وجناس الخط في الأصل هو (الجناس المصحف) ويسمى جناس الخط ويعرف بأنه " ما تماثل ركناه في الخط، وتخالفا في النقط " ، التصوير البياني، حفني محمد شرف/ 278.

أسلوبية جلبها العدول باللفظ من معنى الى معنى مغاير الى اللفظ السابق. وهكذا رأينا من خلال الآيات التي وقفنا عندها والآيات الأخرى ⁽¹⁾ أَنَّ الجناس غير التام (الناقص) كانت له سمات حضورية واضحة في أثناء موضوعنا ويلحق بأنواع الجناس المذكور آنفاً أنواع أخرى هي :

1- جناس الاشتقاق

وهو أن يجمع اللفظين أصل واحد في الاشتقاق ⁽²⁾ . أو " ماتجانس ركناء في الأصل واختلفا بالهيئة إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين " ⁽³⁾ ويقسم على قسمين : جناس الاشتقاق المماثل، وجناس الاشتقاق المغاير، وسنبداً بالمماثل من ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ ⁽⁴⁾ .

فنرى جناس الاشتقاق المماثل بين لفظتي (دعوة) و(الداع) وقد اشتقا من اصل لغوي واحد هو (دعا) ⁽⁵⁾ .

فضلاً عن اجتماع أصوات المد الطويلة المفتوحة والمكسورة والمضمومة لتضفي نغماً جميلاً ومحبياً، فالنص الكريم اشتمل على أسلوب رقيق وعذب عن طريق الإيقاع البطيء فتزرع في نفس الداعي الطمأنينة والسكينة والرحمة ، وكل ذلك يقرب المسافة بين الرب الكريم والعبد الداعي والطامع برحمة خالقه فنلاحظ التواشج الواضح بين اللفظة المستعملة ودلالاتها التعبيرية . وكل ذلك جاء بفضل وجود جناس الاشتقاق المماثل وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❀ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❀ وَلَا أَنْتُمْ ... ﴾ ⁽⁶⁾ فورد جناس الاشتقاق المماثل بين لفظتي (أعبد) و(تعبدون) وعلى " تقدير الجميع راجع الى العبادة

(1) للاستزادة من الآيات التي ورد فيها الجناس غير التام (الناقص) ينظر: البقرة/219، المائدة/3 ، الأنعام/63، 214، القصص/45 ، سبأ/46-47، فصلت/44، القمر/2-3 ، الحشر/11/.

(2) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن/162 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 61/2.

(3) التكرير بين المثير والتأثير/207.

(4) البقرة/186.

(5) ينظر : الجناس في القرآن الكريم /180.

(6) الكافرون/1-5.

والمعنى في الاشتقاق راجع الى أصل واحد " (1) فالخصيصة الأسلوبية المتأتية من إيراد جناس الاشتقاق هو أن اللفظين يعودان إلى جذر لغوي واحد بيد أنها جاءت لتضفي ضلالاً موسيقية ودلالية في آن واحد بحسب السياق ومتطلباته، وكل هذا الأمر قد تحقق ؛ لأن الآيات كانت مسترسلة في حوار بين الرسول - ﷺ - والكافرين فالفعل تنوع بتنوع صيغ الحوار وانعكس ذلك على دلالاته في الحالتين. فلكل لفظة موقعها المناسب في توضيح المقصود من النص. وهنالك النوع الآخر من جناس الاشتقاق وهو المغاير. من ذلك قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمْنًا رَبَّنَا فَاعْفُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (2) .

فالجناس هنا جناس الاشتقاق المغاير وقد تمثل في لفظتي (مناديا) وهو اسم فاعل، ولفظة (ينادي) وهو فعل مضارع واللفظتان اشتقتا من (النداء) والمنادي: هو الذي يرفع صوته بالكلام (3) وقد حلل القاسمي القول في هذا النص فقال " لما فيه من الإيذان برفع الصوت (ينادي للإيمان) أي لأجل الإيمان بالله فإن قلت : فأى فائدة في الجمع بين (المنادي) و(ينادي)؟ قلت : ذكر النداء مطلقاً، ثم مقيداً بالإيمان، تفخيماً لشأن المنادي، لأنه لامنادى أعظم من منادٍ ينادي للإيمان " (4) .

فمثل الجناس ملمحاً أسلوبياً أدى المعنى بأوجز عبارة ومنح المتلقي آفاق رحبة في تخيل دلالة العبارة وليكرس النص تكثيف في المعنى عبر صيغة الإيمان وماتوحيه في النفس بالتأمل والتدبر والوقوف عند حدود التعبير الكريم وخصائصه الصوتية فالتقارب الصوتي بين اللفظتين والترديد النغمي للألفاظ كانت لغرض مهم أفاد التوكيد أي تأكيد علو صوت المنادي عند ذكر الإيمان وتوابعه.

(1) خزانة الأدب / 25 ، وللاستزادة من الآيات التي حملت جناس الاشتقاق المماثل: ينظر:

آل عمران/ 3 ، 31 ، 68 ، 119 ، النساء/ 41 ، الأعراف/ 176 ، التوبة/ 6، هود /114، الأنبياء/34، المؤمنون/118 ، الأحزاب / 38 ، الشورى / 23، الطور /42.

(2) آل عمران /193.

(3) ينظر: الجناس في القرآن الكريم / 189-190.

(4) محاسن التأويل 1070/4.

وقال تعالى ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1) فجناس الاشتقاق المغاير يتمثل في قوله (قربا) وهو فعل اشتق من القربات ويعني الوسيلة التي يطلب بها القربة عند الله - ﷻ - ، غير أن التعبير لم يفصح عن بيان أي نوع للقربة فيه، فذكر في الطرف الآخر قوله (قربانا) وهو اسم جنس اشتق من (قرب يقرب) (2) . فعمل الجناس على إحداث تردد صوتي من خلال تكرار حروف القاف والراء والباء لتصور المعنى باجمل صورة فوردت لفظة (قربانا) وأفادت غرض التوكيد ، وليوحي اللفظ بذلك القربان الذي ورد في قصة قابيل وهابيل وليفصح عن شحنة أسلوبية فنية لاتنتأى لولا وجود جناس الاشتقاق المغاير .

وقال تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (3) .

فالمفحص للنص يطالع جناس الاشتقاق المغاير بين لفظتي (البصائر) و(أبصر) وملاحظة مناسبة في الأبصار والبصائر (4) . فوردت لفظة (بصائر) وهي اسم عبارة عن جمع بصيرة وهي عقيدة القلب والمعرفة الثابتة باليقين (5) .

فالتواشج بين اللفظتين كان على الصعيدين الصوتي والدلالي ، إذ توجي هذه الألفاظ بالنور الذي رافق مجيء الإسلام ورسوله ، وهذا النور لا يتمعن في أسرارهِ إلا من له بصيرة وعقل ، ومعرفة ترشده الى المنهج القويم ، فجناس الاشتقاق المغاير دلل على السمو المعنوي الذي يتواشج مع السمو المادي في معرفة هذه البصائر وتقهمها وهو ملمح أسلوبى عبر عنه النص الكريم.

وقال تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ (1) فنرى جناس الاشتقاق المغاير بين الفعل (يدع) والاسم (الداعي) واللفظتان يعودان الى جذر لغوي واحد هو (دعا) .

(1) المائدة /27.

(2) الجناس في القرآن الكريم /193-194.

(3) الأنعام/104.

(4) ينظر: التحرير والتتوير 420/7.

(5) ينظر: الجناس في القرآن الكريم /191.

ويعطي الرازي عدة وجوه في معنى لفظة (الداعي) فيقول : " أحدها أنه اسرافيل (وثانيها) أنه جبريل (وثالثها) أنه ملك موكل بذلك " (2) فضلاً عن ذلك فالجناس بإيقاعه الشديد يوحي بصورة دقيقة ومرعبة لأهوال يوم القيامة، فالداعي " الذي يدعو الناس الى موقف القيامة فسيحشرهم اليه وقد خشعت أبصارهم ونكست رؤوسهم وأدركوا حقيقة النفير الذي يدعوهم " (3) .

فضلاً عن ذلك فإن لفظ الداعي " في المجال اللغوي استعمل للدلالة على معانٍ مختلفة قد تبدو بعيدة الأصل عن المعنى القرآني ، ولكن معرفة الصور الحسية التي تفرعت عنها تعيننا على ربط المعاني بعضها ببعض وفهمها من التعبير القرآني الكريم " (4) .

وجناس الاشتقاق المغاير أكد إحياء اللفظ بفضل مجيئه داخل إطار سياقه وليعبر عن فهم واضح للنص في اطار صور القيامة واهوالها ، وهو ظاهرة أسلوبية تعمل على تحريك ذهن المخاطب وتجديد تخيله.

وقال تعالى ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّقُونَ ﴾ (5) ، وقد اكتفى الطاهر بن عاشور في توضيح الجناس في الآية الكريمة بقوله " وبين (اقم) و(القيم) محسن الجناس " (6) .

والى المعنى نفسه ذهب أحد الدارسين (7) .

فالقيمة الأسلوبية تستحضر بوجود الظاهرة الصوتية للنص وعمق الدلالة المنبعثة منها ليخرج جناس الاشتقاق المغاير بالتعبير عن حدوده الطبيعية ويعدل به الى معانٍ ودلالات مختلفة لاتحدها حدود.

(1) القمر/6.

(2) التفسير الكبير 33/29.

(3) التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة، ابتسام مرهون الصفار / 28.

(4) نفسه / 29.

(5) الروم/43.

(6) التحرير والتنوير 115/21.

(7) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطويرها 100/2.

وجملة القول في هذه النصوص والنصوص الأخرى ⁽¹⁾ من الآيات القرآنية الكريمة أنَّ نسبة جناس الاشتقاق المغاير أكثر منه عند النوع الآخر (المماثل) . مما منح التعبير الكريم سمة الابداع والخلق والابتكار في إيجاد دلالات مختلفة.

2- الجناس المشابه :

وهو " أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق، ذلك بأن يوجد في كل اللفظين جميع مافي الأخرى من الحروف أو أكثرها لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق " ⁽²⁾ وقد انحسر هذا النوع في بحثنا الى حد التندر وذلك في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... ﴾ ⁽³⁾ فالتمتعن في النص الكريم يلمس مجيء " الجناس هنا باللفظين (حاجك) و(جاءك) ، فقد أفادت الأولى دلالة معنوية على من يحتاج من النصارى في عيسى - عليه السلام - وأما الثانية فقد أفادت دلالة معنوية على المجيء بالبيانات الموجبة للعلم والبيان " ⁽⁴⁾ فالجناس عبّر عن حالة متماثلة الى حد ما موسيقيا عبر تشابه الحروف وحالة متغايرة في دلالة لفظها ، ليؤلف صورة تعبيرية ذات ملامح أسلوبية كبيرة تعمل على خلق الدهشة والإعجاب في نفس المتذوق لها ، وكل ذلك قد حصل بسبب وجود الجناس المشابه، وتدفعه بهذه الحيوية الإيحائية في النص.

(1) للاستزادة من الآيات التي تضمنت جناس الاشتقاق المغاير ينظر: البقرة /151، آل عمران/81، 159 ، النساء /60، 81، الأنعام /70، الأنفال /7، التوبة/ 33 ، يونس/20، هود /121 ... الخ.

(2) البديع في ضوء أساليب القرآن /163.

(3) آل عمران /61.

(4) التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران / 36 ، وينظر: الكشاف 368/1.

المبحث الرابع الفاصلة القرآنية

للفاصلة القرآنية أثر بارز في بناء التشكيل الصوتي للآيات القرآنية بفضل التنظيم الدقيق للألفاظ واتساقها بشكل يظهر معانيها على الوجه الأمثل، ويعدّ الرماني أول من عرفها بقوله " حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " (1) ومن تعريفات الفاصلة القرآنية بانها " كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وسجعة النثر " (2) وعرفوها أيضاً بأنها " الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن " (3) ويرى الدكتور أحمد جمال العمري أنّ " التعريف الذي وضعه القدماء (للفاصلة القرآنية) ليس تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون؛ لأنّ قولهم (يقع بها إفهام المعنى) يلزم منه أن يكون للفاصلة دلالة مستقلة تتقابل مع المعنى الذي تحمله الآية التي هي فاصلتها ، وهذا مالا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض الآية أو الفواصل التي هي آيات مستقلة بذاتها " (4) وقد خلص في قوله انه " ليس من الضروري أن تكون وظيفة الفاصلة محصورة في تأكيد معنى الآية التي تصحبها أو تلخيص هذا المعنى أو تقريره ، بل ان للفواصل القرآنية وظائف أخرى غير هذا ذكرها الزركشي في برهانه " (5) ، أما عن سبب تسميتها فيقول الزركشي: " وسميت بهذا الاسم ؛ لأنها ينفصل عندها الكلامان ذلك أنّها تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها " (6) ولهذا يتجلى في القرآن إيقاع موسيقي " متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان. هذه الموسيقى القرآنية اشعاع للنظم الخاص في كل موضع وتابعة لقصر الفواصل وطولها كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة ولانسجام

(1) النكت في إعجاز القرآن / 89 ، وينظر: التنعيم اللغوي في القرآن الكريم / 85.

(2) الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي/ 29 ، وينظر : أبحاث في أصوات العربية ، حسام

سعيد النعيمي/143.

(3) من بلاغة القرآن / 75.

(4) مباحث في إعجاز القرآن /170.

(5) نفسه : الصحيفة نفسها.

(6) البرهان 54/1.

الألفاظ في الفاصلة الواحدة... على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً ، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وتضمن في الوقت ذاته من خصائص الشعر الموسيقي الداخلية والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التقاعيل ، والتقفية التي تغني عن القوافي " (1) وعلى هذا الأساس نجد "موسيقى الفواصل القرآنية أشبه بموسيقى القوافي في الشعر، وبناء القرآن الكريم على الفواصل تأكيد لقيمتها الموسيقية في الكلام ، إذ تتوقع الأذن مع توالي الآيات - تكرير صوت أو عدة اصوات متشابهة" (2) ومن هنا نرى أن " من خصائص الإيقاع الموسيقية سر من أسرار القرآن ودليل من دلائل الإعجاز في هذا البيان" (3) .

ويرى الدكتور محمد أبو موسى أن " القرآن حين يراعي الفاصلة وتبقى على تنغيمها. إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح الى آفاق قدسية فتأخذها بنشوة يحسها من يرتل هذه الآيات كما قلنا في مثلها ترتيلاً يتهدج فيه صوته ويتماوج مع الحانها ، ثم ينتهي الى هذه الفواصل فيجد عندها القرار " (4) ويضيف أيضاً قائلاً " وهذه اللغة التي نزل بها القرآن لغة دندنة وترنم أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها وقالوا إنهم إذا فرغوا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو وماينون ومالاينون لأنهم أرادوا مد الصوت ومد الصوت الذي يلحقون من أجله الألف في الفتح والياء في الكسر والواو في الضم ، وسيلة من وسائل تهدئة النفس حين تمتليء إحساساً بالفكرة أو تختلج بألوان من الشعور ، وكأنهم مالم تكن لهم أوتار يفرغون على ألحانها نفوسهم اتخذوا من كلمات هذه اللغة أوتاراً فكانت

(1) التصوير الفني في القرآن /86-87، وينظر : أبحاث في أصوات العربية/143.

(2) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، محمد سليمان العبد ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع36 ، مج9 ، 1986/85.

(3) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، كاصد ياسر حسين ، مجلة آداب الرفادين، ع9 ، 1978م / 376.

(4) خصائص التراكيب /287.

أشجى لحناً وأعذب نغماً" (1) إنّ المتمعن في دراسة التعبير القرآني يلحظ أن " القرآن يوفي هذه الظاهرة الأسلوبية حقها من الأداء والتأثير من دون أن يحيف على المعنى أو بعبارة أخرى أنه لايعنى بموسيقى الفواصل من دون أن يلحظ تناسقا مع سياق الآيات وتناسبها مع أجوائها المعنوية " (2) .

وهناك رأي مجمل ومهم للدكتور محمد سليمان العبد عن طبيعة الفاصلة القرآنية في السور المكية والمدنية يقول فيه :

" وتتميز السور المكية - بوجه عام - ببنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة، لتتابعها وبروز موسيقاها . أما السور المدنية، فغالبا ماتطول فيها قرائن الفواصل طولا ملحوظا وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكين ، فقد كانوا قوماً جبابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والأخلاق الفاسدة. وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذة ، غير مسترسلة ، وقول حاد ، حاسم ، محذر تقصر معه الجملة ويبرز التجانس الصوتي وتعلو الموسيقى. وترتبط هذه السمات الصوتية للخطاب المكي. بحرارة التعبير على المستوى الأسلوبي إذ يكثر في السور المكية أسلوب القسم وأسلوب الاستفهام الإنكاري والتحذير والوعيد وضرب الأمثال للإفهام . إنّ قصر الجملة المكية والفاصلة المكية مما يناسب عقول المكين وإفهامهم وذلك قريب مما نفعله حين نبدأ مع الصغار بتحفيظهم السور القصار " (3) ويضيف إلى ذلك أيضاً " أما الخطاب اللغوي في السور المدنية، فقد كان مسترسلا منسابا، ينزع إلى التفصيل والتوضيح ويتناسب ذلك مع وضع التشريعات والتعاليم الدينية وشرح حدود العقيدة بعد أن توطدت دعائم الدين الجديد وكل ذلك يشهد على تلون الخطاب القرآني مع تغير الأحوال والمقتضيات وطبيعة المخاطبين " (4) .

ويكاد هذا الفهم ينطبق على الآيات القرآنية التي تخص بحثنا وهذا ما لاحظناه

(1) خصائص التراكيب / 287 .

(2) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن / 351.

(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم / 87-88.

(4) نفسه / الصحيفة نفسها.

من استقراء الآيات في عهدها المكي والمدني في خطاب الرسول محمد - ﷺ - والله أعلم. وتقسم الفاصلة على أقسام هي (1) :

- 1- المطرف.
- 2- المتوازي
- 3- المرصع
- 4- المتوازن
- 5- التماثل

ويبدو من خلال دراستنا لهذه الأنواع من الفواصل أنها لا تنطبق على موضوع بحثنا بجميع أقسامها والسبب برأينا والله أعلم أن الآيات تراوحت بين الطول والقصر فحدث نوع من التباين بين الأقسام وواقع الآيات. ومن استعمال الفاصلة في بحثنا نلاحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ ... شَٰهِدْ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (2) وقوله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُصَدُّونَ ... وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (3) فقد اشتمل التعبير في الآيتين على فاصلة متشابهة، إذ وردت " الفواصل هنا باللفظتين (تعملون) و(تعملون) منتهية بصوت النون مسبوق بحرف المد (الواو) فأحدث صوت النون انسجاما صوتيا مع بقية الأصوات المكونة لألفاظ الآيات كما في (تكفرون وتصدون وتبغونها) مما ساعد هذا الانسجام الصوتي على اظهار المعاني الدلالية لها وهي ان اليهود يجحدون حجج الله التي أنزلها على النبي محمد - ﷺ - في كتبهم والتي أثبتها الله عليهم بصدقه وثبوته وانهم يعلمون بها، فضلا عن ان الله ليس بغافل عن أعمالهم التي عملوها بحق عباده وغير ذلك من الأعمال التي تستحق العقوبة عاجلاً أم آجلاً " (4) فالفاصلة كانت تابعة للمعنى ومعبرة عنه وقال تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (5) ، يقول أبو

(1) ينظر: الإتيان 962/2 ، الجرس والإيقاع في تعبير القرآن /353.

(2) آل عمران /98.

(3) آل عمران/99.

(4) التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران / 61 وينظر جامع البيان ، الطبري 4/22-

23.

(5) التوبة / 128 .

السعود إنّ " (رؤوف رحيم) قدّم الأبلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل " (1) فالفاصلتان في الايتين على وزن واحد (فعليل) وقد انتهت كل منها بصوت الميم لإضفاء جو الهدوء والإطمئنان التي عرف بها طبع الرسول محمد - ﷺ - ينضاف إلى ذلك شيوخ أصوات الصفير التي ناسبت رقة طبع الرسول الكريم وسلاسته (2) . وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (3) فالآيات قد بدأت بالنداء القوي الشديد في حين ظهرت فاصلة (الراء) المتكررة لابرار المعنى المطلوب ولتعبير عن شدة الأمر الذي طلب من الرسول الكريم والذي استلزم تطهير النفس والثياب من كل المعاصي (4) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (5) فالآيات الكريمة جاءت تسليّة للرسول الكريم وإسباغ النعم عليه (6) . ولهذا التزمت حرف الراء الساكنة في فاصلتها (7) .

علاقة الفاصلة القرآنية بالإيقاع والسياق :

إن من يتأمل الفواصل القرآنية يجدها قد " وفرت للقرآن نظماً موسيقياً فريداً، وامتد تأثيرها الى بناء الجملة القرآنية بناءً نحوياً خاصاً قد يفترق عن البناء الأصولي للجملة العربية في نحو النحاة، بل امتد تأثير الفواصل الى بناء الكلمة كذلك" (8) قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (9) .

(1) إرشاد العقل السليم 460/2.

(2) ينظر: السور المدنية ، دراسة بلاغية أسلوبية / 121-122.

(3) المدثر / 1-7.

(4) ينظر: فواتح السور القرآنية (دراسة بلاغية) / 63.

(5) الكوثر / 1-3.

(6) ينظر: التنوع في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية، أزهار علي ياسين (أطروحة دكتوراه) / 28.

(7) ينظر: الفاصلة في القرآن / 274.

(8) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم / 93.

(9) الأحزاب / 66.

فيرى ابن عاشور أن " الألف في آخر قوله (الرسولا) لرعاية الفواصل التي بنيت عليها السورة فإنها بنيت على فاصلة الألف وهي ألف الإطلاق إجراء للفواصل مجرى القوافي التي تلحقها ألف الإطلاق" (1) فقد وردت " فواصل هذه السورة (الأحزاب) ألفات منقلبة عن تنوين في الوقف، فزيدت الألف لتساوي نهايات الفواصل" (2) وقد وقف الدكتور حسام سعيد النعيمي في تحليل سورة الأحزاب ومن بينها هذه الآية وخلص في النهاية الى القول : " وهكذا يتبين لنا أن الفاصلة القرآنية وإن كانت في ظاهرها فاصلة صوتية إلا أن لها ارتباطها الوثيق بدلالة الآية ، وأنّ المعنى مقدم على الأنسجام الصوتي العام للفواصل ، فقد يضحى بالأنسجام العام من اجل انسجام صوتي خاص يتلاءم مع الصورة الفنية التي يراد لألفاظ الآية أن توحى بها في نسق معين فضلا عن ادراك المعنى المراد" (3) فالفاصلة في قوله (الرسولا) عبرت أصدق تعبير عن التوافق مع الفواصل الأخرى كذلك زخرت بمعنى مهم أفصح عنه سياق الآية.

وقال تعالى ﴿ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ ﴾ (4) .

فقد جاءت الفاصلة في لفظة (عذاب) ، وقد حذف منها ياء المتكلم تخفيفا لرعاية الفاصلة وابقيت الكسرة دليلا عليها ، وهذا الحذف مما يكثر في القرآن الكريم (5) .
وقال تعالى ﴿ ... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (6) فالنص الكريم مال الى تأخير الفعل (تعملون) في نهاية الآية لمراعاة الفاصلة النونية (7) فالتعبير ينبنى على مخالفة الترتيب النحوي للجملة من أجل أن يحقق الإنسجام الموسيقي للآية مع الآيات الأخرى وهذا من أسرار إعجاز الكتاب الكريم ، القرآن.

(1) التحرير والتنوير 116/22.

(2) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم 93/.

(3) أبحاث في أصوات العربية/148.

(4) ص 8/.

(5) ينظر: المنظور البلاغي في تفسير التحرير والتنوير، عبده محمد صالح (أطروحة دكتوراه) 208.

(6) المجادلة 13/.

(7) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم 122/.

وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾⁽¹⁾ ، فبرى الزمخشري تستوقفه عبارة (وتبتل إليه) أي " انقطع إليه فإن قلت: كيف قيل تبتيلاً مكان (تبتلاً) ؟ قلت : لأن معنى (تبتل) تبل نفسك فجاء به على معناه مراعاة لحق الفواصل"⁽²⁾ وذهب الى فحوى الرأي هذا كل من أبي السعود⁽³⁾ ، والطاهر ابن عاشور⁽⁴⁾ ، والدكتور إبراهيم السامرائي⁽⁵⁾ .

وهكذا نرى في هذه الآية أن " من الأسرار الأسلوبية للفواصل القرآنية تحسينها للصيغة التي تجيء عليها ، وإن كانت على غير ما اطرده من قواعد "⁽⁶⁾ والدليل على ذلك هذه الآية فقد جاءت (تبتيلًا) مصدرا على غير الصدر⁽⁷⁾ .
وقال تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾⁽⁸⁾ .

فالآية الكريمة تضمنت حذف (الكاف) من قوله (وما قلى) والتقدير (وما قلاك) وفي تحليل هذا الحذف ودلالاته اختلفت الآراء وتشعبت بين العلماء والدارسين قديماً وحديثاً، فهذا الزمخشري يعلله فيقول : " اختصار لفظي لظهور المحذوف "⁽⁹⁾ وإلى معنى الاختصار نفسه ذهب أبو حيان⁽¹⁰⁾ من القدامى والدكتور محمد محمد أبو موسى من المحدثين⁽¹¹⁾ . أما الفخر الرازي فقد أعطى عدة وجوه لحذف الكاف منها : الإكتفاء بالكاف الأولى في (ودعك) ، أو إتفاق الفواصل ومراعاتها أوجب حذف الكاف، أو أن الحذف أفاد معنى الإطلاق، أي أنه ما قلاك ولا أحداً من أصحابك ولا أحداً ممن أحبك الى

(1) المزمّل /8.

(2) الكشف 177/4 وينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني /86.

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم 784/5-785.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 266/29.

(5) ينظر: من بديع لغة التنزيل/300.

(6) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم /107.

(7) ينظر: نفسه: الصحيفة نفسها.

(8) الضحى /3.

(9) الكشف/263، وينظر: مدارك التنزيل/701، البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف/227.

(10) ينظر: البحر المحيط 485/8.

(11) ينظر: خصائص التراكيب /287.

قيام القيامة تقريراً لقوله (المرء مع من أحب) ⁽¹⁾ . فالرازي " أدرك عدم كفاية الفاصلة كظاهرة أسلوبية يختص الإعجاز الصوتي بها فقط فحاول اثبات كونها وجهاً من الوجوه الأسلوبية المختصة بهذا النوع من الإعجاز، من خلال إعطائها إمكانات أسلوبية تحكم بجانب ضوابط أو وجوه تساعد على فهم خصائص بنية النص القرآني الصوتية " ⁽²⁾ . غير أنه " يحمل النص أكثر مما يحتمل في ذكره الوجه الثالث (الإطلاق)، لأن الإطلاق ليس تفسيراً يأتينا بما لانتوقع، كالسياق شاهد على أن الخطاب لمحمد - ﷺ - على وجه التخصيص ومانراه أن إتفاق فواصل السورة اوجب حذف الكاف، هو الذي جعل الآية مكتفية بفهم السامع لمعناها " ⁽³⁾ ، ويبدو أن الدوافع التي حدث بالرازي إلى استنباط هذا الوجه تعود " إلى أن علماء الإعجاز (الأشعرية) ومنهم الرازي لم يعتبروا الفواصل وزنة كلمات القرآن من إعجاز القرآن. كما أن الرازي خص الأعجاز بالمعنى لا باللفظ وحده " ⁽⁴⁾ فضلاً عن ذلك فقد ذهبت طائفة من المفسرين والعلماء إلى أن الحذف يحتمل وجهين : الاختصار اللفظي ومراعاة الفواصل ⁽⁵⁾ . أما المحدثون فربما يتفقون على تعليل الحذف بمراعاة الفواصل ⁽⁶⁾ .

ولم تقبل الدكتورة عائشة عبد الرحمن التعليل القائل برعاية الفاصلة فقالت " أما تعليل الحذف برعاية الفاصلة فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض ، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية

(1) التفسير الكبير 210/31، وينظر : البرهان للزركشي : 107/3، 167/3، التفسير البياني

للقرآن ، بنت الشاطي 34/1 .

(2) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري /104.

(3) نفسه /105.

(4) نفسه/ الصحيفة نفسها. وينظر : البلاغة تطور وتاريخ/165، الرازي مفسراً ، محسن عبد

الحمد /247، فخر الدين الرازي بلاغياً ، ماهر مهدي هلال /255.

(5) ينظر: الإتقان 820/2 ، إرشاد العقل السليم 878/5-879، محاسن التأويل 6182/17.

(6) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين /216، من وحي القرآن / 136،

من أسرار البلاغة في القرآن ، محمود السيد شيخون /64، الجملة العربية تأليفها واقسامها ،

فاضل صالح السامرائي /110.

الفاصلة في آخر سورة الضحى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وليس في السورة كلها ثاء فاصلة بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق لم يقل تعالى : فخير لتتقق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به .⁽¹⁾ وتضيف قائلة: " ويبقى القول بأن الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة في اللطف والإيناس هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ماقلالك لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة"⁽²⁾ وبهذا عللت الدكتور بنت الشاطيء الحذف لمعنى التعظيم والتشريف للرسول محمد - ﷺ - ولهذا حذف الكاف، ويبدو أن هذا التأويل قد تبني مضمونه طائفة من الباحثين منهم الدكتور سعد أبو الرضا⁽³⁾ ، والدكتور فاضل السامرائي⁽⁴⁾ .

بيد أن قسم من الدارسين رفض رأي الدكتورة بنت الشاطيء واستأنس برأي الفراء في هذا الصدد لأن " الفراء بين أن رعاية الفاصلة حسب ما يقتضيه التعبير والمعنى في سياق الآية القرآنية ، وأن الإيقاع الناتج بسبب الفاصلة يفقد قيمته الأسلوبية إذا لم يكن مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمضمون الآية ودليلنا على ذلك أن الفراء تحاشى القول بالسجع ؛ لأنه امر لفظي في نظره"⁽⁵⁾ .

وجملة القول فان رأينا هو أن الحذف في الحرف جاء لدلالة التعظيم والتشريف للرسول محمد - ﷺ - وهو مانرجحه على الآراء الأخرى والله أعلم.

(1) التفسير البياني للقرآن الكريم 35/1 ، وينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم /

97 .

(2) نفسه / الصحيفة نفسها.

(3) ينظر: في البنية والدلالة/130-131.

(4) ينظر: معاني النحو 93/2 .

(5) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري /95.

الفصل الثاني

المستوى

التركيبى

المبحث الأول الخبر والإنشاء

ربما لا أكون مغاليا إذا قلت أنّ مقولات القدامى من البلاغيين والتي من أشهرها قولهم (لكل مقام مقال) و (البلاغة موافقة الكلام لمقتضى الحال) ، قد كوّنت حجر الزاوية في رؤيتهم للنص الأدبي سواء أكان ذلك في الإطار النظري أم في الاجراء التطبيقي⁽¹⁾؛ لأنّ تصور البلاغيين قائم على أساس أنّ " التركيب تختبئ في خصائصه واحواله اشارات ودلالات مختلفة ، وأنّ السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته، وكأنّ التركيب النفسي أشبه بقطعة من معدن نفيس تعطي ألواناً كثيرة كلما أدرتها إدارة جديدة والسياق هو القوة التي تحرك هذه القطعة لتشع من ألوانه مايراد اشعاعه " ⁽²⁾ وبناء على ذلك فقد جعل "المفسرون والأصوليون من المعرفة بأسباب النزول أصلاً من اصول تفسير القرآن الكريم واستنباط الاحكام لايقومان الا به وما المعرفة بأسباب النزول إلا استحياء للمقام لامندوحة عنه لفهم المقال " ⁽³⁾ ويبدو لنا أنّ هذه الفرضية لايمكن التسليم بها بشكل مطلق يصل الى حد التعميم وعلة ذلك أنّ دراسة النص القرآني من قبل المفسرين والأصوليين اعتمدت قاعدة أصولية مهمة هي (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وهي مبدأ مهم في عملهم في حين اعتمدت فرضية (سياق الحال) السبب، وهذا بلاشك تناقض واضح بين الأمرين، وربما نقرر حقيقة مهمة وهي أنّ مبدأ سياق الآية والسبب في نزولها اعتمده في الأساس اتجاه (التفسير المأثور) أو (التفسير النقلي) أما الإتجاهات التفسيرية الأخرى فكانت أقل اهتماما بهذا الجانب. وفي العصر الحديث اعتمدت الدراسة الأسلوبية هذا المبدأ في رؤيتها الى الخبر والإنشاء وعلى أساس مراعاة (سياق الحال) أو مقتضى الحال ، ويتم هذا الإجراء عبر خروج كل من الخبر والأنشاء لغير ماوضعا له في الأصل ، أي بمعنى آخر مراعاة القصد أو الغرض الأسلوبي لخروج هذه الاساليب من

(1) ينظر على سبيل التمثيل: كتاب الحيوان 94/1 ، متشابه القرآن ، القاضي عبد الجبار /687.

(2) دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية، محمد أبو موسى /253.

(3) في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية ، سعد مصلوح /37.

دلالتها الوضعية الى معاني مجازية تعرف من السياق وتحدد بوساطة مقتضى الحال. وقد نعت الدكتور سعد مصلوح هذه الإتجاه أو الحقل في المنهج الاسلوبي بأنه : أسلوبيات المقام (1) .

فاختلاف البنية التركيبية للنص يتم على وفق المتغير الأسلوبي الذي يحمل بين طياته سمات أسلوبية متفردة. فيعدل بالصيغ عن الوجه المعتاد والمطرّد الى معانٍ أخرى تفهم من خلال دلالة السياق عليها، وهذا بحد ذاته يعد من باب التوسع في الكلام الذي يزيد من القيمة الفنية للنص. وسنحاول أن نقف عند ثيمة الخبر والخصائص الأسلوبية التي يحتويها ثم نتحدث عن الأساليب الإنشائية ، والمعاني التي خرجت اليها على خلاف الظاهر من النص .

أولاً : - الخبر

يعرّف الخبر بأنه " القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي أو بالإثبات ومن حده بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمه الدور " (2) . وقد اختلف العلماء في وضع تحديد معين لتعريف الخبر واختلفوا في ماهية الصدق والكذب ، وقد كان للخطيب القزويني رأي حاسم في هذا الموضوع فقال " اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له هذا هو المشهور وعليه التعميل " (3) ، وتأسيساً على ذلك فالخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، أما الأخبار التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والحقائق العلمية وكذلك البديهيات التي لا يمكن أن يشك فيها فلا تحتل الكذب مع العلم أنّها أخبار عن شيء فهي تخرج عن هذا التعريف ، في حين غيرها من الأخبار تحتل التصديق والتكذيب. وللخبر غرضان أصليان في رأي البلاغيين هما :

(1) ينظر: في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية /37.

(2) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الرازي /71 ، وينظر: أسلوب الخبر في القرآن الكريم ،

دراسة بلاغية نقدية ، أحلام موسى حيدر (رسالة ماجستير) /82.

(3) الإيضاح /10.

1- **فائدة الخبر:** وهو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام ، وذلك إذا ألقى الكلام على جاهل به - وفائدته تقديم المعرفة أو العلم الى الآخرين لتعريفهم وإعلامهم بها.

2- **لازم الفائدة :** وهو أن يلقى الكلام على عالم به ، وهذا الغرض لا يقدم جديداً للمخاطب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم (1) .

وهذا - في الحقيقة - هو الأصل في أغراض الخبر، لكنه قد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر، فيفيد معاني مجازية تفهم من السياق وقرائن الأحوال. وبما أن دراستنا للخبر تتأسس على مبدأ مراعاة (سياق الحال) ومقتضى المقام فإنه يشتمل على خصائص وملامح أسلوبية متأصلة في أثائه سنحاول أن نستنتجها.

❖ الأغراض أو المقاصد السياقية المجازية للخبر :

1- **التوبيخ :** قال تعالى ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ... ﴾ (2) فنحن نرى خروج أسلوب الخبر من دلالاته الوضعية الى دلالات أخرى يوحي بها السياق ، فالإمام الطبري عدّ خروج الخبر لمعنى التوبيخ للمكذبين من أهل الكتابيين (3) . في حين عدّه الإمام أبو السعود لمعنى التهكم بمنكريه (4) . وأياً ماكان المعنى فإنّ الخبر عمل على إقامة مقارنة مع ذهن المخاطب عبر مراعاة القصد الذي تضمنته الآية الكريمة فالنص الكريم يخاطب الرسول محمد - ﷺ - ويخبره عن الأنباء السالفة القصد من هذا الإخبار توبيخ المكذبين برسالة رسولنا الكريم والشاكين في مصداقيته ، وهذا قد تأتى لنا معرفته بفضل المقام ومايوحي به من غرض أسلوبى سيقى إليه الآية القرآنية. وقال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتُ الذِّكْرَى ﴾ (5) فالخبر في هذا النص الكريم خرج خلاف الظاهر وأفاد معنى مجازياً هو التوبيخ، لأنّ التعبير "يدل على أنّ الكفار كانوا يقدرّون على التذكّرة والإتعاظ والعدول عن الكفر، لأنّه تعالى لم يجعل ذلك شرطاً من حيث الايذكر - صلوات الله عليه

(1) ينظر: مفتاح العلوم / 166 ، الإيضاح / 13.

(2) آل عمران / 44.

(3) ينظر: جامع البيان 268/3.

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم 361/1.

(5) الأعلى / 9.

- إلا من علم أنّ الذكري تنفعه، وقد علمنا خلافه فأذن يجب أن يحمل على طريقة التوبيخ لهم والبعث على الايمان، والعدل عن الكفر" (1) وهكذا لمسنا أنّ خروج أسلوب الخبر الى التوبيخ موافق لحالهم. ولائق بمقامهم ، وقد عرفنا ذلك بفضل سياق الكلام وقرينة الحال ليتسق المعنى مع قصد الآية .

2- التسلية والتأسي

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا... ﴾ (2) فالخبر في التعبير الكريم خرج لمعنى التسلية كما نص على ذلك طائفة من المفسرين (3) . ومن الملاحظ أنّ معنى الخبر هنا هو إفادته التسلية لرسوله الكريم والتأسي بالرسل السابقين الذين صبروا على أذى أقوامهم وتحملوا ماتحملوا من ظلم وتعنت وجفاء، وهكذا رأينا أنّ مقام الآية جاء دالاً على المعنى المجازي الذي تضمنه الخبر. والخصيصة الأسلوبية التي تضمنها هذا المعنى. ومن الآيات القرآنية التي خرج فيها الخبر لمعنى التسلية والوعد بالأجر لرسوله الأمين . قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (4) وقوله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (5) فنرى الخصيصة الأسلوبية للخبر خروجه لمعنى التسلية والوعد بالأجر (6) .

3- التعظيم : قال تعالى ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا... ﴾ (7) والحق أنّ الخبر خرج الى معنى التعظيم أي تعظيم الأمر في نفوس السامعين (8) ولهذا يغدو المعنى المجازي للخبر في سياق النص القرآني مخبراً عن الاسراء من مكة المكرمة الى المسجد الأقصى وقد حدث في مدة استثنائية خارقة لنواميس الكون لقلتها وهو دليل وحجة على قدرة الباري - ﷻ - فعبر الخبر عن هذه السمة الأسلوبية أجمل تعبير .

(1) متشابه القرآن / 687 ، وينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار/ 135.

(2) الأنعام/ 34.

(3) ينظر: مدارك التنزيل 1/ 465 ، إرشاد العقل السليم 2/ 143، محاسن التأويل 6/ 2292، التحرير والتنوير 7/ 200.

(4) القلم / 3.

(5) الضحى/ 5.

(6) ينظر : فواتح السور القرآنية ، دراسة بلاغية / 104.

(7) الإسراء/ 1.

(8) بنية العدول البلاغية في القرآن الكريم ، فاطمه حيدر علي ، (أطروحة دكتوراه) / 90 .

4- الأمر : قال تعالى ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ ... ﴾ (1) ، فقد أوحى لنا التعبير بأن الخبر في معرض خروجه عن المعنى الظاهري النال معني المجازي وهو الأمر واستدل المفسرون على ذلك بقراءة ابن مسعود (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا) (2) فالخبر خرج عن دلالة الوضعية الى دلالة الأمر ، وبهذا يتسق المعنى مع سياق الحال للآية وهي تحت القوم على الإيمان بالله والرسول - ﷺ - .

5- التهديد والوعيد : قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ﴾ (3) ففي قوله (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ) نرى خروج الخبر عن دلالة الوضعية الى دلالة مجازية معناها الوعيد والتخويف والتهديد (4). فنرى سياق الآية قد أفصح عن معنى الخبر في الآية وتجلي ذلك في مدى ترابط اللفظ مع معناه . وقال تعالى ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (5) فنرى تجليات الخبر تتمثل في قوله (فسوف يعلمون) ، وقد أفاد معنى التهديد والوعيد (6) . وهكذا عبرت الآية عن المعنى ساندها في ذلك طبيعة المقام والحال والقصد الذي أفادته وقال تعالى ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ ﴾ (7) .

(1) الصف/ 10 - 11.

(2) ينظر:الكشاف4/99، التفسير الكبير317/29، مدارك التنزيل 3/522، ارشاد العقل السليم 5/720 ، وكذلك ذهب الدكتور عبد القادر حسين الى الغرض نفسه:ينظر: فن البلاغة / 149.

(3) طه /135.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي 11/265.

(5) الحجر /3.

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن 10/2.

(7) محمد /20.

فالحقيقة التي نطمئن اليها ونقررها في هذا الصدد أنّ كثيرا من اللغوين والمفسرين أكدوا أنّ قوله (فاولئ لهم) خبر خرج لمعنى التوديد والوعيد (1) .

6- العتاب : قال تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ (2) فالخصيصة الأسلوبية للخبر خروجه لمعنى مجازي هو " العتاب على الغفلة عن المقصود الذي تضمنه الخبر وهو اقتصار النبي - ﷺ - على الإعتناء بالحرص على تبليغ الدعوة "(3)، فالسمة الأسلوبية للخبر جاءت لتؤكد سياق الحال في النص الكريم ليتناغم المعنى المجازي مع مقتضى المقام للتعبير عن المقصود من المعنى الظاهري. وهكذا وجدنا الخبر في الآيات المذكورة آنفاً يأتي لغايات أسلوبية دارت في مجملها حول التعظيم والتسليّة والأمر والعتاب ، وكلها من الصفات الإنسانية التي وسم بها شخص الرسول الكريم ، فجاءت كل صفة في سياقها المناسب ولتعبّر عن مغزى الحال والمقام. كذلك وردت معاني التوبيخ والتهديد والوعيد لتصف حال القوم الذين ناصبوا العداء لرسوله - ﷺ - عبر سلوك التكذيب والإستخفاف لمقامه الشريف وكل ذلك تبين مدى سعة الفهم وتوسع القرآن الكريم بالمعنى عبر عدة دلالات إيحائية .

ثانياً :- الإنشاء

ويعرف الإنشاء بأنّه : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته (4) . لأنّه ليس لمدلول لفظة قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه. والإنشاء قسمان : الأول : الإنشاء الطلبي، وتعريفه : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله خمسة أنواع هي : الأمر والنهي والاستفهام والتمني ، والنداء . والآخر : الإنشاء غير الطلبي ، وتعريفه : وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله عدة أساليب: صيغ المدح والذم ، والتعجب ، والقسم ، والرجاء، وصيغ العقود (1) .

(1) ينظر: معاني القرآن ، الفراء 62/3 ، تأويل مشكل القرآن /421، الكشاف 535/3 .

وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها الخبر لمعنى التهديد والوعيد تنظر الايات : الفرقان / 42 ، فصلت 6/ بالدلالة نفسها.

(2) عبس/1.

(3) التحرير والتنوير 104/30-105.

(4) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون /13.

ومن الجدير بالذكر أنّ القسم الأخير (الإنشاء غير الطلبي) لم يلق الاهتمام من قبل الدراسات البلاغية قديماً وحديثاً لقلة الأغراض المتعلقة به فضلاً عن أنها أخبار نقلت عن معانيها الأصلية ، على العكس من الإنشاء الطلبي الذي يكون فيه تفنناً في القول (2) . وعليه سننأى في الحديث عن الإنشاء غير الطلبي لكونه بعيداً عن طبيعة المنهج الأسلوبي مقتصرين القول على الإنشاء الطلبي عارضين أهم الأساليب وأكثرها شيوعاً والتي زخرت بالخصائص والملامح الأسلوبية ، والتي يمكن أن تمثل حالة من التفرد الأسلوبي في النص القرآني.

❖ الأساليب الإنشائية

1 - الأمر : الأمر هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام وصيغته (أَفْعَلْ) (وَلْيَفْعَلْ) (3) ، وهو أسلوب إنشائي طلبى مليء بالدلالة الإيحائية وله أربع صيغ : فعل الأمر ، والمضارع المقرون بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر النائب عن فعل الأمر . وقد لاحظ البلاغيون أنّ الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي "وهو الإيجاب والإلزام الى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال" (4) وسنركز في دراستنا لأسلوب الأمر على المعاني المجازية التي يخرج إليها ؛ لأنها مناط التفرد الأسلوبي الذي نحاول أنّ نقف إزاءه فقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي هو الخبر من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ (5) فالناظر الى النص الكريم يلحظ أنّ الأمر خرج لمعنى الخبر بصيغتي الشرط والجزاء كما يرى الرازي والقرطبي وابن جزى وأبو السعود (6)، بيد أنّ الطاهر ابن عاشور أول هذا الأمر

(1) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 332/1.

(2) ينظر: نفسه 334/1.

(3) ينظر : كتاب الطراز 282/3 ، معترك الأقران 335/1 ، الإتيان 891/2 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 313/1.

(4) جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي /77.

(5) التوبة/53.

(6) ينظر: التفسير الكبير 88/16، الجامع لأحكام القرآن 168/8 ، كتاب التسهيل 77/2، إرشاد العقل السليم 417/2.

لمعنى التسوية أي انفقوا أو لاتنفقوا ⁽¹⁾ . ويبدو لنا أنّ رأي الطاهر بن عاشور هو الأقرب الى الصواب والله أعلم، وهكذا رأينا أنّ فعل الأمر حمل معه ملمحاً أسلوبياً في خروجه على خلاف مقتضى الظاهر. وقد يخرج الأمر لمعنى التعجيز كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ... ﴾ ⁽²⁾ فالخصيصة الأسلوبية التي تمثلت في الآية الكريمة جاءت بصيغة الأمر وأفادت معنى التعجيز كما ذهب الى ذلك طائفة من المفسرين والدارسين ⁽³⁾ قديماً وحديثاً ، لأن في " هذا الأمر التعجيزي حقيقتان متلازمتان هما : النبوة ، والإعجاز القرآني، وهما موضع رعاية الله، وسواء عاد الضمير في (مثله) على القرآن ، أو على الرسول فالأمر واحد ، وإن كان المرجح عودته على القوم القومى القومى رآن ⁽⁴⁾ .

وربما خرج الأمر لمعنى التسوية قال تعالى : ﴿ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ... ﴾ ⁽⁵⁾ فالنص الكريم حوى قوله تعالى ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ وقد اختلف في دلالة هذا الأمر بين المفسرين فالرازي وابن جزي يرون أنّ الأمر خرج لمعنى التهديد ⁽⁶⁾ . في حين ذهب ابن عاشور إلى أنّه لمعنى التسوية ⁽⁷⁾ وفي رأينا أنّ ابن عاشور كان الأقرب إلى الصواب ؛ لأن سياق الآية يفصح عن ذلك فضلاً عن علاقة

الآية بالآيات الأخرى فالتعبير القرآني حمل قيمة فنية مهمة بفضل استعمال أسلوب الأمر لمعنى التسوية. وقد يخرج الأمر الى معنى النصيح والإرشاد كما في قوله تعالى : ﴿

(1) ينظر: التحرير والتنوير 226/10. وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها أسلوب الأمر لمعنى الخبر تنظر الآيات : مريم / 38، 75 ، الكهف / 26.

(2) البقرة/23.

(3) ينظر: جامع البيان 165/1 ، 167/1 ، الكشاف 245/1 ، الجامع لأحكام القرآن 232/1، كتاب التسهيل 41/1 ، البرهان ، الزركشي 250/2 ، الإتيان 242/3 ، إرشاد العقل السليم 78/1 ، محاسن التأويل 71/2 ، بلاغة الكلمة والجملة والجمال ، منير سلطان / 152 .

(4) دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، عامر عبد محسن السعد (أطروحة دكتوراه) 302/3، وللاستزادة من آيات الأمر لمعنى التعجيز تنظر الآيات: الأنعام/93، يونس/38 بالدلالة نفسها.

(5) الأنعام / 135.

(6) ينظر: التفسير الكبير 203/13 ، كتاب التسهيل 22/2.

(7) ينظر: التحرير والتنوير 90/8 وللاستزادة من آيات الأمر لمعنى التسوية: تنظر: فصلت / 5، الطور/ 31 .

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ... ﴿ (1) ، فالملح الأسلوبى يظهر في خروج الأمر في قوله (وابصرهم) مستعملة في النصح والإرشاد (2) . وقد تبين هذا الملحظ الأسلوبى بفضل السياق الذي وردت فيه الآية ليعبر عن دلالة هذا الأمر. وقد يرد الأمر لمعنى مجازي آخر هو التذكيب من ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ ﴾ (3) . فالتعبير القرآني اسس بنيته على استعمال اسم فعل الأمر (هلم) والمعنى لهذا الأمر تكذيب القوم والرد على مازعموا ويدل على ذلك سياق الآية التي بعدها : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (4) فعمل السياق ومقتضى الحال على ابراز دلالة الأمر وربما خرج الأمر لمعنى التهديد والوعيد وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ... ﴾ (5) فجاء أسلوب الأمر في قوله (فليؤمن) و(فليكفر) ، وقد أفاد هذا الأمر معنى التهديد والوعيد (6) ، فجاء أسلوب الأمر بصيغة فعل المضارع المقرون بلام ، الأمر وقد عبّر النص عن معانٍ مترابطة في مفاصلها ، وقد أدى التشابه في الاستعمال الى تأكيد الأمر وإبراز خصائصه الأسلوبية. ومن استعمالات أسلوب الأمر لمعانٍ مجازية أفادته معنى الالتماس والرجاء قال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (7) فالفعل (ائذن) جاء بأسلوب الأمر ، وقد خرج لمعنى الالتماس والرجاء ، وذلك ان سياق الآية جاء حكاية لقول الجد بن قيس أخي بني سلمة مخاطبا الرسول محمد

(1) الصافات /175.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 196/23 وللاستزادة من آيات الأمر لمعنى النصح والارشاد تنظر: الأحزاب /2، الطلاق /1 بالدلالة نفسها.

(3) الانبياء/150.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 129/7 وللاستزادة من آيات الأمر لمعنى التذكيب تنظر : آل عمران/93 ، الجمعة/6.

(5) الكهف /29.

(6) ينظر : النكت والعيون ، الماوردي 479/2 ، كتاب التسهيل 187/2، التحرير والتنوير 357/15، وللاستزادة من آيات الأمر لمعنى التهديد والوعيد . ينظر: الطور/31.

(7) التوبة/49.

- ﷺ - وقد طلب منه إعفاءه عن الخروج في غزوة تبوك فنزلت هذه الآية ⁽¹⁾ . وهكذا يبين لنا السياق مدى العمق الذي تمتلكه هذه الآية وماذا فعل أسلوب الأمر لإعطاء النص تكتيفاً دلاليّاً ينم عن سمات أسلوبية متفردة. فضلاً عن ذلك فربما خرج الأمر لمعنى الإكرام كما في قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ... ﴾ ⁽²⁾ فالنص الكريم جاء بالأمر الذي يشير " إلى دعاء الرسول

- ﷺ - بأن يدخله الله القبر مدخل صدق إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، ويخرجه منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط " ⁽³⁾ فالآية الكريمة صورت من خلال أسلوب الأمر مكانة الرسول الكريم وإكرامه من الباري - ﷻ - وقد تجلّى لنا هذا عن طريق الخصائص الأسلوبية المتمثلة بسياق الآية وما حملته لنا من قيمة فنية . وربما يخرج الأمر لمعنى التثبيت كما في قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ ... ﴾ ⁽⁴⁾ فالمتخصص للنص الكريم يطالع صيغة (ارتقب) الدالة على الأمر ، وقد أفادت معنى التثبيت ⁽⁵⁾ . كما يمكن أن يخرج الأمر لمعنى التذكير من ذلك قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ... ﴾ ⁽⁶⁾ فاستتطاق النص يدلنا على أنّ الخطاب الإلهي يُذكر الرسول محمد - ﷺ - " بلزوم الصبر الذي لا شكوى فيه لاحد غير الله - ﷻ - ولم يذكر يوماً أن الرسول - ﷺ - قد جزع حتى يأمره الله بلزوم الصبر فالأمر هنا غير حقيقي بل للتذكيرة ؛ لأن العاقبة للمتقين فعليه أن يلزم الصبر ويحتمل اذى المشركين " ⁽⁷⁾ ونسترسل في اظهار المعاني المجازية للأمر ونصل الى معنى الندب ومن ذلك يقول تعالى ﴿ وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا ﴾ ⁽⁸⁾ . فنلاحظ التعبير

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 8/158.

(2) الإسراء /80.

(3) التقابل والتماثل في القرآن الكريم /179.

(4) الدخان/10.

(5) ينظر: التحرير والتنوير 25/285.

(6) المعارج /5.

(7) فواتح السور القرآنية (دراسة بلاغية) / 111.

(8) الإسراء /79.

بالتهجد وهو مندوب إليه وليس بواجب على ما هو معروف عند العلماء والفقهاء (1) .
فالنص الكريم ارتبط معناه بالمعنى الفقهي الذي دارت حوله الآية ، فمعرفة ما حول النص
دلنا على المعنى الخفي الذي أفاده الأمر في هذا الاستعمال.

2- النهي

هو طلب الكف عن فعل على وجه الاستعلاء وصيغته (لاتفعل) (2) وعلى هذا
يمثل النهي واحداً من الأساليب الإنشائية الطلبية التي حفل بها النص القرآني،
والخصائص الأسلوبية في هذا الملحظ الأسلوبي تتمثل في علاقة النص بالسياق أو
مقتضى المقام، أي بمعنى آخر خروج أسلوب النهي الى معانٍ مجازية تعرف من السياق.
وقد لاحظنا أبرز هذه المعاني التي خرج اليها النهي هي : النصح والإرشاد قال تعالى ﴿
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (3). فسياق
الآية يوحى بحث الباري - ﷻ - لنبيه بعدم اتباع " ما لاحجة عليه من أهواء الجاهل
ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك " (4).
فالنهي اشتمل على قيمة تعبيرية إيحائية في خروجه للنصح والإرشاد وزيادة على هذا
الأمر فبين "قوله (فاتبعها) وقوله (ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون)
محسن المطابقة بين الأمر بالاتباع والنهي عن اتباع آخر " (5) فالمقام في الآية فرض بنية
متماسكة تخللها استعمال مجازي للنهي ، وقد أفاد معنى النصح والإرشاد (6) . وقد يخرج
النهي لمعنى مجازي آخر هو التعظيم قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 309/10.

(2) ينظر: مفتاح العلوم 320/ ، الايضاح 85/، كتاب الطراز 284/3، عروس الأفراح للسبكي (ضمن شروح التلخيص) 324/2 ، معترك الأقران 336/1 ، الإنقان 893/2، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 344/3 .

(3) الجاثية 18.

(4) الكشف 511/3، وينظر : في المجالات الدلالية في القرآن الكريم صيغة افتعل ، زين كامل الخويسكي 61/.

(5) التحرير والتنوير 348/25.

(6) للاستزادة من النماذج التي ورد فيها النهي للنصح والإرشاد تنظر : الآيات : آل عمران 176/، الكهف 28/، الأحزاب/1، 48، الحجرات/1 بالدلالة نفسها.

تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿⁽¹⁾﴾ فالمتفحص للتعبير في قوله ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ يرى أَنَّ النهي اشتمل على خصيصة أسلوبية إيحائية بخروجه لمعنى تعظيم ماوقع فيه الكفار من العذاب ، كما ذهب الى هذا الرأي الرازي والنسفي ⁽²⁾ ، أما ابن جزي وأبو السعود فيرون أَنَّهُ لمعنى التهويل ⁽³⁾ . ويبدو لنا أَنَّ اختلاف المفسرين كان فقط في الشكل واعطاء الوصف لهذا المعنى ، أما دلالة الاثنين فواحدة، فاختلّفوا في الدال واتفقوا في المدلول والله أعلم، وهكذا جاء النهي حاملاً معه الإطار البنائي للسياق والمقام ويوضح المغزى لهذا التعبير وهو مايعد منبه أسلوبى للكلام. ومن السمات الأسلوبية للنهي خروجه لمعنى التكذيب كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ⁽⁴⁾ . فنلاحظ قوله تعالى (فلا تشهد معهم) قد جاء " كناية عن تكذيبهم ؛ لأن الذي يصدق أحداً يوافقه في قوله فاستعمل النهي عن موافقتهم في لازمة وهو التكذيب وإلا فَإِنَّ النهي عن الشهادة معهم لمن يعلم أنه لايشهد معهم ؛ لأنه لا يصدق بذلك فضلاً على أن يكون شاهده من قبيل تحصيل الحاصل فقرينة الكناية ظاهرة وعطف على النهي عن تصديقهم النهي عن اتباع هواهم بقوله (ولاتتبع اهواء الذين) " ⁽⁵⁾ فالنهي جاء متضمناً خصيصة أسلوبية انبنت على خروجه لمعنى التكذيب عرفنا عليها سياق الآية التي وردت فيه . وقد يخرج النهي لمعنى التصبر وتحمل الأذى كما في قوله تعالى : ﴿كَتَبُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ⁽⁶⁾ فالقيمة التعبيرية التي وردت في الآية تتمثل في خروج النهي لمعنى التصبر وتحمل أذى المشركين أي " يسلي ويصبر نبيه ويدعوه الى تحمل أعباء الدعوة " ⁽⁷⁾ والسياق الذي وردت

(1) البقرة/119.

(2) ينظر: التفسير الكبير 33/4 ، مدارك التنزيل 84/1.

(3) ينظر: كتاب التسهيل 59/1، إرشاد العقل السليم 182/1.

(4) الأنعام/150.

(5) التحرير والتتوير 154/8.

(6) الأعراف /2.

(7) فواتح السور القرآنية ، دراسة بلاغية /114.

فيه الآية دلت على هذا الملمح الأسلوبي في استعمال صيغة النهي. وقد يخرج النهي لمعنى التهديد كقوله تعالى: ﴿...قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِي فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ (1) فالمنبه الأسلوبي في النص القرآني يظهر ويتجلى في استعمال صيغة النهي (فلا تنظرون) ، وقد أفادت معنى مجازياً هو التهديد كما يدل عليه سياق الآية ومقتضى المقام (2) . وقد يأتي النهي لمعنى مجازي آخر هو التأييس من ذلك قوله تعالى : ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (3) ، فالتعبير القرآني أسس حضوره على بنية الجملة بخروج النهي لمعنى التأييس (4) وذلك في قوله (لاتعتذروا) ، وهو تأييس من قبول اعتذارهم لامتناعهم الخروج مع الرسول - ﷺ - وربما خرج لمعنى الأهانة، ويبدو أن معنى التأييس هو الأكثر ملائمة لسياق الآية والله أعلم . ومن معاني النهي المجازية التقليل والاحتقار كما في قوله تعالى ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (5) . فالخصيصة الأسلوبية التي خرج اليها النهي في قوله (لاتمدن) هي معنى الاحتقار والتقليل وقد خاطب الباري - ﷻ - رسوله الكريم بقوله " قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت - فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا" (6) فخرج النهي لملمح أسلوبي معناه التقليل والاحتقار . ونستعرض في ذكر معاني النهي المجازية ونصل لمعنى تثبيط الهمم كما في قوله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي

(1) الأعراف /195.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 340/10 ومن الآيات التي جاء فيها النهي لمعنى التهديد أيضاً.

ينظر: يونس /71 .

(3) التوبة /94.

(4) ينظر : التحرير والتتوير 7/11 .

(5) الحجر /88.

(6) الكشف 397/2 ومن الآيات التي جاء فيها النهي لمعنى التقليل والاحتقار تنظر: طه/131.

أَنْحَرِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾ . فالقيمة التعبيرية الإيحائية لقوله (لاتنفروا) حملت سمة أسلوبية في خروج النهي لمعنى تثبيط الهمم. ويدل على ذلك سياق النص ومقتضى المقام، فتخلف قسم من الصحابة وقعدوا عن الخروج مع الرسول محمد - ﷺ - في غزوة (تبوك) وقال أحدهم للآخر لاتذهبوا. فجاء الاستعمال القرآني للنهي وافاد معنى تثبيط الهمم (2) وجملة القول في الآيات المذكورة أنفا والآيات الأخرى (3) التي قمت بتحليلها أن أسلوب النهي جاء في بحثنا حاملاً معه دلالات إيحائية تلائم طبيعة السياق الذي وردت فيه ومعبرة عن الحدث أجمل تعبير. وقبل أن نختم حديثنا عن النهي بقيت مسألة ينبغي التنويه بها ، وهي أن التفرد في استعمال الأساليب الإنشائية ربما يحصل خارج فرضية السياق التي أكدناها مراراً من ذلك قوله تعالى ، وقد ورد فيه أسلوب النهي ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ (4) ، يقول الدكتور جمال الدين عياد وهو في معرض تحليله لهذه الآية " والرسول - ﷺ - إن من على الناس بما أصابهم على يديه من خير كان كمن يسألهم الثناء أو يسألهم الأجر ، فضلاً عما يثيره المن من عجب بالنفس ، وما يولده العجب من تفاخر وغرور ، وهذا نوع من الرياء يحبط العمل ، ويذهب قيمته عند الله ، ومن ثم جاء قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ تحذيراً للرسول - ﷺ - من أن يضيع بهاء النبوة والرسالة بالتمنن على الله أو على الناس" (5). ويضيف على هذا الرأي أيضاً ويقول " ولأهمية هذا الأمر تكرر توجيه الرسول إليه في آيات أخرى من القرآن ؛ إذ يقول تعالى في سورة الفرقان ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِ إِنْ أَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وفي سورة يوسف ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (6) وهكذا وجدنا هذا التفرد الأسلوبى واضحاً وقد ساعد على

(1) التوبة/81.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 216/8.

(3) تنظر الآيات : يونس / 94 ، الكهف / 28 ، الحج / 67 ، النور / 53 ، 63 ، الممتحنة / 1.

(4) المدثر / 6.

(5) بحوث في تفسير القرآن سورة المدثر / 39-40.

(6) بحوث في تفسير القرآن سورة المدثر / 39-40.

استكناه خفاياه هو الآيات القرآنية الأخرى، فالقرآن يفسر بعضه بعضا وتتلاحم سماته الأسلوبية بفضل الترابط العضوي بين مكوناته.

3- الاستفهام

يعرّف الاستفهام بأنه طلب الفهم من الغير على جهة الاستعلام ⁽¹⁾ . فالاستفهام أسلوب إنشائي طلي مهم له قيمته الإيحائية والأسلوبية في بنية النص وما يضيفه من أثر جمالي على الصورة التي يظهر فيها. ولابد أن الاستفهام أوفر أساليب الكلام معاني وأوسعها تصرفا وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً ولذا نرى أساليبه تتوالى ، في مواطن التأثير وحيث يراد التأثير وهيج الشعور للاستمالة والإقناع وإذا صحّ القول : أنّ للكلام قمة عليا في البلاغة كان أسلوب الاستفهام محتلاً أعلى مكان في تلك القمة ⁽²⁾ . وتأتي دراسة الخصائص والسمات الأسلوبية للاستفهام على ضوء الحقائق السابقة بمراعاة سياق النص ومطابقة مقتضى الحال لدراسة المعاني المجازية التي يخرج اليها الاستفهام مراعيًا القصد أو الغرض الأسلوبي الذي انبثقت على ضوئه هذه الظاهرة . ولأسلوب الاستفهام أدوات من أشهرها (الهمزة) و (هل) و (كيف) و (كم) ...

ونحاول في اجرائنا التطبيقي للاستفهام أن نقف عند أكثر المعاني المجازية التي ترددت في الآيات المتعلقة بالبحث الذي نحن بصدد ونبدأ بالتسوية .

أ - التسوية : في عدة مواضع جاءت همزة الاستفهام لمعنى التسوية من ذلك قوله تعالى ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾ ⁽³⁾ فالخصيصة التعبيرية (للهمزة) و (أم) بصيغة الاستفهام وقد جردتا عن معنى الاستفهام الى معنى التسوية ⁽⁴⁾ . أي إن الهمزة انسلخت من معنى الاستفهام وخرجت لدلالة التسوية ويدلنا

(1) ينظر: كتاب الطراز 286/3 ، معترك الأقران 327/1 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 181/1.

(2) فن البلاغة / 137.

(3) البقرة / 6.

(4) ينظر: مجاز القرآن ، أبو عبيدة 31/1 ، جامع البيان 111/1 ، مجمع البيان 91/1 ، التفسير الكبير 42/2 ، الجامع لأحكام القرآن 184/1 ، مدارك التنزيل 14/1 ، كتاب التسهيل 37/1 ، أنوار التنزيل 22/1 ، البرهان ، الزركشي 349/2 ، الإتيان 238/2 ، إرشاد العقل السليم 43/1

على هذا المعنى سياق الحال الذي وردت فيه الآية الكريمة وليعبر عن المعنى بشكل مكثف ودقيق . وقال تعالى ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ... ﴾ (1) فالنص الكريم أسس بنيته على استعمال (همزة) الاستفهام وخرجت لقيمة تعبيرية أسلوبية هي معنى التسوية (2) . وقد دلنا معرفة هذا المعنى السياق من خلال المعنى العام الذي ورد في التعبير ، وهكذا يتواشج طبيعة المقام مع المعنى من أجل إبراز ملمح أسلوبية ذي طبيعة جمالية وتعبيرية.

ب- **النفي** : وقد ورد الاستفهام لدلالة النفي في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ... ﴾ (3) فالمتخصص للتعبير القرآني في هذه الآية يطالع قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ وقد جاء الاستفهام الإنكاري بالاداة (من) ، وقد أفاد هذا الاستفهام خصيصة أسلوبية في خروجه لمعنى النفي (4) . وقد ظهر من خلال طبيعة السياق الذي وردت فيه الآية أن الاستفهام تضمن معنى باطنا هو النفي عبّرت عنه البنية الحضرية للنص الكريم.

وقال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ... ﴾ (5) ويؤسس النص وجوده عبر قوله - ﷺ - (لم تحرم) الصيغة الاستفهامية في خطابها للرسول محمد - ﷺ - وهو استفهام إنكاري خرج لمعنى النفي أي لا ينبغي لك أن تحرم على نفسك ما قد

، في ظلال القرآن ، سيد قطب 43/1، التحرير والتنوير 250/1، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم ، عبد العظيم إبراهيم المطعني 38/1، المعاني المجازية التي خرج إليها الاستفهام في القرآن الكريم ، قيس إسماعيل الأوسي، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج 40 ، ج 3-4، 1410هـ-1989م، ص330.

(1) المنافقون/6.

(2) ينظر: مجمع البيان 87/28 ، إرشاد العقل السليم 726/5، التحرير والتنوير 245/28 وللاستزادة من نموذج الاستفهام الذي أفاد معنى التسوية تنظر : يس 10/ بالدلالة نفسها .

(3) القصص/50.

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم 239/4 ، التحرير والتنوير 140/20 .

(5) التحريم/1.

أحلّه الله لك . (1) والذي أرشد المتلقي للنص هو طبيعة المقام وأسباب نزول الآية كحادثة من حوادث الرسول الكريم ، وهكذا نرى بوضوح أنّ المقام دل على المقال وكثفه .

ج - **التقرير** : وقد جاءت عدة آيات حملت معنى الاستفهام للتقرير من ذلك قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (2) وفي معرض تحليله لدلالة الاستفهام يقول القاضي عبد الجبار " إنّ ظاهره لا يقتضي إلا انه - ﷺ - لا يسمع الصم ولا يهدي العمي وليس فيه بيان حال الكفار وأنهم في الحقيقة لا يسمعون ولا يعقلون، وظاهر الكلام ينبئ عن الاستفهام وإن كان المراد به التقرير " (3) في حين رأى الزمخشري أنّ الاستفهام أفاد معنى النفي (4) . فالاستفهام حمل معه سمة أسلوبية تعبيرية عملت على تكثيف المعنى فظهر مليئاً بالايحاء وكان للسياق أثر مهم في هذا الملمح الأسلوبي . ويبدو لنا أن رأي القاضي عبد الجبار في تأويله لهذا الاستفهام هو مانظمئن إليه ونؤيده . وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (5) . فالتمتعن لهذا التعبير يلمس ورود الاستفهام لمعنى التقرير (6) ؛ لأنّ " (الهمزة) إذا دخلت على (النفي) كان الكلام في كثير من المواضع تقريراً " (7) فمقتضى الحال وما أوحى به لفظ الآية في خطابه للرسول محمد - ﷺ - أفصح بجلاء عن المعنى المجازي الذي جاء به الاستفهام .

د - **الإنكار** : جاء الاستفهام في القرآن الكريم لإفادة معنى الإنكار من ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا ﴾ (8) فالاستفهام في التعبير للإنكار ، وقد تقدم المفعول الأول

(1) ينظر: التفسير الكبير 42/30 ، التحرير والتنوير 346/28 وللاستزادة من نماذج الاستفهام الذي أفاد معنى النفي : تنظر الآيات ، النساء/54، التوبة/ 52 ، فصلت /52.

(2) يونس /43.

(3) متشابه القرآن 363، 364، وينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /155.

(4) ينظر: الكشف 274/2 .

(5) الانشراح/1.

(6) ينظر : البرهان، الزركشي 332/2، الإنقان 885/2.

(7) المعاني المجازية التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم /338 . وللاستزادة من

النماذج التي جاء بها الاستفهام لمعنى التقرير تنظر الآيات: آل عمران /124 ، الأنعام /12

، يونس / 31 ، 34 ، 35 ، الحج / 70 ، المؤمنون/84، الضحى/6، الفيل/1، البقرة/211.

(8) الأنعام/ 14.

(غير الله) على الفعل وفاعله؛ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان الأجدر بالتقديم⁽¹⁾. والسبب في ورود الاستفهام على هذه الشاكلة أنه إذا "كانت (الهمزة) للإنكار فيليها ماتتكره فعلاً كان أم فاعلاً أم مفعولاً"⁽²⁾ فنرى أن مقتضى المقام قد تواشج مع دلالة الاستفهام ليبرز لنا سمة أسلوبية واضحة العيان لا تتأتى الا لمن له سعة نظر في تدبر النص القرآني ، وقد يجتمع الى الإنكار معنى الاستنكار والاستبعاد كما في قوله تعالى ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ...﴾⁽³⁾ فالاستفهام الوارد بالأداة (كيف) استفهام إنكاري خرج لمعنى الاستنكار والاستبعاد⁽⁴⁾ . فدلالة الاستفهام خرجت من الدلالة الوضعية الى دلالة إيحائية أفادت فضلاً عن الإنكار معنى الاستنكار والاستبعاد ، وقد كان سياق الحال للنص الكريم يؤكد هذا المعنى ويقرره.

هـ- **التهكم والاستهزاء** : وقد جاء في القرآن بعدة نماذج كما في قوله تعالى ﴿وَلَيُنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾⁽⁵⁾، فالناظر الى النص الكريم وقد لفه " طرفي التماثل في هذه الآية هما الاول (كنا نخوض ونلعب) ، والثاني (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) ولاشك في أن الطرفين يتواصلان على معنى واحد . فالخوض واللعب بآيات الله وبالرسول أنما هو استهزاء"⁽⁶⁾ فالاستفهام حمل شحنة إيحائية وقيمة فنية كانت واضحة للمخاطب بفضل القصد والنسق

(1) ينظر: الكشف 8/2 ، مجمع البيان 20/7 ، مدارك التنزيل 458/1 ، إرشاد العقل السليم

130/2 ، التحرير والتنوير 156/7.

(2) المعاني المجازية التي خرج اليها الاستفهام في القرآن الكريم 345/.

(3) التوبة/7.

(4) ينظر: الكشف 175/2 ، التفسير الكبير 229/15 ، مدارك التنزيل 636/1 ، كتاب التسهيل

71/2 ، أنوار التنزيل 396/1 ، إرشاد العقل السليم 385/2 ، روح المعاني 54/10 ، محاسن

التأويل 3079/8 ، التحرير والتنوير 121/10 ، المعاني المجازية التي خرج اليها أسلوب

الاستفهام في القرآن الكريم 344/، وللاستزادة من آيات الاستفهام لمعنى الانكار ، تنظر:

البقرة/ 215 ، آل عمران /86، 144، الأنعام/109، 114، 148 ، الأعراف/32، 63... الخ

وآيات أخرى.

(5) التوبة/ 65.

(6) التقابل والتماثل في القرآن الكريم/ 136.

الذي وردت فيه الآية الكريمة. وقال تعالى ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ ﴾ (1) فنحن نرى ان التعبير في معناه قد ورد فيه " الاستفهام في (من يعيدنا) تهكمي " (2) فضلاً عن قوله (متى هو) استفهام يفيد التهكم أيضاً (3) . فالمعنى المجازي الذي تضمنه هذا الاستفهام قد جاء متناغماً متناسقاً مع نسق الآية وطبيعة المقام الذي وردت معه ، وهكذا نرى ان الخصيصة الأسلوبية لمعنى الاستفهام لا يمكن أن نستوضحها بمعزل عن طبيعة مقتضى الحال والمقام.

6- **التوبيخ:** وقد جاء هذا المعنى بآيات كثيرة كما في قوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ (4) فالنص الكريم وردت فيه قوله (لم تكفرون) وهي صيغة استفهامية أفادت معنى التوبيخ (5) فخرج الاستفهام من دلالة الوضعية الى دلالات تعبيرية ذات أثر جمالي مرموق ساعده في ذلك طبيعة سياق الحال والمقام الذي اشتمل عليها. فالمنبه الأسلوبي في التعبير كان خروج الاستفهام على خلاف الظاهر . وقال تعالى ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ... ﴾ (6) فالمفسرون - في حقيقة الأمر - لم يهتموا بالمعنى الذي تضمنه الاستفهام وأشاروا اليه إشارة عابرة مثل الزمخشري (7) ، والرازي (8) ، وأبي السعود (9) بيد أن ابن جزي أول الاستفهام في الآية لمعنى الإنكار والتوبيخ (10) . أما الشيخ محمد رشيد رضا فقد أطلال الوقوف عند هذه الآية وحللها قائلاً "

(1) الإسراء/51.

(2) التحرير والتنوير 128/15.

(3) ينظر: نفسه 129/15. وللاستزادة من النماذج التي جاء فيها الاستفهام لمعنى التهكم

والاستهزاء تنظر: الطور /40.

(4) آل عمران/98.

(5) ينظر: مجمع البيان 151/4 - 152، كتاب التسهيل 114/1، إرشاد العقل السليم 390/1،

التحرير والتنوير 25/4.

(6) الأنعام/71.

(7) الكشاف 28/2.

(8) التفسير الكبير 29/13.

(9) إرشاد العقل السليم 166/2.

(10) ينظر: كتاب التسهيل 13/2.

ومن بلاغة هذه العبارة أنَّها بينت علّة الإنكار والتعجب في الاستفهام من خمسة وجوه، أولها : أنَّ دعاء غير الله تعالى تحول عن دعاء القادر ... الى دعاء العاجز . ثانيها: أنَّه نكوص على الأعقاب وتقهقر الى الوراء والعرب تقول فيمن عجز بعد قدرة أو سفل بعد رفعة... نكص على عقبيه والأصل فيه رجوع الهزيمة أو الخيبة ثم صار يطلق على كل تحول مذموم. ثالثها: التعبير بـ (نرد) المبني للمجهول بدل التعبير بـ (نرتد) أو (نرجع) والنكتة فيه أن هذا التحول المذموم ليس من شأنه أن يقع من عاقل.. فإذا كانت فطرته وعقله يأبيان عليه هذه الردة والنكوص فكيف يرد وهو لا يرتد. رابعها: ان من أنقذه الله... وهده الى صراط ... " (1) فالاستفهام ورد داخل نسق السياق فأعطى هذا الثراء في التعبير والتكثيف في المعنى.

ز - **التفخيم والتعظيم والتهويل** : وقد جاء في الآيات التي تتعلق ببحثنا منحسرا وقليلاً وذلك في قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ ... ﴾ (2) فالمتمعن في سياق الآية يظهر لنا ورود الاستفهام ، وقد استعمل في معنى التهويل (3) . فالتلاحم الحاصل بين مقتضى الحال ومعنى الاستفهام ، قد خلقا خصيصة أسلوبية ذات قيمة تعبيرية مهمة.

ح - **الأمر** : وقد جاء هذا النوع قليلاً في بحثنا من ذلك قوله تعالى ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ..... ﴾ (4) فالاستفهام في قوله (أأسلمتم) معناه الأمر أي اسلموا كقوله تعالى (فهل انتم منتهون) أي انتهوا وهذا ماذهب اليه أكثر المفسرين والدارسين (5) . أما القاسمي فقد خرج عن هذا الرأي وعلل الاستفهام بأنّه " إستقصار وتعبير بالمعاندة وقلة الانصاف، لأن المنصف إذا

(1) تفسير المنار 523/7 وللاستزادة من نماذج الاستفهام الذي أفاد معنى التوبيخ تنظر الآيات:

آل عمران/83، المائدة 17، 76، الحجرات/16.

(2) النساء/62.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 107/5.

(4) آل عمران/20.

(5) ينظر: جامع البيان 214/3 ، مجمع البيان 41/3، التفسير الكبير 228/7، مدارك التنزيل

204/1 ، التحرير والتنوير 202/3 ، المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم 440/1 ، معاني

النحو ، فاضل السامرائي 235/4.

تحلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق" (1) فدلل الاستفهام بفضل السياق الذي جاء فيه على معنى الأمر وقد عرف ذلك بفضل القرينة الدالة على ذلك.

ط - **التعجب** : وقد وردت في آيات كثيرة معاني الاستفهام للتعجب وذلك بقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ (2) فالإستنتاج الى معرفة هذا التعبير يدلنا على أن الاستفهام الذي ورد فيه جاء لمعنى النكار والتعجب ، وذلك في قوله (وكيف تكفرون) كما ذهب الى ذلك كثير من المفسرين (3) . وتابعهم في ذلك قسم من المحدثين (4) . وخرج القاضي عبد الجبار عن هذا الرأي وأول الاستفهام لمعنى التوبيخ والذم (5) . أما الطاهر بن عاشور فعلى الاستفهام لمعنى الاستبعاد أي استبعاداً لكفرهم ونفياً له (6) . ونحن نعتقد أن الاستفهام خرج لمعنى التعجب والله أعلم ، وقد دلل ذلك السياق الذي حمل معه ملمحاً أسلوبياً ساعد على إبراز المعنى وتوضيحه. وقال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (7) ، فالآية الكريمة اشتملت على الاستفهام بالاداة (كيف) وقد خرج هذا الاستفهام من دلالاته الوضعية الى دلالة إيحائية وقيمة فنية أسلوبية فأفاد معنى التعجب (8) . وقد ظهر ذلك جلياً عن طريق استنائه نسق الآيات القريبة من هذا التعبير ومعرفة مقتضى المقام.

ي - **التعجب** : وقد جاء الاستفهام لمعنى التعجب في قوله تعالى ﴿أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ...﴾ (9) ، فالنص الكريم حوى في ثناياه

(1) محاسن التأويل 814/4.

(2) آل عمران/101.

(3) ينظر : الكشف 540/1 ، التفسير الكبير 170/8 ، مدارك التنزيل 238/1 ، إرشاد العقل السليم 393-392/1.

(4) ينظر : المعاني المجازية التي خرج اليها اسلوب الاستفهام في القرآن الكريم /349.

(5) ينظر : تنزيه القرآن عن المطاعن/66.

(6) ينظر : التحرير والتنوير 28/4.

(7) النساء /41.

(8) ينظر : التحرير والتنوير 57/5. وللاستزادة من آيات الاستفهام لمعنى التعجب تنظر :

آل عمران/23 ، 165.

(9) يونس/2.

الاستفهام بـ (الهمزة) لإنكار التعجيب منه كما أكد ذلك المفسرون القدامى ⁽¹⁾ . وقد جاءت الآية محملة بدلالات تعبيرية ابداعية بفضل المعنى المجازي الذي خرج إليه الاستفهام. وقال تعالى ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ... ﴾ ⁽²⁾ وقد أدلى المفسرون بدلوهم في المعنى الذي خرج إليه الاستفهام ، فالزمخشري يرى أن الاستفهام "انكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم" ⁽³⁾ في حين ذهب الطاهر بن عاشور الى أن " الاستفهام لإنكار أن يكون حرص الرسول - ﷺ - على هداهم ناجعاً فيهم إذا كان الله قدر ضلالهم فأوجد أسبابه قال تعالى ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ ولما كان حال الرسول - ﷺ - في معاودة دعوتهم كحال من يظن أنه قادر على إيصال التذكير الى قلوبهم نزل منزلة من يظن ذلك ، فخطوب استفهام الإنكار وسلط الاستفهام على كلام فيه طريق قصر بتقديم المسند اليه على الخبر الفعلي مع ايلاء الضمير حرف الإنكار وهو قصر مؤكد وقصر قلب " ⁽⁴⁾ .

ونصل إلى الدكتور منير سلطان ليحلل معنى الاستفهام فيقول " ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار ، وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون ، أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة من يرى انه يسمع الصم ويهدي العمي ثم المعنى في تقديم الاسم وإن لم يقل (أسمع الصم) ، هو أن يقال للنبي - ﷺ - " أنت خصوصاً قد أوتيت أن تسمع الصم " وأن يجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم" ⁽⁵⁾ .

(1) ينظر: الكشاف 2/224 ، مجمع البيان 8/11 ، التفسير الكبير 7/17 ، مدارك التنزيل 1/2 ، كتاب التسهيل 2/89 ، إرشاد العقل السليم 2/462 ، محاسن التأويل 9/3322 ، التحرير والتنوير 83/11 .

(2) الزخرف/40 .

(3) الكشاف 3/489 ، وينظر: إرشاد العقل السليم 5/544 .

(4) التحرير والتنوير 25/216 .

(5) بلاغة الكلمة والجملة والجمال 162/ وللاستزادة من الآيات التي ورد فيها الاستفهام لمعنى التعجيب : تنظر: النساء /77 ، المائدة/59 ، الأعراف/184 ، يونس/38 ، الرعد/32 ، الإسراء/48 ، الكهف/9 ، مريم/84 ، الأنبياء/36 ، النور/41 ، الفرقان/7 ، العنكبوت/51 ، ص/4 ، العلق/9 .

ك - **التنبيه:** وقد جاء هذا المعنى في عدة آيات منها قوله تعالى ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ... ﴾ ⁽¹⁾ فالتعبير القرآني تضمن الاستفهام بالأداة (كيف) وأفادت معنى التنبيه على القدرة ⁽²⁾ ، وهكذا عمل سياق الحال على استجلاء المعنى المجازي للاستفهام وليعطي ملمحاً أسلوبياً بارزاً أضاف مسحة جمالية على هذا النص. وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ... ﴾ ⁽³⁾ فالآية تضمنت الاستفهام في الاداة (الهمزة) وأعطى هذا الاستعمال منها أسلوبياً على خروج الاستفهام خلاف مقتضى الظاهر فأعطى معنى التنبيه ⁽⁴⁾ .

ل - **الاستبعاد :** ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أُنْزِلَ لَهُمُ الذِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ ... ﴾ ⁽⁵⁾ فالمتعمن للخصيصة الأسلوبية التي ظهرت في أسلوب الاستفهام عن طريق الأداة (أنى) يلحظ انه خرج عن دلالاته الوضعية الى معنى مجازي هو الاستبعاد ⁽⁶⁾ . وقد تحقق ذلك بفضل طبيعة المقام وسياق الحال الذي غلف هذا التعبير ودل على ذلك. وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ ⁽⁷⁾ فالناظر الى هذا النص يجده قد حوى الاداة (أيان) وهي : " اسم يستفهم به عن تعيين الوقت والاستفهام مستعمل في الاستبعاد كتابة وهو أيضاً كناية عن الإستحالة " ⁽⁸⁾ فالقيمة التعبيرية للنص الكريم جاءت في دلالة الاستفهام على الاستبعاد وقد سألو الرسول - ﷺ - عن الساعة ومتى قيامها وكل ذلك تحقق ؛ لأن نسق الآيات المجاورة لها حمل هذا المعنى على سبيل التكتيف.

(1) الإسراء/21.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 63/15.

(3) الفيل/1.

(4) ينظر: البرهان ، الزركشي 340/3 وللاستزادة من معنى التنبيه . تنظر: الآيات: البقرة/258،

الفرقان/45.

(5) الدخان /13.

(6) ينظر: البرهان، الزركشي 340/2.

(7) النازعات /42.

(8) التحرير والتنوير 95/30.

م - **الاستبطاء** : وقد جاء هذا المعنى من الاستفهام في آية واحدة من بحثنا هي قوله تعالى ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ ... ﴾ (1) . فالاستفهام الوارد بالاداة (متى) افاد معنى الاستبطاء والاستطالة، أي استطلوا زمن العذاب واستبطنوا مجيء النصر ، وهذا مذهب اليه جل العلماء والدارسين قديما وحديثا(2) . وقد خرج عن هذا الرأي القاضي عبد الجبار فرأى أن الاستفهام خرج لمعنى الدعاء خوفا على مايلحق المسلمين من جهة الكفار (3) . وأنا لا أرى في رأي القاضي أي صواب والرأي الأول أولى بالأخذ والله أعلم.

ن - **التحقير** : وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ... ﴾ (4) فنرى بوضوح أسلوب الاستفهام الذي ورد بالأداة (الهمزة) قد خرج عن معناه الظاهر الى معنى مجازي هو التحقير (5) . فالخصيصة الأسلوبية لهذا الاستعمال جاءت عن طريق التعرف على سياق الآية مقارنة بنسق الآيات المجاورة الأخرى. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (6) . فالتعبير القرآني جاء حاملاً معه أسلوب الاستفهام بالأداة (الهمزة) وقد خرج الاستفهام خلاف مقتضى الظاهر الى دلالة مجازية هي الاستصغار والاستهزاء والتحقير (7) . وقد دلل مقتضى المقام على هذا المعنى وأشار الى الخصيصة الأسلوبية فيه عن طريق معرفتنا بالقصد الذي جاء به القرآن.

(1) البقرة/214.

(2) ينظر: الكشف 356/1 ، مجمع البيان 191/2 ، مدارك التنزيل 136/1 ، الإتيان ، 888/2 ، إرشاد العقل السليم 252/1 ، محاسن التأويل 530/3 ، التحرير والتنوير 316/2 ، من بلاغة القرآن/164 ، فن البلاغة/134 ، أساليب الاستفهام في القرآن ، عبد العليم فودة/260 ، المعاني المجازية التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم /363 .

(3) تنزيه القرآن عن المطاعن /42 ، وينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /140 ، المعاني في ضوء أساليب القرآن /185 .

(4) الأنبياء/36.

(5) ينظر: الإتيان ، 889/2 .

(6) الفرقان/41.

(7) ينظر: الكشف 93/3 ، مدارك التنزيل 543/2 ، البرهان ، الزركشي 340/2 ، الإتيان ، 889/2 ، معترك الأقران 332/1 ، إرشاد العقل السليم 139/4 ، محاسن التأويل 4579/12 ،

س- **التشويق** : وقد جاءت من هذا المعنى آيات متشابهات حملت معنى التشويق وذلك بقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ⁽¹⁾ ﴿ وَهَلْ أَتَكَ نَبَأَ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ⁽²⁾ .

﴿ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ صَنِيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ⁽³⁾ ﴿ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ⁽⁴⁾ ﴿ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ ⁽⁵⁾ ﴿ هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ⁽⁶⁾ وقد خرج الاستفهام في الآيات جميعها لمعنى التشويق ⁽⁷⁾ .

من جهة أخرى فقد حملت الآيات المذكورة آنفاً في طياتها تفرداً أسلوبياً في الاستعمال فنلاحظ الاستفهام يسلك مسلكاً أسلوبياً يؤدي الى سمة أسلوبية متفردة. فنلاحظ في الآية الأولى والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ، قد وردت لفظة (حديث) وقد خرجت الآية الثانية عن هذا السياق بلفظة (نبأ) فلماذا عدل في آية واحدة بلفظة (نبأ) في حين جاءت جميع الآيات الأخرى بلفظة (حديث)؟

فالحديث هو " كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه " ⁽⁸⁾ ، أما النبأ فهو " خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة " ⁽⁹⁾ . ولهذا لمسنا الفرق بين الحديث و (النبأ) ونعود الى سؤالنا لماذا قال (نبأ) ولم يقل (حديثاً) ؟ ؛ لأن النبأ فيه

التحرير والتنوير 32/19 ، الموسوعة القرآنية الميسرة، إبراهيم الابياري 201/2، المعاني المجازية التي خرج اليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم /353.

(1) طه /9.

(2) ص /21.

(3) الذاريات /24.

(4) النازعات /15.

(5) البروج/17.

(6) الغاشية/1.

(7) ينظر: الكشف 366/3-367، أساليب الاستفهام في القرآن /101.

(8) المفردات / 158.

(9) نفسه / 732.

اختصار والحديث فيه طول وتفصيل وتوضيح، والنبأ قد يكون فيه تورية وتشبيه وتمثيل⁽¹⁾ . أما "الحديث ففيه صراحة ومباشرة ووضوح، والحديث قد يتكرر أكثر من مرة وبصور مختلفة والنبأ قد يذكر لمرة فقط ولا يتكرر"⁽²⁾ ولهذا وردت هذه الملامح الأسلوبية في الآيات وقد حملت العدول بلفظة بدلا من أخرى تبعا لطبيعة المعنى التي تروم الآية التعبير عنه ، فالنص القرآني يختار بدقة عالية التعبير المناسب والإيجاء الدال.

4 - النداء

شكّل أسلوب النداء أساساً جوهرياً لقيم التعبير الأسلوبية في النص القرآني انطلاقاً من حقيقة كونه واحداً من الأساليب الإنشائية الطلبية التي زخر بها القرآن الكريم ، وأضافت إليه أثراً جمالياً واضحاً، ويعرف النداء بأنه " طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو "⁽³⁾ وعلى هذا الأساس يكون " النداء نوع من الطلب وهو يدخل في لغة الإرادة شأنه في ذلك شأن كل أسلوب إنشائي ويشغل النداء الظاهر عشرة مواضع افتتاحية في النص القرآني "⁽⁴⁾ . ويتوزع النداء في النص القرآني على أربعة محاور هي : التوجيه العام ، والحكم التشريعي، والعتاب الشخصي، والحض المحضوض⁽⁵⁾ . وفضلاً عن ذلك فالنداء القرآني للرسول محمد - ﷺ - يحمل في طياته خصوصية معينة أي "أن ثمة قصدا في أن يكون النبي - ﷺ - أنموذجاً جامعاً لمحاور العلاقة المختلفة بين الله والبشر في عمومهم لذلك فقد كان محلاً للتوجيه العام وللحكم التشريعي وللعتاب الشخصي"⁽⁶⁾. أما مخاطبة الباري - ﷻ - لرسوله - ﷺ - في توجيهه العام فكان من موقع الإله لامن موقع المربي، ومن ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾⁽⁷⁾ فالنص القرآني قدم "الأله

(1) ينظر : الكشف 368/3-369 .

(2) المبني والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم /221.

(3) معترك الأقران 339/1.

(4) النص القرآني من الجملة الى العالم /85.

(5) ينظر : نفسه ، الصحيفة نفسها.

(6) نفسه/86.

(7) الطلاق/1.

على المرّبي ولكنه أراد اقترانهما أيضاً لتأكيد غرض التقويم في كل حكم تشريعي ولم يحد عن ذلك في العتاب الذي جاء مخففاً في صيغة السؤال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾ وعلى حين تتحد ماهية الطلب في مفتحات التوجيه العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ فإن مسمى المفعول يختلف فيتناسب عكسياً مع المنادى أو المخاطب كأن الدلالة النفسية للأداء تكمن في الدنو من البعيد⁽¹⁾ . وللنداء حروف ينادى بها أشهرها (يا، الهمزة، أي، أي، هيا ... الخ) وفي أحيان كثيرة يقع " الحذف في حرف النداء وفي المنادى إذا دل على ذلك دليل وهو في القرآن كثير⁽²⁾ ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.....﴾⁽³⁾ أي وقل يا محمد لعبادي وقال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ.....﴾⁽⁴⁾ أي فاقم يا محمد⁽⁵⁾ . والذي يهمننا في كل ماتقدم أن نستجلي الخصائص الأسلوبية التي اشتمل عليها أسلوب النداء ، ويمكن أن نقف عليها عند خروج النداء لمعانٍ مجازية ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾⁽⁶⁾ فقد خرج النداء في هذا البناء من دلالاته الوضعية الى دلالة الاستهزاء كما صرح بذلك طائفة من المفسرين أبرزهم الزمخشري⁽⁷⁾ ، والرازي⁽⁸⁾ ، والقاسمي⁽⁹⁾ ، وإن كان ابن عاشور قد أوله لمعنى التشهير بالوصف المنادى به⁽¹⁰⁾ . فالسياق بين ذلك وحدد المعنى المقصود على وفق مراعاة المقام فالقائل يسخر من المخاطب مستهزئاً به والا كيف نفسر اعترافه بنزول القرآن الكريم على رسوله - ﷺ - وينسب اليه الجنون ؟

(1) النص القرآني من الجملة الى العالم / 86.

(2) أساليب النداء في القرآن الكريم ، كاظم فتحي ، مجلة آداب المستنصرية ، ع2 ، 1397هـ - 1977م / 195.

(3) الإسراء / 53.

(4) الروم / 43 .

(5) ينظر: أساليب النداء في القرآن الكريم / 195.

(6) الحجر / 6.

(7) الكشف 387/2 وينظر: مدارك التنزيل 178/2 ، البلاغة تطور وتاريخ / 255.

(8) ينظر: التفسير الكبير 158/19.

(9) ينظر: محاسن التأويل 3747/10.

(10) التحرير والتنوير 16/14.

وقد علم هؤلاء عن الرسول كمال القول والفعل. فالنداء خرج لمعنى مجازي هو الاستهزاء . وقال تعالى ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَّا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ﴾⁽¹⁾ ، فالمتأمل للنص الكريم يستكشف فيه خروج أسلوب النداء عن المعنى الحقيقي الى معنى مجازي هو التحسر⁽²⁾ أي المتحسر على مافات هؤلاء من طاعة الله ورسوله ، فاطلقوا هذا النداء تحسرا والذي أخبرنا بالملح الأسلوبى هذا هو السياق الذي ورد فيه هذا النداء ومكانة المقام في الإفصاح عن المعنى الذي قصده هذا التعبير. وقال تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽³⁾ فقله تعالى (أهل البيت) إما أن يكون قد نصب على المدح، وإما على النداء، وعلى هذا الأساس فإذا قبلنا الرأي الثاني فالنداء اشتمل على ملح أسلوبى هو خروج هذا النداء لمعنى الاختصاص⁽⁴⁾ . وربما يخرج النداء لمعنى الاضطراب وشدة الموقف كما في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَرْبِ إِنِّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾ ، فنرى بوضوح أنَّ " (قيله) هو (يارب) فقط أي أقسم بنداء الرسول ربه نداء مضطر"⁽⁶⁾ ويرى الدكتور أحمد بدوي أنَّ " على كثرة ما نودي الرب في القرآن لم أعثر عليه مسبقا بحرف النداء الا في تلك الآية الكريمة ... وألمح في المجيء بحرف النداء هنا خاصة تعبيراً عن حالة نفسية ألمت بالرسول وقد أفرغ جهده في دعوة قومه واندأهم فلم يزداهم ذلك الا تماديا في كفرهم فاطبق الهم على فؤاده وكأنما شعر بتخلي الرب عن نصرته وبعده عن أن يمد اليه يد المساعدة فأتى بحرف النداء، كأنما يريد أن يرفع صوته زيادة في الضراعة الى الله واستجلاب رضاه"⁽⁷⁾ وهكذا عمل سياق النص القرآني على تكتيف المعنى المجازي الذي خرج اليه النداء وذلك ، لأن قوله (وقيله)

(1) الأحزاب /66.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 116/22 .

(3) الأحزاب/33.

(4) ينظر: مدارك التنزيل 64/3 ، التحرير والتنوير 17/22.

(5) الزخرف /88.

(6) التحرير والتنوير 733/25.

(7) من بلاغة القرآن /169 وينظر : المعنى نفسه في : أساليب النداء في القرآن الكريم / 165-

معطوف على الساعة من قوله ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾⁽¹⁾ والضمير في (قيله) يشير لمحمد - ﷺ -⁽²⁾ . ومن الملامح الأسلوبية التي أشرنا على النداء القرآني الموجه للرسول محمد - ﷺ - هو مخاطبته بـ (يا أيها) من دون اسمه الصريح وسنتحدث عن ذلك في مبحث لاحق (الخطاب) ورأينا أن أكثر المفسرين يرون في دلالة هذا العدول بـ (يا أيها) دون اسمه الصريح ما عليه من تعظيم وتشريف للرسول محمد - ﷺ - فلم يقل يامحمد كما فعل مع الأنبياء الآخرين (آدم) ، (موسى)⁽³⁾ . ومن الآيات التي حملت هذا المعنى: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ...﴾⁽⁴⁾ وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ...﴾⁽⁵⁾ وهكذا وجدنا في النماذج التي اعتمدنا الوقوف عندها في موضوع النداء أنه يخرج لمعانٍ مجازية تمثل خصائص أسلوبية نستوضحها من خلال السياق ومقتضى المقام الذي يحدد ماهيتها وطرائق تكونها . وهناك آيات أخرى اشتملت على أسلوب النداء⁽⁶⁾ .

(1) الزخرف /85.

(2) ينظر: قاموس قرآني ، حسن محمد موسى / 146.

(3) ينظر: التفسير الكبير 189/25، مدارك التنزيل 48/3، كتاب التسهيل 132/3، إرشاد العقل

السليم 306/4 ، محاسن التأويل 4822/13، التحرير والتنوير 249/21.

(4) الأحزاب/1.

(5) المزمّل /1.

(6) تنظر الآيات: المائدة /67، يونس /71، الأنبياء/112، الفرقان/30.

المبحث الثاني

بنية المفردة والجملة القرآنية

أولاً : - الحروف والأدوات :

تميز التعبير القرآني بسمات أسلوبية خاصة في دقته المتناهية في وضع الحروف والأدوات الموضع الملائم داخل النظم القرآني وبنيته، فهي موضوعة بشكل فني رفيع ومتقرد مما يضيف على النص القرآني دفقا متواصلًا من الأشكال الجمالية.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾⁽¹⁾ . فالنص الكريم يفصح عن إيثار الحرف (في) بدلا من (إلى) وذلك " للإيماء الى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه الى بعض آخر منها"⁽²⁾ فالحرف (في) عبر عن إحياء الاستقرار الذي وضعوا أنفسهم فيه ولا يستطيعون أن يبرحوه. ولذلك نرى دقة الاستعمال للحرف. وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ...﴾⁽³⁾ ، فالتعبير يصدر الآية باداة الاستفهام (أم) بدلا من (هل) و(الهمزة) والسبب في هذا الاختيار ان (أم) من الاستفهام الذي يتوسط الكلام ولو كان يراد به الابتداء لاستعمل (الألف) أو (هل)⁽⁴⁾ فلكل سياق ونسق أداته التي تليق به لإبراز المعنى المراد بالشكل الأمثل ، وقال تعالى : ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾ ، فنرى اختيار (اللام) في (لنا) بدلا من (على) في (علينا) وهو اختيار دقيق ومقصود ؛ لأنه يتفق ونفسية المسلمين الذين يحسبون أن كل ما من الله - ﷻ - في الحقيقة خيرا ونعمة⁽⁶⁾ . وقال تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ

(1) المائدة/41.

(2) إرشاد العقل السليم 40/2.

(3) التوبة/16.

(4) ينظر: معاني القرآن ، الفراء 426/1، التفسير الكبير 5/16.

(5) التوبة/51.

(6) إعجاز القرآن الكريم 195/.

مِنْهُمْ ... ﴿⁽¹⁾ فَأَثَرُ التَّعْبِيرِ اسْتِعْمَالُ (اللام) بدلا من (عند) لأن الباري -عَزَّ وَجَلَّ- قال (أَكَانَ لِلنَّاسِ) ولم يقل (أَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ) وعلة هذا الاستعمال أَنَّ قوله (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا) معناه "أنَّهم جعلوه لأنفسهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه وعينوه لتوجيه الطيرة والاستهزاء والعجب اليه وليس في قوله (أَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ عَجَبًا) هذا المعنى" ⁽²⁾ وهكذا اتسم اللام بسمة أسلوبية اختلفت كل الاختلاف عن لفظة (عند) لأنها كانت خادمة للمعنى ومعبرة عنه. وقال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ⁽³⁾ . فالنص يؤسس سمته الأسلوبية على استعمال (عن) بدلا من (الباء) وكان حريا أن يقول (وما ينطق بالهوى) ، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية علة هذا المسلك الأسلوبى فقال "لأن نطقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضمن أَنَّ نطقه لم يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فتضمن نفي الأمرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال" ⁽⁴⁾ فجاءت (عن) بمعنى (الباء) ⁽⁵⁾ . أي بالهوى . وهذا من أبلغ التعبير في التنزيه ؛ لأنه نزه القرآن الكريم عن الهوى بالمصدر الذي يمثل جهاز النطق والكيفية التي يتم بها هذا التبليغ ، وأن جميع الاتهامات توجه في الغالب الى هذين الأمرين ⁽⁶⁾ . وقال تعالى ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ⁽⁷⁾ . فالناظر الى الآية يرى استعمال الاداة (ما) بدلا من (من) في قوله (ما تعبدون) ، وقد علل الماوردي السبب في هذا الاختيار هو تقابل الكلام بين ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ و ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ⁽⁸⁾ .

(1) يونس/2.

(2) التفسير الكبير 6/17.

(3) النجم/3.

(4) التبيان في أقسام القرآن/155، وينظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، عبدالفتاح لاشين / 68-69.

(5) ينظر : تناوب حروف الجر في لغة القرآن ، محمد حسن عواد /29، التضمين في ضوء الدراسة النحوية ، محمد محمد أحمد عبدالرحمن (رسالة ماجستير) /234.

(6) ينظر: البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين ، عامر مهدي صالح (رسالة ماجستير)/117.

(7) الكافرون/2.

(8) ينظر: النكت والعيون 534/4 .

وأضاف الزمخشري رأياً آخر فقال " لأن المراد الصفة كأن قال : " لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق " (1) . وقريب من رأي الزمخشري كان قول القاسمي الذي ذكر علة الوصف (2) . وقد اختلف منحنى تعليل شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الاستعمال ورفض علة التقابل التي قال بها العلماء، ورأى فيه رأياً ضعيفاً جداً ، يغير اللغة ويخصص عموم القرآن (3) . وقال تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْغَنِيِّ عَنْ ضَلَّتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ... ﴾ (4) . فالآية الكريمة أثرت استعمال (إن) بدلا من (ما) وذلك منعا للتكرار وإضافة التنويع على الأسلوب (5) . وقال تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا ... ﴾ (6) فالوقفه التي تستحق التأمل العميق والتقويم الدقيق ما قام به الشيخ محمد متولي الشعراوي في استدلاله بالحرف (لولا) في الرد على قاصري الفهم في تحليل النص المذكور آنفاً فقال: " أما مسألة ميل رسول الله - ﷺ - الى الكفار وأخذ الآية الكريمة (وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ) على أنها لوم للرسول فالرسول لم يمل للكفار قط .. والا لما بدأت الآية بحرف الامتناع لولا! ليؤكد الله - ﷻ - امتناع حدوث هذا الشيء " (7) وهي النقطة مضيئة ومتميزة؛ لأن السياق الذي وردت فيه الآية يؤكد ما طرحه الشيخ الشعراوي والله أعلم. وأما التأسيس الآخر فمفاده ان النص القرآن زخر بمجيء الحروف متناوبة تدل على معاني أخرى من ذلك مجيء (الياء) بمعنى (مع) أو المضمنة معنى المصاحبة وتسمى (ياء الحال) وقال المرادي عنها : " ولها علامتان : إحداها ، أن يحسن في موضعها (مع) والأخرى أن تغني عنها وعن مصحوبها الحال " (8) ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ

(1) الكشف 293/4.

(2) ينظر: محاسن التأويل 6282/17.

(3) ينظر: مجموع فتاوى ، ابن تيمية 536-537 / 16 ، منهج ابن تيمية في تفسير القرآن ، صبري المتولي / 135.

(4) النمل / 81.

(5) ينظر: أساليب النفي في العربية، مصطفى النحاس/ 68.

(6) الإسراء/ 74.

(7) معجزة القرآن / 232.

(8) الجنى الداني / 104 وينظر: تناوب حروف الجر في لغة القرآن / 94 .

جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ⁽¹⁾ . أي مع الحق أو محقاً⁽²⁾ فأوحى (الباء) في الآية بمعنى المصاحبة مما اضفى على التعبير سمة وقيمة أسلوبية تتأتى في هذا الاستعمال وطريقة تعبيره . وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... ﴾⁽³⁾ . فالباء في كلمة (بالحق) تضمنت معنى (مع) وتقيد المصاحبة⁽⁴⁾ . كما يلاحظ سمة المغايرة في استعمال الحروف والأدوات بين آية قرآنية وأخرى. قال تعالى ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾⁽⁵⁾ . وقال أيضاً ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ... ﴾⁽⁶⁾ . فالآية الأولى ورد استعمال (الينا) والثانية ورد (علينا) ودلالة هذا التغاير بين الاستعمالين انه عبر بـ (إلى) عندما كان الخطاب للأمة وذلك لأن القرآن الكريم أنزل اليهم اما الآية الثانية فعبر بـ (على) لكون الخطاب للرسول - ﷺ - وخاصة القرآن الكريم قد أنزل عليه وحده⁽⁷⁾ . وهكذا نرى أن كل آية اختصت بحرف يناسب الجانب الدلالي في ايراد المعنى المطلوب. وقال تعالى ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ... ﴾⁽⁸⁾ . وقال ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ... ﴾⁽⁹⁾ . فورد (اللام) في الآية الأولى في لفظة (ليعذبهم) في حين لم يرد اللام في الآية الثانية فقال (أَنْ يُعَذِّبَهُمْ) والسبب في زيادة اللام في الآية الأولى (التوبة/55) لضرورة يقتضيها السياق بوصفها خطاباً للمنافقين في إنفاق الأموال فزاد (لا) النافية للتوكيد في قوله : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾ وزاد (اللام) في قوله (ليعذبهم) لزيادة الاختصاص وتوكيده. أما الآية الثانية (التوبة/85) فالسياق مختلف فلم يذكر (لا) ولا (اللام) كما ذكرها في الآية الأولى ؛ لأن المقام لا يتطلب التوكيد في

(1) النساء/17.

(2) ينظر: الجنى الداني / 104 ، تناوب حروف الجر في لغة القرآن /94.

(3) البقرة/119.

(4) ينظر: التضمين في ضوء الدراسة النحوية /210.

(5) البقرة/136.

(6) آل عمران /84.

(7) ينظر: إعجاز القرآن الكريم /194.

(8) التوبة/55.

(9) التوبة/85.

الآية الثانية⁽¹⁾. وقال تعالى ﴿... وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ...﴾⁽²⁾ وقال ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ...﴾⁽³⁾. فنرى الآية الأولى متضمنة قوله (ثم تردون) في حين قال في الثانية (وستردون) فضلا عن زيادة كلمة (والمؤمنون) في الآية الثانية، والسبب في ذلك أن الآية الأولى خطاب للمنافقين ونفاقهم ولايتعرف على هذا النفاق غير الله والرسول محمد - ﷺ - ؛ لأن الله يطلعهم عليهم في حين تضمنت الثانية خطاباً للمؤمنين. أما مجيء (ثم تردون) في الأولى و(ستردون) في الثانية ؛ لأن الأولى وعيد وثم للتأخير في حين الآية الثانية وعد ويجب استعمال (السين) في كونه أقرب للحال من (ثم) فوافق ما قبل الآية ، ولهذا فالتعبير قرب الثواب وبعد العقاب⁽⁴⁾. وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ...﴾⁽⁵⁾ ، عدى الانزال بـ(في) ، وقال أيضاً ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽⁶⁾ عدى الانزال بـ(على) . وقال أيضاً ﴿...فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ...﴾⁽⁷⁾ عدى الانزال بـ(على) فنرى بوضوح أن أحداث الحديبية وبيعة الرضوان قد ألفت بضلالها في هذه الآيات الكريمة ولاسيما عند ابرام الصلح؛ لأن المسلمين كانوا بحاجة ماسة الى السكينة فالتعبير القرآني يعدي فعل الانزال في الآية الأولى بـ(في) في حين يعديه بـ(على) في الآيتين الاخيرين ودلالة هذا التغاير في هذه النصوص ان المسلمين احتاجوا السكينة وهي " تتغلغل في قلوبهم في هذا الموطن عند ابرام الصلح لذا عدى الانزال بـ(في) دون الموضعين الأخيرين

(1) ينظر: معاني النحو 71/3-72.

(2) التوبة/94.

(3) التوبة/105.

(4) ينظر: مسائل منثورة لابن بري/21 نقلا عن : من أسرار البيان القرآني ، حسام سعيد النعيمي ، بحث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني - بغداد ، 1990م / 154-155 ، وينظر كذلك المعنى نفسه أسرار التكرار في القرآن / 214-215 ، التعبير القرآني / 110.

(5) الفتح/4.

(6) الفتح/18.

(7) الفتح/26.

؛ لأن المؤمنين كانوا أكثر حاجة الى هذه السكينة في هذا الموطن، وبديهي أن هناك فرقاً كبيراً بين (في) و(على) إذ تستعمل (في) للظرفية وهذا يدل على تغلغل السكينة في أعماق المؤمنين وقلوبهم" (1) .

ومن ذلك نرى أن للحروف والأدوات سمات أسلوبية تضفي عذوبة على النص القرآني وتشد من أواصره في اللفظ والمعنى ولا يفوتنا أن نذكر ان هنالك آيات قرآنية أخرى (2) تضمنت استعمالات خاصة للحروف والادوات.

ثانياً : - بنية الجملة القرآنية :

تتأسس بنية الجملة القرآنية من نسق محكم للكلمات تتواشج وتتآخى فيما بينها على نحو فريد من الترتيب لتؤدي وظيفة ايصالية الى المتلقي، فالجملة القرآنية في نظر الأسلوبية تتألف من أنساق من العلائق ينجم عنها مثيرات أسلوبية تقضي الى سمات أسلوبية فريدة تختلف عن أي كلام مماثل لها وهو سر إعجازها.

ومن هنا يتضح لنا " أن العبارة القرآنية أو الجملة القرآنية قد جعل الله فيها من المرونة والسعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن ويجد فيها المسلم مايشبع فكره ووجدانه معا بالفهم الفطري السهل الميسر لكل قارئ للقرآن ، ومع هذا اودع الله الجملة القرآنية من السعة والخصوبة مايتسع لما يكشف عنه الزمن من حقائق ومايبلغه العلم من تطور وتقدم كما نشاهد في عصرنا" (3) وتختلف دلالة الاسم عن الفعل، وقد عرف عن الجرجاني أنه أول من نبّه على دلالة الاسم على الثبوت ودلالة الفعل على التجدد وطبيعة الفرق بينهما فقال " هو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة اليه وبيانه أن موضع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء" (4) .

(1) إعجاز القرآن الكريم /196.

(2) تنظر الآيات، آل عمران /144، التوبة /128، طه/132، النور/62، الكافرون/4، الفيل/1، فصلت/5، الطلاق/1، الأعراف/187، الحشر/4.

(3) كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، يوسف القرضاوي / 397.

(4) كتاب دلائل الإعجاز/174 ، وينظر : نحو منهج جديد في البلاغة والنقد/36 .

وتلاه الرازي في هذا الرأي ⁽¹⁾ ، وهكذا نرى أن الجملة الاسمية تؤدي غرضاً مغايراً للجملة الفعلية ، وكلاهما قد حفل بهما النص القرآني ، من ناحية أخرى فإن "الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة عن أوسع معنى تام متكامل لا يكاد الانسان يستطيع التعبير عنه الا بأسطر وجمل كثيرة دون أن تجد فيه اختصاراً مخللاً أو ضعفاً في الدلالة" ⁽²⁾ .

وسنحاول رصد الوسائل الأسلوبية التي تتمخض عن تركيب هذه الجملة وإبراز مكوناتها .

1- **الجملة الاسمية** : إنَّ أنساق الجملة الاسمية تبدو في بحثنا أقل من مثيلتها الجملة الفعلية ومن ذلك نجد قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ ⁽³⁾ .

وقال أيضاً ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ ⁽⁴⁾ ، فنلمس اقتران الخبر بـ (الا) و(انما) والغاية الأسلوبية الجمالية لهذا التعبير لكي " لا يلتبس المحصور فيه وهو الخبر هنا بالمحصور وهو المبتدأ والحصر هنا معنى طارئ على أصل الجملة ومع ذلك يجب أن يقدم النظام اللغوي ما يكفل الوضوح في كل حالة ولو أباح النظام اللغوي هنا تقديم الخبر لانعكس المعنى المقصود ولأشعر التركيب حينئذ بأن المبتدأ هو المحصور فيه " ⁽⁵⁾ .

(1) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / 75.

(2) تأويل مشكل القرآن / 3-4، وينظر : الاعجاز في نظم القرآن / 86-87.

(3) آل عمران / 144 .

(4) هود / 12.

(5) في بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف / 134.

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ ⁽¹⁾ ، إنَّ استكناه التعبير في هذا النص يكشف مجيئ " الضالين بالجملة الاسمية المقتضية ثبات الضلال المشعر بأن الضلال هو أمرهم القديم الراسخ فيهم مع ما أفاده حرف الظرفية من انغماسهم في الضلال واحاطته بهم " ⁽²⁾ . وقال تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ﴾ ⁽³⁾ .

ومن خلال فحص التعبير نلمس عدة وجوه في إعرابها، فإما أن تكون محمد خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو) ورسول الله عطف بيان ، وإما أن تكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله ، وقد تعددت وجهات نظر المفسرين في تأويل وجوه هذه الآية ⁽⁴⁾ . وأكاد أقول أنَّ الانزياح التركيبي المتمثل بحذف المبتدأ في أحد الوجوه منح النص شموخه الى الحد الذي يغدو فيه عصياً على ذهن المتلقي لمعرفة إعرابه ، من جهة أخرى فإن سلسلة التأويلات لاتقف عند هذا الحد بل تتعدى ذلك الى جعل الآية الكريمة " جملتين : الأولى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) فتكون (رَسُولُ اللَّهِ) خبراً لـ (مُحَمَّدٌ) والثانية (وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ) فتكون الواو لعطف الجمل (وَالَّذِينَ) مبتدأ (وَأَشِدَّاءُ) خبر وهو يمكننا أيضاً من اعتبارها جملة واحدة فيكون المبتدأ فيها (مُحَمَّدٌ) ويكون (رَسُولُ اللَّهِ) بدلاً منه والواو لعطف المفردات (وَالَّذِينَ) معطوف على المبتدأ ، قد تعدد بعطف مايفيد الجمع عليه " ⁽⁵⁾ فالمرونة والسعة في تأويل الجملة القرآنية المذكورة آنفاً قد مكن المتلقي من انبهاره وهو يتدبر بديع القرآن واقتدار إعجازه. وقال تعالى ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ⁽⁶⁾ فقد حوت الجملة انزياحا تركيبيا يتمثل في (مَتَى) وهي خبر مقدم والجملة التي تليها مبتدأ مؤخر هذه الخلطة في الترتيب المنطقي للجملة القرآنية عمل على تصوير حال المؤمنين وهم يستبطنون مجيء النصر من خلال الحرف الاستفهام (مَتَى) الذي أفاد الاستبطاء والاستطالة

(1) القصص / 85.

(2) التحرير والتنوير 193/20.

(3) الفتح / 29.

(4) ينظر : التفسير الكبير 107/28 ، إرشاد العقل السليم 605/5 ، محاسن التأويل 5432/15 ،

التحرير والتنوير 202/26.

(5) في بناء الجملة العربية / 183.

(6) البقرة / 214.

فعبرت الجملة أدق تعبير عن هذه الحالة⁽¹⁾ . وقال تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾⁽²⁾ ، فالجملة القرآنية انزاحت تركيبيا في تأخير اسم كان وهو (أَنْ أَوْحَيْنَا) وتقديم (عَجَبًا) وهو خبر كان مقدم وقد اسهم هذا التفكك في بنية الجملة في دلالة الاهتمام بشأن الرسول محمد - ﷺ - كما يرى جل المفسرين وتابعهم في ذلك الدارسون⁽³⁾ . وقال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾⁽⁴⁾ فدلالة الجملة القرآنية (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) توحى بالمناورة التركيبية التي حصلت بتقديم الخبر (عَجَبٌ) وتأخير المبتدأ (قَوْلُهُمْ) وأفادت هذه الجملة معنى القصر والتسجيل من أول الأمر يكون قولهم هذا أمراً عجباً⁽⁵⁾ . وقال تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾⁽⁶⁾ ، فالجملة القرآنية تنبني في قوله (طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) على أكثر من تأويل، فإما أن تكون خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر⁽⁷⁾ . وهو رأي أكثر المفسرين والدارسين⁽⁸⁾ . هذا الإتساع في التأويل أوحى لنا بالحيرة التي انطوت عليها هذه الطاعة على الرغم من انها طاعة معروفة بيد أن دلالتها تظل عصية على الإدراك. وقال تعالى ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾⁽⁹⁾ ، فالخلطة والانزياح التركيبي ظهر بوضوح في تقديم الخبر المجرور (لله) على المبتدأ (الشَّفَاعَةُ) ، وقد أفادت قصر " ملك الشفاعة على الله تعالى لا يملك احد الشفاعة عنده "⁽¹⁰⁾ . وقال تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ

(1) ينظر : البحر المحيط 141/2، النحو الوصفي من خلال القرآن ، محمد صلاح الدين / 87.

(2) يونس / 2.

(3) ينظر: الكشاف 224/2، التفسير الكبير 6/17، مدارك التنزيل 1/2، البحر المحيط 122/5،

إرشاد العقل السليم 4062/2، التحرير والتنوير 83/11.

(4) الرد 5.

(5) ينظر: البحر المحيط 366/5، روح المعاني 104/13، محاسن التأويل 3645/9.

(6) النور / 53.

(7) الكشاف 73/3

(8) ينظر: التفسير الكبير 23/24، مدارك التنزيل 518/2، إرشاد العقل السليم 105/4، من

أخلاق القرآن وبلاغته في سورة النور : فتحي فريد / 108.

(9) الزمر / 44.

(10) التحرير والتنوير 28/24.

يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...»⁽¹⁾،
فالجمله القرآنية (أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) تتأسس على تقديم الخبر المجرور (خبر أَنَّ) وهو
(فِيكُمْ) على اسم أَنَّ وهو (رَسُولَ اللَّهِ) وكان الأجدر أن يقول (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِيكُمْ)
لاستقام مع منطق بناء الجمله الاعتيادي ولكن كان لهذا الانزياح فائدته وهو " القصد الى
توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله - ﷺ - لأرائهم
فوجب تقديمه لأنصبا الغرض إليه " ⁽²⁾ والى هذا المعنى ذهب جل المفسرين والدارسين ⁽³⁾
. وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾، فالتسلسل
المنطقي للجمله هو (العزة لله) بيد أن الآية حملت هذا التكك بتقديم ماهو متأخر وتأخير
ماهو متقدم فقال (لِلَّهِ الْعِزَّةُ) لتفيد دلالة القصر بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين لاكم كما
تضمنون وتحسبون، وتقديم الخبر أفاد هذا المعنى ⁽⁵⁾. قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾⁽⁶⁾
. وقد أسس الزمخشري تحليله وهو يروم استكناه المسلك الأسلوبى التركيبى لنظم الآية
فقال " وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسماً لأن المؤكدة ،
وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة، واستئناف الجمله
المستودعة ماهو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء نكرة مهما امره ناظرة في الدلالة على
غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وفروا رسول الله - ﷺ - من خفض أصواتهم وفي
الاعلام بمبلغ عزة رسول الله - ﷺ - وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب
الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء " ⁽⁷⁾ وبحسب مايتراءى لنا أن الزمخشري
" يربط نظم الآية بقيمها الأسلوبية وسماتها التعبيرية ، بدءاً من السمة الصوتية (في إيقاع

(1) الحجرات /7.

(2) الكشاف 561/3، وينظر: النظم القرآني في كشاف الزمخشري، 116.

(3) ينظر: البحر المحيط 110/8، التحرير والتنوير 235/26.

(4) المنافقون / 8 .

(5) ينظر: التحرير والتنوير 250/28، لغة المنافقين في القرآن عبد الفتاح لاشين 237/2.

(6) الحجرات /3.

(7) الكشاف 557/3.

الغاضين أصواتهم) وانتهاء بالسمة التركيبية النحوية (اسم إن) و(خبرها جملة اسمية) والجملة الاستئنافية، ثم يشير الى سمة التكرير الأسلوبية (مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد) وينتهي بتناصر أو تضافر كل مسلك أسلوبى مع بقية المسالك الأخرى لأمر النظم والتركيب ويظهر ذلك من العلاقات الرابطة بين الجمل " (1) .

2- الجملة الفعلية : إنَّ الجملة الفعلية في بحثنا ليست منبئة الصلة عن سابقتها (الاسمية) بل وجدناها بشكل أوسع حفل بها التعبير القرآني بشكل متناغم وسلس يؤكد علو منزلته. قال تعالى في حق المنافقين: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾ (2)، وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ (3) وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾ (4). وقال تعالى في حق الكافرين: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ... ﴾ (5) وقال ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ... ﴾ (6) . فالتعبير القرآني يؤسس تنوعاً تركيبياً في استعمال الفعل (يحادد) في الطائفة الأولى في حين يستعمل الفعل (يشاقق) في الطائفة الثانية والسبب في ذلك " أن المشاققة أن يكون كل من الفريقين في شق غير الذي فيه الآخر ففيها معنى البعد، أما المحادة: فليس فيها هذا المعنى، إذ المتحادان يفصل أحدهما عن الآخر حد - أي علامة - توضع بين الفريقين كحد الأرض وهو ما فيها من علامات تميز بين الشركاء وهكذا المنافقون يدعون الإسلام بالسنتهم فتجري عليهم أحكامه الظاهرة وليس الكافرون كذلك ، لذا استعملت كلمة المشاققة في جانب الكافرين وكلمة المحادة في جانب المنافقين، لأن المنافقين يدعون الإسلام بالسنتهم " (7) وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (8) ،

(1) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري /152.

(2) التوبة/63.

(3) المجادلة/20.

(4) المجادلة/5.

(5) الانفال/13.

(6) الحشر/4.

(7) إعجاز القرآن الكريم / 189-190.

(8) النساء/150.

فالنص القرآني يلجأ الى الفعل المضارع من أجل ضرورة تحكمت بالتركيب وهي دلالاته على " أمر متجدد فيهم مستمر، لأنهم لو كفروا في الماضي ثم رجعوا لما كانوا أحرىء بالذم" (1). وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (2) فالحدس الشخصي يشعرنا بأن مجيء الفعل المضارع (يَسْجُدُونَ) لدلالة يقتضيها السياق وهي التجدد والاستمرار (3). فالفعل قد منح الآية الكريمة معنى جمالياً منفثاً على تأويلات مختلفة لاتقف في حد معين. وقال تعالى ﴿يَجْدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ❀ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ...﴾ (4) . فالآيات الكريمة كانت زاخرة بالجمال الفعلية (يَجَادِلُونَكَ ، يُسَاقُونَ ، يَعِدُكُمْ ، تودون، يريد، يقطع) لتؤسس لنا بنية تنبثق بشكل واضح لتصوير معركة بدر فنشاهدها " محسوسة وحية متحركة وبارزة مشخصة من خلال هذه الأفعال التي أحييت المشهد وجعلته كأنه واقع الآن" (5) . وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (6) فقد انبنت الآية الكريمة على اختيار الفعل المضارع (يُؤْمِنُ) " للدلالة على استمرار الإيمان به من بعضهم مع المعاندة، واستمرار عدم الإيمان به من بعضهم ايضاً" (7) فعمل التضاد من خلال الثنائية الضدية (الإيمان وعدم الإيمان) على استمرار الحدث لدى الطائفتين. وقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ... ﴾ (8) ، فنحن إذ نرصد الفعل المضارع (يكفرون) يجعلنا نلمس أثراً جمالياً في دلالاته ؛ إذ أفاد معنى التجدد والاستمرار (9) . وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

(1) التحرير والتنوير 9/6.

(2) الأعراف /206.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 9/244.

(4) الأنفال / 6-7.

(5) المعاني في ضوء أساليب القرآن /258-259.

(6) يونس/40.

(7) التحرير والتنوير 11/175.

(8) الرعد/30.

(9) ينظر: التحرير والتنوير 13/140.

لَرْحَمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»⁽¹⁾ ، فقد اختار النص القرآني الفعل المضارع (يُثْلَى) بدلا من الوصف (متلوا) وذلك لدلالة الاستمرار أي أَنَّ المضارع جاء ليعم الأمكنة والأزمنة⁽²⁾ . وقال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِينَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنِنَّا يُرْجِعُونَ ﴾⁽³⁾ . فلو حددنا الفعل المضارع (يُرْجِعُونَ) لرأيناه يفيد دلالة التجدد والاستمرار " فيشعر بأنه رجوع الى الله في الدنيا" ⁽⁴⁾ . وقال تعالى ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽⁵⁾ . فالفعل الذي ورد في التعبير المذكور آنفاً هو (تكفرون) وصيغته المضارع " لأفادة أن تجدد كفرهم يوما فيوما مع سطوع الأدلة التي تقتضي الإقلاع عنه أمر أحق بالتوبيخ" ⁽⁶⁾ . وقال تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾⁽⁷⁾ . إِنَّ ثمة فعلاً مضارعاً هو (أُنيب) وقد أفاد تجدد الأنابة وطلب المغفرة⁽⁸⁾ . هذا التجدد والاستمرار قد تكون بفعل وجود الجملة الفعلية لتزيد النص تدفقا متجدداً. وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًّا زَوَّجْنَاهَا ﴾⁽⁹⁾ فالنص قد اشتمل على " الفعلين (قضى) و(زوج) يدلان على زمن ماضٍ إلا أن الفعل (قضى)

أسبق في الحدوث من (زوج) والحدثان وقعا في عهد رسول الله ﷺ - والخطاب في زوجناكها لرسول الله ﷺ - والزمن الذي يفصل بين الفعلين هي المدة (*) الواقعة بين زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش رضي الله عنهما ثم تطليقها وزواجها من رسول

- (1) العنكبوت / 51.
- (2) ينظر : التحرير والتتوير 14/21.
- (3) غافر/ 77.
- (4) التحرير والتتوير 208/24.
- (5) فصلت / 9.
- (6) التحرير والتتوير 242/24.
- (7) الشورى/ 10.
- (8) ينظر: التحرير والتتوير 43/25.
- (9) الأحزاب / 37.
- (*) في المطبوع (الفترة) والصواب ما أثبتته.

الله - ﷺ - " (1) . وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (2) . فسياق الآية يتأسس على إقامة الفعل (قُمْ) وهو يشير الى " المستقبل القريب وقوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء/214] فالفعل (أَنْذِرْ) أمر بانذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداة بمن يليه وأن يتقدم اندراهم على غيرهم " (3) . ففعل الأمر (قُمْ) قد أبرز الوظيفة الجمالية للاستعمال القرآني ودلالته على المستقبل القريب بعبارة موحية متدفقة في دلالاتها. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (4) . فالتعبير القرآني يفصح عن انتظام جدير بالملاحظة بفعل صيغة (فَلِمَ تَقْتُلُونَ) الدالة على المستقبل وأريد به موضع الماضي بدليل قوله (مِنْ قَبْلُ) أي قبل الرسول محمد - ﷺ - (5) . والغاية التي جاء بها هذا الاختيار " انكم بهذا التكذيب خرجتم من الإيمان بما آمنتم كما خرج أسلافكم بقتل بعض الأنبياء عن الايمان بالباقيين " (6) بحسب تعبير الرازي ، أو أنه ذكر " الماضي بلفظ المستقبل إشارة الى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به " (7) أو ربما جاء "الاستحضار صورة القتل المروعة لنكارها وبشاعتها " (8) . وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (9) ، وهكذا عبر القرآن الكريم في

(1) الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه: بكرى عبد الكريم / 86 وينظر: الكشف 262/3.

(2) المدثر /1.

(3) الزمن في القرآن الكريم /131، وينظر : الكشف 131/3.

(4) البقرة /91.

(5) ينظر: جامع البيان 419/1، النكت والعيون 137/1، التفسير الكبير 186/3، مدارك التنزيل 71/1، كتاب التسهيل 54/1، إرشاد العقل السليم 156/1، فن البلاغة 166/، من بديع لغة التنزيل ، 19/ ، معاني النحو 329/3.

(6) التفسير الكبير 186/3.

(7) كتاب التسهيل 54/1.

(8) فن البلاغة/166.

(9) البقرة /189.

قوله (يَسْأَلُونَكَ) وهو فعل مضارع ليدل " على وقوع الحدث في الماضي لا في الحال ولا في المستقبل. ودلالة الفعل على هذا الزمن لاستفاد من مادته ولامن صورته وإنما تستفاد من السياق أو من سبب النزول " (1) وهكذا تنبني الجملة الفعلية يسألونك لتؤكد الحدث الماضي عبر تعبير سلس عذب مفعم بالخصائص الأسلوبية التي تشد وأصره. وقال تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (2) فالمعالجة الأسلوبية لهذا النص تظهر لنا استعمال الفعل المضارع (يوحى اليك) بدلا من الفعل الماضي (أوحى اليك) لإفادة معنى التجدد والديمومة والاستمرار أي يمتد الى الحاضر والمستقبل. (3) وقال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ ...﴾ (4) فالمتخصص لنسق الآية الكريمة يلمس صيغة " المضارع في قوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ) مستعملة في الماضي ؛ لأن حرف (لَوْ) يفيد تعليق الشرط في الماضي، وإنما عدل الى صيغة المضارع ؛ لأن المضارع صالح للدلالة على الاستمرار " (5) وهكذا نرى أن الفعل المضارع يقوم بتأسيس رؤى تتسحب الى زمن مستمر لا يقف عند نقطة محددة. وقال تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (6) . فنرى التعبير يلجأ الى الفعل (فَتَحْنَا) وهي لم تفتح بعد، والتقدير (انا سنفتح) ، فجاء الفعل بصيغة الماضي دالا على الحدث وأريد به المضارع (7) . ومن الآيات التي ورد فيها الفعل المضارع دالا على الماضي قوله تعالى ﴿

(1) معاني المضارع في القرآن الكريم ، حامد عبد القادر ، مجلة مجمع اللغة العربية، ج13، لسنة

1961م / 151-152.

(2) الشورى /3.

(3) ينظر : الكشف 459/3، التفسير الكبير 142/27، أنوار التنزيل 358/2، التحرير والتنوير 27/25.

(4) الحجرات/7.

(5) التحرير والتنوير 235/26.

(6) الفتح /1-2.

(7) ينظر : الكشف 541-540/3، البرهان / الزركشي 316/3، تيجان البيان في مشكلات القرآن ، محمد أمين العمري/50 ، من اسرار البلاغة في القرآن /19.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴿١﴾ لاقتترانه ب (لم) وقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ (٢) أي مكر لدخول (إذ) عليه (٣). وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤). فنرى تحول التعبير من عبارة (فإن لم تبلغ) الى قوله (وإن لم تفعل) وقد "حسن هذا الأسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله (وإن لم تفعل) ولم يقل: فإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية – وإن كان المعنى واحدا – أحسن رونقا وأظهر طلاوة، من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء" (٥). وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ ...﴾ (٦) إن رصد الجملة الفعلية في البنية التركيبية لهذه الآية يجعلنا نلمس ورود الفعل (يفرحون) بدلا من (يؤمنون) والسبب في ذلك أن الآية نزلت في أهل الكتاب وهم فرقتان، الفرقة الأولى صدقوا بالقرآن الكريم وفرحوا به وكلهم من النصارى يمثلهم ورقة بن نوفل فضلا عن اليهود الذين ساروا بنزول القرآن مصدقا للتوراة ؛ لأنهم اعتقدوا أن دعوة الرسول محمد ﷺ – مقصورة على العرب، أما الفرقة الثانية وهم معظم اليهود والنصارى الذين لم يثبت لهم الفرح بنزول القرآن الكريم وهم البعداء عن مكة والفريقان لم يؤمنوا ؛ لأنهم قد عرفوا وعلموا أن دعوة الإسلام عامة. فنلاحظ بلاغة التعبير القرآني في قوله (يفرحون) بدلا من (يؤمنون) (٧). وقال تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ...﴾ (٨) فالتحول في الفعل (نزلنا) دون الفعل (الإنزال) ، ويعلل الزمخشري السبب فيقول " فإن قلت : لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل

(١) الأنفال/17.

(٢) الأنفال/ 30.

(٣) ينظر: معاني النحو : 327/3.

(٤) المائدة/ 67.

(٥) هذا الرأي لصاحب كتاب (الانتصاف) وقد استأنس به القاسمي، ينظر: محاسن التأويل

2068/6.

(٦) الرعد / 36.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير 156/13-157.

(٨) البقرة /23.

دون الإنزال؟ قلت : لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتتجيم ... وذلك انهم كانوا يقولون : لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون عند الناس لم ينزل هكذا نجوما فقيلا ... : إن رتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدرج فهااتوا أنتم نوبة واحدة من نوبة وهلموا نجماً من نجومه سورة من أصغر السور أو آيات شتى مفتريات وهذه غاية التسكين ... ومنتهى ازاحة العلل " (1) . ولايكاد يخرج رأي الفخر الرازي (2) عن رأي الزمخشري الأمر الذي دفع أستاذنا الدكتور محسن عبد الحميد الى القول وهو يعلق على رأي الرازي " ويكاد الكلام أن يكون مقتبساً من كلام الزمخشري " (3) وهكذا نرى أنّ المفسرين يكادون يجمعون على أن العدول بـ (أنزلنا) بدلاً من (نزلنا) ورد على سبيل التدرج والتتجيم (4) . وقال تعالى ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (5) وتتضح معالم الجملة الفعلية في استعمال الفعل (أسرى) مكان (بعث) والمعالجة الأسلوبية لهذا الاختيار أن الفعل (أسرى بعده) يفيد المصاحبة له في مسراه بدلالة وجود الباء وهي للمصاحبة وليست للتعدية ؛ لأن الفعل (أسرى) يتعدى بنفسه مثل : سرى به وأسراه، ولأن السرى كان من أعظم اسفار الرسول محمد - ﷺ - فقد تطلب السفر اعتماد صاحب وقد حقق استعمال الفعل (أسرى) هذه الغاية ووضح التفرد الأسلوبى له (6) . وقال تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (7) ، فنرى ان النص القرآني قد عدل إلى استعمال الفعل (أعطيناك) بدلاً من (آتيناك) وقد استعملت الاخيرة في القرآن الكريم في قوله تعالى (آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَّانِي) ولهذا العدول ملمح أسلوبى وضحه الرازي بأن الإعطاء يوجب التملك، والملك هو سبب الاختصاص ودليل ذلك عندما قال سليمان - عليه السلام - (هب لي ملكاً) فقال : (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك) وعليه كان السبب من حمل الكوثر على الحوض قال: الامة تكون أضيافا

(1) الكشاف 238/1-239 ، وينظر : جماليات المفردة القرآنية /243.

(2) ينظر : التفسير الكبير 116/2.

(3) الرازي مفسرا/115.

(4) ينظر : مدارك التنزيل 29/1 ، ارشاد العقل السليم 78/1.

(5) الاسراء/1.

(6) ينظر : بدائع الفوائد 203/3.

(7) الكوثر /1.

له ، في حين أن الإيتاء لا يفيد الملك ولهذا السبب قال في القرآن الكريم (آتيناك) ؛ لأنه لا يجوز للنبي - ﷺ - كتمان شيء منه ، فضلاً عن أن الشركة في القرآن هي شركة في العلوم ولا يوجد عيب فيها في حين الشركة في النهر تكون شركة في الأعيان وهذا بحد ذاته عيب هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الاعطاء أليق من الإيتاء في هذا المقام ؛ لأن الاعطاء يستعمل في القليل والكثير بدليل قوله تعالى (وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَر) أما الإيتاء فلا يستعمل إلا في الشيء العظيم بدليل قوله تعالى ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾ (1) فالرازي في هذا التحليل ألفت إلى روعة النص الكريم فبين ملامح التفرد الأسلوبية في الاستعمال ، ليدل على روعة اختيار الفعل المناسب داخل سياق الآية.

وقال تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَ﴾ (2) . فقد مال النص الكريم الى اختيار الفعل (صَلِّ) بدلا من (اشكر) ؛ لأن الرسول محمد - ﷺ - عندما أمره الباري - ﷻ - بالصلاة أول مرة قال " (كيف أصلي ولست على وضوء) فقال الله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ثم ضرب جبريل بجناحه على الأرض فنبع ماء الكوثر فتوضأ ، ف قيل له عند ذلك فصل ، فاما إذا حملنا الكوثر على الرسالة فكأنه قال أعطيتك الرسالة لتأمر نفسك وسائر الخلق بالطاعات وأشرفها الصلاة فصل لربك" (3) فتتسج الآية الكريمة خيطاً خفياً يشد مفاصل النص في كون " الأمر بالصلاة أمر بالشكر وزيادة فكان الأمر بالصلاة أحسن" (4) . وقال تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (5) والنص يؤسس بنيته على أساس تقابلي بين الجمل المكونه له ، يتمثل " الطرف الاول من التقابل يتقاطع بالسياق الأول ، وهما يشكلان الطرف المفرد (أَطِيعُوا) الذي يتقابل بالطرف الثاني (فَإِنْ تَوَلَّوْا) الذي يرادفه (عصوا) ويتبعه بعد ذلك السياق الثاني القائم في جواب الشرط (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ان التقابل هنا

(1) ينظر : التفسير الكبير 123/32.

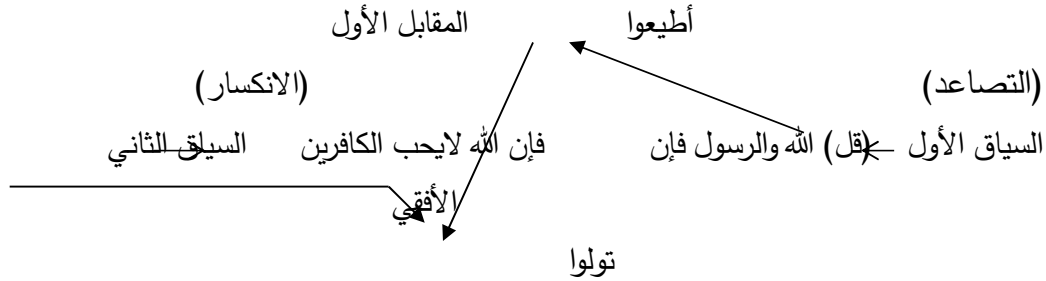
(2) الكوثر/2.

(3) التفسير الكبير 128/32-129.

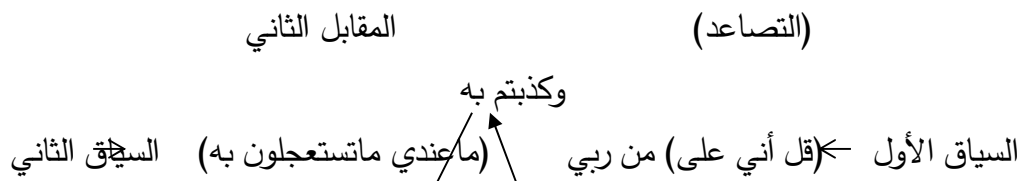
(4) التفسير الكبير: 129/32.

(5) آل عمران /32.

يشكل بنية لغوية تأخذ ملامح الصعود والانكسار . الصعود من خلال بروز التقابل في مساره الأفقي في السياق الثاني ⁽¹⁾ وتتمثل هذه الحركة باتجاهاتها في الرسم الآتي ^(*) :



فكما نلاحظ فإن حركة التقابل هنا حركة تصاعدية انكسارية وبعد ذلك أفقية في السياق الثاني. وقد جاء السياق الثاني ليؤكد للمخاطبين بأن الله (لا يحب من يعصيه وفي المعصية كفر ومن ثم فهو * يثبت معنى الطاعة في نفوس المخاطبين فكما نلاحظ فإن السياق يقيم علاقة تواصل قائمة على نفي الحال المخالفة للتقابل ⁽²⁾ . وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي...﴾ ⁽³⁾ فالتعبير القرآني يقوم على حركة تقابلية بين الجمل يمثل الطرف الأول نسق العبارة (اني على بينة من ربي) أما الطرف الثاني فيتمثل في كلمة (وكذبتم) ونلاحظ بامعان النظر أن مرادف " التركيب (الطرف الأول) إذن هو (صدقت) وهذا المراد في يقيم علاقة التضاد مع الطرف الثاني (كذبتم) وهنا تتغلق دائرة التقابل بإحداث علاقة التضاد بين مرادف الطرف الأول ولفظ الطرف الثاني ⁽⁴⁾ ويكون اختصار هذه التوليفة بالرسم الآتي ⁽⁵⁾ :



(1) التقابل والتماثل في القرآن الكريم / 129.

(*) في المطبوع (التالي) والصواب ما أثبتته

(*) في المطبوع (وبالتالي) والصواب ما أثبتته.

(2) نفسه ، الصحيفة نفسها.

(3) الأنعام / 57.

(4) التقابل والتماثل في القرآن الكريم / 127.

(5) نفسه/ 129-130.

الأفقي
المقابل الأول
(الانكسار) ————— بيعة

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (1). إن هذا النسق من الجمل يعد نمطاً جديداً " من أنماط الجمل القرآنية ، فهي تنتمي الى نمط الجمل الطويلة المركبة من ناحية الشكل والمضمون معا، أي انها تتألف من مجموعة من الجمل المتشابهة العناصر، والمتصلة اتصالاً وثيقاً فيما بينها، ولا يمكن الفصل بين فقراتها أبداً، لكنها فضلاً عما تحتويه من هذه العناصر، فإن وجود الجملة المذيلة آخرها وهي جملة (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) اكسبها فائدة تتمثل في اتمام المعنى بصورة كاملة" (2). وهكذا نرى أن التكثيف والإلحاح على تكرار جمل معينة زاد من رصانة النص وعمق الفكرة المرادة الى الحد الذي أوحى للقارئ بعدوية انبعثت منه. وقال تعالى ﴿ ... فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (3) فقد تأسس النص القرآني على اساس علاقة التضاد اللفظي داخل الجمل والسبب في ذلك " إنَّ النسقين الأول والثاني في طرفيهما يحدثان لنا تقابل تضاد لفظي . وذلك بين الفعلين (اهتدى) من النسق الأول و(ضل) من النسق الثاني وبين الحرفين اللام في (نفسه) من النسق الأول و(عليها) من النسق الثاني وقد كثرت العلاقات الضدية " (4).

وجملة القول أنَّ الجملة الفعلية في آيات البحث تتسم بالثراء الأسلوبي، فمرة يأتي الفعل لدلالة التجدد والاستمرار ومرة يميل التعبير لاستعمال فعل دون آخر لغاية أسلوبية يتطلبها السياق ، ومرة يأتي التعبير زائداً بجمل عدة تقوم على تأسيس بنى متداخلة فيما

(1) التوبة/24.

(2) مستويات النظم في التركيب القرآن / 85.

(3) الزمر / 41.

(4) التقابل والتماثل في القرآن الكريم /150.

بينها، وكذلك تعمل على خلق التضاد اللفظي والمعنوي ولكي تقضي الى وظائف جمالية عبر عنها النص القرآني أجمل تعبير .

التعبير بالجملة الاسمية بدلاً من الجملة الفعلية والعكس

قال تعالى ﴿... وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (1) فقد اشتملت الآية الكريمة على قوله ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ وهي جملة اسمية مصدرة بحرف التنبيه وآثر النص التعبير بالجملة الاسمية على الفعلية لمناسبة الجملة التي قبلها (2) . وقال تعالى ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ (3) . وقال أيضاً ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (4) . فالآية الاولى تؤسس حضورها على الاخبار بالجملة الاسمية (مهلك) للدلالة على الثبوت والاستقرار وذلك، لأن سياق الآية يدل على ذكر صفة الباري - عَزَّ وَجَلَّ - وهو لم يكن مهلك القوم من غير انذار من قبل الرسل، ويعضد هذا الاتجاه ورود الأداة (لم) في الآية نفسها للدلالة على المضي ؛ لأن الأمر في حقيقة الأمر قد تم وحصل في الدنيا فيوحي بالاستقرار أما الآية الثانية فالأخبار تم بالفعل (ليهلك) ليدل على الحدوث والتجدد عندما ذكر الامم وهي تتجدد وتهلك بتعاقب امة إلى أخرى ويعضد هذا الفهم اللجوء إلى الفعل المضارع المسبوق بلام الجحود والتي أفادت معنى الحدوث والتجدد والاستمرار (5) . وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (6) ، فالتركيب أحدث أثراً أسلوبياً في استعمال الصيغة الاسمية والفعلية، فقد صدرا النص " بالفعل (ليعذبهم) وجاء بعده بالاسم (معذبهم) وذلك أنه جعل الاستغفار مانعاً ثابتاً من العذاب بخلاف بقاء الرسول بينهم فانه - أي العذاب - موقوف ببقائه بينهم فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية والحالة

(1) البقرة /214.

(2) روح المعاني 104/2.

(3) الأنعام/131.

(4) هود/117.

(5) التعبير القرآني /26-27.

(6) الأنفال /33.

الموقوتة بالصيغة الفعلية" (1) وهكذا نلاحظ أنَّ للجملة الاسمية وظيفة معينة تختلف عن الجملة الفعلية فالتعبير الكريم قد أعطى لكل كلمة وظيفة جمالية يختلف منحها عن الأخرى. وقال تعالى ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (2) فالنص مال الى استعمال الجملة الاسمية (براءة) بدلا من الجملة الفعلية (قد برئ الله ورسوله) وقد أفاد هذا الاستعمال معنى الديمومة والاستمرار واللجوء الى التهويل بالتثوين التخييمي (3). وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (4). فالتركيب حمل في طياته الجملة الاسمية (ونحن نترصد) بدلا من (ونترصد بكم) وذلك لإفادة تقوية التريص (5). فالجملة الاسمية تدل على الثبات والاستقرار. وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (6) فالتعبير الكريم لجأ الى استعمال الجملة الاسمية (فهل انتم مسلمون) وآثرها على الجملة الفعلية (فهل تسلمون) وقد أفاد أن "المطلوب منهم إسلام ثابت وكان فيه تعريضا بهم بأنهم في ريب يترددون" (7). وقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (8). فالسياق الذي ينتظم الآية نلاحظ فيه استعمال الجملة الفعلية (ويمح الله الباطل) بدلا من الجملة الاسمية (والله يمحو الباطل) وذلك لإفادة الفعل المضارع معنى التجدد والتكرير في أن الباري - ﷻ - شأنه مع عباده متجدد يقف ولا يثبت. والله أعلم (9). وقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❀ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (10). وهنا تتوالى الأنساق في

(1) التعبير القرآني/27.

(2) التوبة/1.

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم 380/2.

(4) التوبة/52.

(5) ينظر: التحرير والتنوير 225/10.

(6) الأنبياء/108.

(7) التحرير والتنوير 172/17.

(8) الشورى/24.

(9) التحرير والتنوير 87/25.

(10) الكافرون/1-6.

البنية التركيبية للآيات الكريمة عن طريق صيغة الجملة الاسمية (لا أعبد ماتعبدون) و (لا أنا عابد ما عبدتم) وبالجملة الفعلية (تعبدون) و (عبدتم) ، لدلالة نفي عبادة الأصنام عن الرسول - ﷺ - وهي صيغة تدل على الثبات من خلال الجملة الاسمية وتدل على التجدد عن طريق الجملة الفعلية. أما الآيات التي تخص الكافرين (وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أُعْبُدُ) فجاءت بصيغة الجملة الاسمية فقط لتدل على ثبات نفي العبادة عن الكافرين في الايتين. وهكذا نرى أنَّ الديمومة قد منحها الجملة الاسمية للكافرين أما التجدد والثبات فجاءت في حق الرسول - ﷺ - بالصيغتين معا الاسمية والفعلية (1) . مع تناسب وقوع الحدث في واقع الحال. وبمعنى آخر أن السورة تشغل " على آيتي : العبادة ، والزمن ، وتقوم على عد خطاب ثنائي بين الرسول - ﷺ - والكافرين ، إذ تدرج منهما أربع صيغ تحيط بزمنين ينتميان لكلا الطرفين :

الكافرون

الرسول - ﷺ -

الحال / (لا أعبد ما تعبدون) الحال / (ولا أنتم عابدون ما أعبد)

الاستقبال / (ولا أنا عابد ما عبدتم) الاستقبال / (ولا أنتم عابدون ما عبد)

تلتزم الصيغة التي تخص الكافرين شكلا واحدا على أنَّ التي تخص الرسول -

ﷺ - متغيرة، وهذا يعزز مقولة الجزم بثباتهم على حالة واحدة، لاسيما أن عنوان السورة (الكافرون) يدعو الى ذلك " (2) .

(1) التعبير القرآني / 30/29.

(2) التوازي في القرآن الكريم / وداد مكايي حمود الشمري ، (أطروحة دكتوراه) / 58.

المبحث الثالث

النظم

أولاً :- الخطاب القرآني للرسول محمد ﷺ -

نزل القرآن الكريم على قلب الرسول محمد ﷺ - بصيغة الخطاب المباشر ، فالخطاب القرآني يمثل جوهر الحقيقة الربانية المبلغة لرسوله الكريم ﷺ - ، ذلك بتواتر آياته ، ويرى ابن الجوزي البغدادي أنّ الخطاب القرآني على خمسة عشر وجهاً⁽¹⁾ . في حين يذهب الزركشي بأنه على أربعين وجهاً⁽²⁾ . أما السيوطي فاورد رأي ابن الجوزي⁽³⁾ . وعدد في كتابه (الإتقان) أربعة وثلاثين نوعاً . ويكاد لا يختلف الأستاذ الحداد في تقسيمه للخطاب ؛ إذ أورد ثلاثين وجهاً ونيف⁽⁴⁾ . ولكي لا نكرر ما أسهب فيه القدامى في ذكر هذه الوجوه والأنواع فإننا سنقتصر على بعض اللوحات الأسلوبية التي تفرّد بها الخطاب القرآني لرسوله الكريم . قال تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ... ﴾⁽⁵⁾ فالنص القرآني قد خاطب الرسول الكريم مباشرة فبدأت بنداؤه عليه الصلاة والسلام وذلك لأمر مهم وشديد النكر وقد دخلت السورة مباشرة في حديثها عن الغرض الذي نزلت من أجله ، والسبب أنّ ضخامة الغرض وشدته قد أدى الى الاستغناء عن التمهيد، وكأن في التمهيد اضاءة لوقت مهم أحرص القرآن على عدم اضاعته⁽⁶⁾

(1) ينظر: المدهش/ 2.

(2) ينظر: البرهان 217/2.

(3) ينظر: معترك الأقران 174/1.

(4) ينظر : نظم القرآن والكتاب/ الكتاب الأول ، إعجاز القرآن /29.

(5) التوبة/1.

(6) ينظر: من بلاغة القرآن، /241 ومن باب ارجاع الحق لأهله فقد أخذ الدكتور فتحي أحمد عامر هذا الاقتباس من الدكتور أحمد بدوي مع التغيير الطفيف فيه من غير أن يشير = إلى فضل الدكتور بدوي بوصفه سابقاً له . ينظر : بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، فتحي أحمد عامر / 332.

والقرآن الكريم خاطب الرسول الكريم بصيغتين (يا أيها الرسول) و (يا أيها النبي) فقد خاطبه بـ (يا أيها النبي) في مواضع كثيرة في حين لم يخاطبه بـ (يا أيها الرسول) إلا في موضعين هي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ...﴾⁽¹⁾ . وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾⁽²⁾ وفي هذا الخطاب أشار الرازي إلى أنه تشريف وتعظيم لرسوله - ﷺ -⁽³⁾ . وتذهب إحدى الباحثات " إلى أن هناك تبايناً في الخطاب الخاص بمحمد نفسه لاختلاف وتباين السياق أو المقام فاختلف معه نوع الخطاب فتارة يرد بقوله: (يا أيها النبي) وتارة أخرى بقوله (يا أيها الرسول) ولكل منهما مقام لا يليق بالآخر قوله (يا أيها النبي) يأتي فيه الخطاب في المقام المتعلق بالأمور الشخصية والعامة في الحياة أما إذا جاء المقام خاصاً بأمر التشريع والرسالة فنجد الخطاب يرد بقوله (يا أيها الرسول) " (4) وتشير في رأيها هذا إلى الرازي من غير أن تحدد موضع النقل في الأصل.

أما قول الباحثة بأن الخطاب في قوله (يا أيها النبي) يأتي في مقام الأمور الشخصية والعامة في الحياة فشيء نعجب منه فلئن جاز في الآيات (5) التي ورد فيها هذا الخطاب (يا أيها النبي) فإنه لا يجوز في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾⁽⁶⁾ فقد وردت الآية في مقام التشريع وذلك بقوله (حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) مما يضعف صحة الرأي الذي أورده. ومن السمات الأسلوبية التي لاحظناها في الخطاب القرآني للرسول - ﷺ - أنه لم يقل: يا محمد كما قال مع الأنبياء الآخرين يا آدم، وياموسى، وياعيسى وإنما خاطبه بـ (يا أيها النبي) و (يا أيها الرسول) وقد ذهب

(1) المائدة/41.

(2) المائدة/67.

(3) ينظر: التفسير الكبير 231/11.

(4) التنوع في الخطاب القرآني ، دراسة أسلوبية / 159.

(5) ينظر: الأنفال/64، 70، التوبة/73، الأحزاب/1، 28، 45، 50، 59، الممتحنة/12،

الطلاق/1، التحريم/1، 9.

(6) الأنفال/65.

المفسرون والعلماء الى تفسير هذه الحالة بقولهم " كرامة له وتشريفاً وربما بمحله وتنويها بفضله. فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الاخبار في قوله - محمد رسول الله - وما محمد الا رسول - قلت : ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به " (1) وتابع المعنى نفسه كثير من العلماء والدارسين (2) .

ومن اللفظات الرائعة التي ذكرها النص القرآني الخطاب بـ(محمد) و (أحمد) والفرق

بينهما، قال تعالى حاكيا عن النبي عيسى -عليه السلام- ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ... ﴾ (3) . فقد تناول المفسرون والعلماء هذه الآية معللين السبب في اختيار اسم (أحمد) فقال الماوردي "وفي تسمية الله له بأحمد وجهان: أحدهما - لأنه من اسمائه فكان يسمى أحمد ومحمدا، قال حسان :

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

الثاني : أنه مشتق من اسمه محمود ، فصار الاشتقاق اسما ، كما قال حسان :-

وشق لله من اسمه ليحمله فذوا العرش محمود وهذا محمد" (4)

وذهب الإمام ابن القيم الى تحليل هذا الخطاب فقال: " سمي (محمداً) و(أحمد)؛ لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وأفضل مما يحمد غيره فالاسمان واقعان على المفعول وهذا هو المختار وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ولو أريد به معنى الفاعل لسمي الحماد وهو كثير الحمد كما سمي (محمداً) وهو المحمود كثيرا فإن - ﷺ - كان أكثر الخلق حمدا لربه فلو كان اسمه باعتبار الفاعل لكان الأولى أن يسمى (حمادا) كما أن اسم امته الحمادون وأيضاً فإن الاسمين إنما اشتقا من اخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها

(1) الكشف/3/248، وينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمال /185.

(2) ينظر: جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام، ابن قيم الجوزية/ 88، نظم الدرر البقاعي / هامش 1/249، روح المعاني 1/227، دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عضيمة، ق3/ج1/22.

(3) الصف/6.

(4) النكت والعيون 4/231-232.

استحق ان يسمى (محمدا) و(أحمد)⁽¹⁾. ويضيف الإمام ابن القيم ان الرسول محمد ﷺ -
 "يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ويحمده أهل السماء والأرض فلكثرة خصائله المحمودة التي
 تقوت عدّ العادين لسمي بأسمين من اسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدرة
 والصفة والله أعلم"⁽²⁾. وعلل الزركشي الأمر أيضاً فقال "لم يقل (محمد) ؛ لأنه لم يكن
 محمداً حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به"⁽³⁾ ،
 ويمكن لنا ان نرجح الرأي الأخير وهو للزركشي ونرى انه الاقرب الى الصواب والله أعلم.
 وأن كان رأي الإمام ابن القيم فيه من الصواب الشيء الكثير. ومن ملامح الأسلوبية في
 الخطاب القرآني ما يسمى بالعدول عن الخطاب الخاص إلى الخطاب العام، من ذلك قوله
 تعالى : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .. ﴾⁽⁴⁾
 وقال بعد ذلك ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾⁽⁵⁾ ،
 فقد تجنب الحق مخاطبة النبي محمد ﷺ - وحده ومواجهته بالخطاب وذلك ؛ لأن
 النص القرآني فيه نكتة بلاغية تتمثل في "التجنب عن مواجهته - ﷺ - وحده بالنهي
 على خلاف ما هو عليه من الاخلاق الكريمة إذ لم يكن - ﷺ - فحاشاً ولا سباباً "⁽⁶⁾ .
 ومن النصوص القرآنية التي زخرت بالخطاب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ
 قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ﴾...⁽⁷⁾ خطاباً للرسول محمد ﷺ - وقال ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ
 الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾⁽⁸⁾ الخطاب يخص النبي موسى - ﷺ - فهناك فرق
 بين الخطاب المتعلق بالرسول محمد ﷺ - والخطاب المتعلق بالنبي موسى ﷺ ،

(1) جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام 107 .

(2) نفسه: 108.

(3) البرهان 161/1.

(4) الأنعام / 106.

(5) الأنعام / 108.

(6) التصوير البياني ، حفني محمد شرف / 423.

(7) القصص / 44.

(8) مريم/52.

فالمفروض أن يقول: وما كنت بجانب الطور الأيمن ولكن لو قال ذلك لجاء (الأيمن) وهو في سياق خطاب الرسول محمد - ﷺ - في معرض النفي، فأبدل (الأيمن) بـ(الغربي) ليعبر عن هذا المعنى متجاوزاً الدلالة الإيحائية التي ذكرناها آنفاً. وقد نبه ابن أبي الأصبع على أهمية الفرق بين الآيتين المذكورتين آنفاً وذلك حين أوردهما في باب الاحتراس (1) .

وفصل الحديث عنها فقال: " لما نفى عن رسوله وحبيبه - ﷺ - كونه بالمكان الذي قضي لـ لكليمه

- ﷺ - الأمر، عرّف المكان بالجانب الغربي، ولم يصفه باليمين ، كما قال في الأخبار عن موسى - عليه السلام - ... أدبا منه - ﷺ - مع نبيه - ﷺ - أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن، ووصف سبحانه الجانب هنا باليمين ، " (2) .

ثانياً :- عوارض بناء الجملة بين البنية العميقة والبنية السطحية

من الواضح لنا أنّ بناء تراكيب العربية أو أية لغة أخرى تتطلب عمليات عقلية معينة يتميز بها المتلقي لكي يستطيع فك شفرات النص ومعرفة كوامنه، ومن هنا فقد ظهرت في العصر الحديث كثيراً من النظريات التي استطاعت أن تسير غور الجوانب الجمالية التي تميز هذه اللغة عن مثيلاتها، ومن أهم هذه النظريات هي النظرية التحويلية، أو التوليدية، أو مايسمى بالبنية العميقة والبنية السطحية للغة، وقد ظهرت هذه النظرية في الخمسينيات من القرن العشرين على يد العالم اللغوي (تشومسكي) عندما ظهر كتابه الشهير Syntatic structures ثم تبعه في ذلك طائفة من اللغويين الذين عملوا على

(1) ينظر: بديع القرآن /93 والاحتراس كما يعرفه ابن أبي الاصبع: " أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك "، بديع القرآن ، 93.

(2) بديع القرآن /94 وينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، عقيد خالد حمودي العزاوي (رسالة ماجستير) / 47.

تطوير نظريته بصيغ وأشكال متعددة ⁽¹⁾ . ونتيجة لهذا الاجراء قامت النظرية على " أساس مهم * هو الاعتراف بوجود تركيب باطني أو بنية عميقة لكل جملة هذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة أما ماينطق الفعل أو يرسم الكتابة فيسمى عندهم بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية ووصف العلاقة بين البنية العميقة وبين البنية السطحية يسمى تحويلاً أو قانوناً تحويلياً " ⁽²⁾ وقد اعتنى التيار التوليدي وركز اهتمامه في المستويات القصوى في الكلام التي تتمثل في التراكيب والجمال، وقد ضرب صفحا عن المستويات الدنيا التي تتمثل في مستوى الصرف ومستوى وظائف الأصوات، وقد علل التوليديون السبب في ذلك أن علم التركيب الذي يقوم بدراسة صياغة الجملة وانتظامها فيما بينها، له القدرة على النفاذ الى محركات الكلام ⁽³⁾ . ولعل من واجبنا ان لانتوهم بأن هذه النظريات قد قفزت على حين فجأة فالنحو التقليدي في اللغات المختلفة يحمل في أثناءه عناصر بارزة لهذه النظرية ⁽⁴⁾ . ويرى كثير من الدارسين العرب أن جذور " المنهج التحويلي في دراسة اللغة تمتد الى الموروث اللغوي العربي أصالة ويدفع الاعتقاد السائد بأن هذا المنهج من مبتكرات الدراسات اللغوية عند الغربيين بدليل اطراد الظواهر الأسلوبية التحويلية المغيرة لنسق الجمل والمسماة (عوارض الجملة) في نحو الذكر والحذف والتقديم والتأخير، والفصل والوصل وغير ذلك في المظان اللغوية والنحوية للقدامى من علماء العرب " ⁽⁵⁾ . كما يتمثل ذلك أصدق تمثيل في محاولتنا الرجوع الى "كتاب سيبويه الذي يقال إنه جلب مادته من إملاءات الخليل يجده يعرض لبعض الخصائص الأسلوبية التي عني بها فيما بعد علم المعاني، من مثل التقديم والتأخير والتعريف والتكثير والحذف " ⁽⁶⁾

- (1) ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، المسدي / 203 ، قواعد تحويلية للغة العربية، محمد علي الخولي 18-19 ، علم اللغة والدراسات الادبية، برنند شبلز / 74 ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة/10.
- (*) في المطبوع (هام) والصواب ما أثبتته.
- (2) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / 11.
- (3) ينظر : الأسلوبية والأسلوب، المسدي / 205-206.
- (4) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي/10.
- (5) دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله (أطروحة دكتوراه) 175-176.
- (6) البلاغة تطور وتاريخ / 29.

فضلاً عن ذلك فإن ثمة التفاتات جريئة وعميقة وجدت لدى عبد القاهر الجرجاني وهو " يتعامل مع النحو على المستوى السطحي والمستوى العميق وهو نفس منهج من ينتمون الى نظرية النحو التحويلي باعتباره أساس دراسة النص الأدبي " (1) فالجرجاني - في حقيقة الأمر - " آمن بأن التفسير الصحيح للاعجاز ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية وكان عالماً نحوياً كبيراً قد اشربت روحه كل ما كتبه أستاذه محمد بن الحسن الفارسي وأبو علي الفارسي وابن جني فاضطربت مباحثهم في نفسه " (2) . وهكذا كانت عوارض الجملة في العربية ممثلة لهذه النظرية اللغوية فجاءت عوارض اسناد الجملة متمثلة في الظواهر الأسلوبية التحويلية والذي يؤكد ماسبق أن هذه العوارض لاتهدف الى "الزيادة والنقص في بنائها وإنما تهدف الى تحسس شحنات دلالية ومعان اضافية وقيم إيحائية كامنة وراء هذه التغيرات البنيوية الطارئة على الصورة الأصلية للجملة غير التي يحملها تركيب الجملة الأساسي " (3) . وهناك قضية مهمة تثير التساؤل عن كيفية " التوفيق بين القول ببلاغة النص القرآني، هذه التي تعني انحرافه عن المثال المتصور، وبين القول بجريان القرآن على قوانين العربية، وسننها، وقد بدأ السؤال في وقته منبأً بالتناقض في حديثهم عن صفات العبارة القرآنية، وهنا يمكن القول إنه لاتتناقض على الاطلاق، فعبارة القرآن بليغة مافي ذلك شك. وهي جارية على أساليب العرب والعربية، مافي ذلك شك أيضاً بشرط أن نفهم المقصود بأساليب العرب، واننا نعني واقع لغتهم فعلاً، بكل سماتها التي عدت منحرفة عن المثال - كما صوروه - أما هذا المثال نفسه، والذي يقال بالانحراف قياساً عليه فهو شيء مجرد لوجود له - غالباً - على النحو الذي صوروه " (4) . وهكذا يتبين بوضوح أن للعرب القدامى اليد الطولى في دراسة اللغة برؤية شمولية ثاقبة سبقت الغربيين المحدثين على الرغم من بساطة أدواتهم، كما أن التعبير القرآني قد زخر بأشكال متعددة من هذه العوارض وكانت سمة جمالية تشد أواصره في وحدة فنية بالغة الرقي.

(1) الأسلوب والأسلوبية، محمد عبدالمطلب/62.

(2) البلاغة تطور وتاريخ/167.

(3) دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم /175.

(4) نظرية اللغة في النقد العربي، عبدالحكيم راضي/ 512.

ثالثاً :- العدول

يعد مصطلح العدول من المصطلحات المعروفة لدى الدارسين العرب القدامى فاستعمله ابن جني ⁽¹⁾ ، وعبد القاهر الجرجاني ⁽²⁾ وغيرهم. ولهذا " فالعدول - بهذا المفهوم - أحد أشكال التنوع الأسلوبي (STYLISTIC VARIATIO) ، أو تنويع الكلام " ⁽³⁾ . أما المحدثون دارسو الأسلوبية فقد أدلوا بدلوهم في هذا المجال واستوحوا مصطلح مرادف له هو الانزياح (deviation) ⁽⁴⁾ . وربما نعتهم بعضهم بمصطلح الاختيار . " وعلى هذا النحو يكون الاختيار حداً فاصلاً بين نوعين من الممارسة اللغوية ممارسة اجتماعية وأخرى فنية ، ولذلك نجد في الدراسات البلاغية والأسلوبية اليوم إتجاهاً مهماً ^(*) يفسر الأسلوب ومن ثم الفن الأدبي بأنه عدول عن الكلام العادي مؤسس على مبدأ الاختيار وليس من باب الصدفة أو الطفرة أن يتصدر هذا المبدأ سلم المقاييس التي أنبنى عليها رأي الجاحظ في اللفظ والأسلوب عامة ، فالركائز النظرية التي تقوم عليها تصوراته البلاغية مؤهلة لإفرازه إفرازاً ذاتياً بل لعلنا لانبالغ إن قلنا أن في مادته البلاغية من الخصائص النوعية ماجعلها مهياً أكثر من سواها لبروز مثل هذا المقياس ، فالمنطلق الخطابي المبني على النجاعة يفضي اليه وكذلك الموقف الفني الخالص " ⁽⁵⁾ فلا مندوحة إذن من أن العدول انحراف نحوي وليس كل انحراف نحوي - كما يرى ما نفرد بيرقيش - يتولد عنه تأثير شعري ⁽⁶⁾ . كما نبّه هنري بليث بأن أسلوبية الانزياح " تقيم على أساس المعيار النحوي ... (نحواً ثانوياً) مكوناً من صور الانزياح

(1) ينظر: الخصائص 20/3 .

(2) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز/430.

(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم / 107.

(4) ينظر : الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي / 93، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، شفيع السيد /103، وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، عصام قصبجي، أحمد

محمد ويس مقال مجلة بحوث جامعة حلب، ع28، لسنة 1995م / 39.

(*) في المطبوع (هاما) والصواب ما أثبتته.

(5) التفكير البلاغي عند العرب ، اسسه وتطوره الى القرن السادس ، (مشروع قراءة) ، حمادي

صمود/ 264.

(6) ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي/ 498.

ويمكن أن تكون هذه الصور من طبيعتين : فهي خرق للمعيار النحوي من جهة، وتقييد لهذا المعايير بالاستعانة بقواعد اضافية من جهة ثانية" (1) . ومن نافلة القول يمكننا أن نسلم بالحقيقة القائلة بأن " المجاز احتمال في اللغة وحدث طارئ على الحقيقة مرتبط بها في ثنائية لا تنقسم يطلق عليه ابن جني في نفس السياق مصطلح العدول، ولقد ربط هذا العدول بجملة من الوظائف يكون بغيابها عبثا وضربا من اللغو مما يؤكد على أنه طريقة في الدلالة مرتبطة بضرورات التعبير الا أن ابن جني يركب المبالغة والتعسف وهو يبين (أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لاحقيقة) مشاركة في الجدل الذي قام بين جمهور المسلمين وبين القائلين بالظاهر" (2) . والسبب في ذلك أنه يؤسس موقفه على أساس تداخل: "مذهبه البصري بالجانب العقائدي وقد ركز حديثه في هذا المضمار على الأفعال بقسميها (المسند الى الفاعلين مهما كانوا) (وأفعال القديم سبحانه) فقال مثلا- بأن القسم الأول كله مجاز لدلالة الفعل على الجنسية أو المصدر (فقولك قام زيد معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام) وكذلك قولك: ضربن عمراً مجاز أيضاً من غير وجهة التجوز في الفعل وذلك أنك إنما فعلت بعض الضرب لاجمعيه" (3) ولا جدال في أن ابن جني في هذا كان يخلط "بين الحقيقة اللغوية والحقيقة المطلقة كمتصور أخلاقي ومس في مبدأ المواضعة نفسه كأساس من الأسس التي تتبنى عليه اللغة فليس من الضروري أن تطابق المواضعة اللغوية الحقيقة المطلقة. ولا مبرر لهذه المبالغات في التحليل والتعليل وقد يعجب القارئ بلطفها الا موقفه الشديد الصارم ممن لم يقل بالمجاز وحملته عليهم حملة عنيفة ختم بها تقريبا مباحث كتابه الخصائص" (4) . وقد لحظ القدامى ذلك فيقول حازم القرطاجني " ويحسن أيضاً أن يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفي ما دلت عليه بالوضع في جميع ذلك ، والبعد به عن التواطؤ والتشابه ، وأن يؤخذ الكلام من كل مأخذ حتى يكون مستجداً بعيداً من التكرار ، فيكون أخف على النفس وأوقع منها بمحل القبول . ويقندر

(1) البلاغة والأسلوبية /36.

(2) التفكير البلاغي عند العرب اسسه وتطوره الى القرن السادس (مشروع قراءه) /53.

(3) نفسه ، الصحيفة نفسها.

(4) نفسه ، الصحيفة نفسها.

على هذا بمعرفة كيفيات تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلت عليه، والبصيرة بضروب تركيباتها وشتى مآخذها" (1)، ويضيف القرطاجني قائلاً " كلما كان الكلام مقتصرًا به على فن واحد من الإبداعات، وإن كان حسنًا في نفسه، لم يحسن ؛ لأن ذلك مؤد إلى سامة النفس، فإن شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد " (2) .

وسنحاول أن نرصد الوسائل الأسلوبية المتنوعة التي تم بها العدول بشيء من التكتيف وتأشير المواضع التي ينعكس فيها.

(1) منهاج البلغاء / 16-17.

(2) نفسه / 61.

أساليب تميزت بالعدول

1- الالتفاتات

يعد الأصمعي (ت 216هـ) أول من أطلق على فن الالتفاتات هذه التسمية من غير أن يذكر تعريفاً له، فقد سأل الأصمعي ، إسحاق بن إبراهيم الموصلي أتعرف التفاتات جرير؟ فأجابه وماهي ؟ فأنشده قول جرير :

أتنسى إذ تودعنا سليمي بفرع بشامة سقي البشام

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له ⁽¹⁾ . ولعل ابن الاثير الجزري كان الأجود من بين القدماء في تعريفه للالتفاتات، إذ يقول: " وحقيقته مأخوذة من إلتفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر، أو من فعل ماضي الى مستقبل أو من مستقبل الى ماضٍ " ⁽²⁾ ويعرّف أيضاً بأنه " العدول من أسلوب في الكلام الى آخر مخالف للأول. وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة الى خطاب، ومن خطاب الى غيبة ؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها " ⁽³⁾ . أما التأسيس الآخر الذي يهمننا هنا هو أن الالتفاتات يدور " معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء " ⁽⁴⁾ . ويقع الالتفاتات في ست صور تحصل بالتبادل فيما بينها وهي ⁽⁵⁾ :-

1- التكلم الى الخطاب

2- الخطاب إلى التكلم

(1) ينظر : حلية المحاضرة ،الحاتمي/1/157،العمدة/2/46، البلاغة تطور وتاريخ30-31، معجم

المصطلحات البلاغية وتطورها 1/295 ، التوازي في القرآن الكريم 176، فن الالتفاتات في مباحث البلاغيين،جليل رشيد فالح، مقال مجلة آداب المستنصرية ع9، لسنة 1984م / 66.

(2) المثل السائر 2/171.

(3) كتاب الطراز 2/132.

(4) الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان/ 229.

(5) ينظر: خصائص التراكيب / 196-200 ، من أسرار البلاغة في القرآن ، 8/، الالتفاتات في

القرآن، الشاذلي الهشيري مجلة حوليات الجامعة التونسية ، ع32 لسنة 1991م / 148.

- 3- التكلم إلى الغيبة
- 4- الغيبة إلى التكلم
- 5- الخطاب إلى الغيبة
- 6- الغيبة إلى الخطاب

ويضيف قسم من الدارسين أنواعاً أخرى من الالتفات فيعد "من الالتفات الإخبار عن المؤنث بالمذكر، والإخبار عن المذكر بالمؤنث، والتحول على المؤنث الى المذكر، والانصراف عن المفرد إلى المثنى أو إلى الجمع، وكذلك التعبير عن المثنى بالمفرد، والتعبير عن المفرد بالمثنى . ومن الالتفات أيضاً الإخبار عن الماضي بصيغة المضارع، أو الإخبار عن المستقبل بصيغة الماضي" (1) . بيد أننا لم نجد اتساع هذه الصور في الآيات المتعلقة بموضوع بحثنا. ولانبغي أن نطيل الحديث عن الآراء التي قيلت في الالتفات؛ فقد تطرق لها القدامى ، (2) والمحدثين (3) . وقد لا أبعد إذا قلت ان الالتفات قمة بحوث الأسلوبية ، فضلاً عن أنه "ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك هذا النسق بانتقال الكلام من صيغة الى صيغة ومن خطاب الى غيبة الى خطاب الى غير ذلك" (4) وهو مايقود الى الاعتقاد بانه من خلال "مبحث المطابقة الذي أقامه النحاة واللغويون يظهر (الالتفات) كخاصية تعبيرية تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث كان بناؤه يعتمد على العدول" (5) ، ولعل من واجبنا أن نؤكد الأهتمام بدراسة فن الالتفات وانعكاس ذلك في " النظرة الى تراثنا البلاغي ومشروعيته تأسيس مدرسة أسلوبية عربية حديثة، عندما نجد ان مبحث (الالتفات) تطبيق رائع للسياق الأسلوبي" (6).

(1) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية /229.

(2) ينظر: كتاب البديع / 58، البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب /152، الجامع الكبير/ 98، التبيان في علم البيان، ابن الزمكاني/173، الإيضاح /44، عروس الأفراح /465، التعريفات ، الجرجاني/29، الإتيان، 902/2، معترك الاقران، 286/1.

(3) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن /261، فن البلاغة ، / 157، ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة، عبد العزيز عبد الله (أطروحة دكتوراه) ، 276.

(4) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب/205.

(5) نفسه/204.

(6) أسلوبية البناء الشعري ، دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي ، أرشد علي محمد/104.

إن المتفحص لمغزى الالتفات وقيمته البلاغية يجده " يأتي بغير المتوقع لدى القارئ أو السامع، فيؤدي الى حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي، ويبعد عن المتلقي ما قد يصيبه من ملل نتيجة السير على نمط واحد من أنماط التغيير" ⁽¹⁾ فالالتفات يعمل على تجديد رتبة الاسلوب ⁽²⁾ . فيحصل تجديد " النسق الرتيب المتولد عن استعمال ضمير واحد على مدى جمل كثيرة وذلك باستخدام ضمير آخر بدله بطريقة مفاجئة ثم يعود النسق بسرعة الى رتبته الأصلية بمجرد الرجوع الى الضمير الأصلي" ⁽³⁾ ، إن ماتم ادراكه في هذا المجال يقودنا الى أن الالتفات يدخل " في تعالق أسلوبه مع ظواهر من أهمها الانقطاع... إذ يشتغل الانقطاع على المفارقة الداخلية في إحداث الخطاب على حين يشتغل الالتفات على المفارقة الخارجية. ذلك أنه في الانقطاع تتحول لغة النص الى بنى تكاد تكون معزولة الواحدة عن الأخرى بفعل قطع الحدث وإدخال آخر غريب عنه بيد أنه في الالتفات الحدث يظل واحدا مستمرا." ⁽⁴⁾ بيد أن الذي " يتشتت، أو يتغير هو بنية شخوص الحدث، إذ يتم قطع الحدث مع شخص، واستكمال مع آخر، أو غير ذلك... ان الصدع الذي يخلقه الانقطاع على كل مستويات النص الداخلية والخارجية أو جزء من الخارجية يحققه له تمظهر الالتفات على المستوى الخارجي" ⁽⁵⁾ . إن استضاءة هذه الفكرة وطرحها بوضوح تكمن في ان الانقطاع " خصيصة نصية صرف، بيد أن الالتفات خصيصة مرجعية بالدرجة الأولى، ثم نصية. لذلك فهو يركز على السياق أولاً في اشتغاله ، ذلك ان النص في الالتفات يحيل على زمن خارجي متغاير لحدث واحد ، أو يحيل على رواية يشتركون في اخراج حوار واحد على بعدين مكاني وزماني بينهما" ⁽⁶⁾ . إن مادبجته يراعى فطاحل المفسرين فيما يخص الالتفات كانت من الأهمية بمكان الا أن اهتمامهم " انحصر في أمثلة مستقلة في سياقات معلومة ولم تكن غاية المفسرين التأليف بين هذه

(1) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية/229.

(2) ينظر: الالتفات في القرآن/166.

(3) نفسه/167.

(4) التوازي في القرآن الكريم/ 175.

(5) نفسه / الصحيفة نفسها.

(6) التوازي في القرآن الكريم /175.

الأمثلة والنفاذ الى حقيقة الالتفات وأصل التركيب فيه وطرقه المتداولة في القرآن وشروطه التي يتحقق بها" (1) . وعليه بدا لنا ان رصد الوسائل والطرائق التي تتعلق بها مكونات النص القرآني من واجب هذه الصفحات أن تقوم به لابرار الوظيفة الجمالية التي يتألف منها الالتفات .

أ - الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

إن رصد هذا النوع من الالتفات يشمل في قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (2) ، فالبنية الحضورية للنص الكريم احتوت على التفات من صيغة التكلم (لنغفر) وعدوله الى صيغة الخطاب (ليغفر لك) وأفاد هذا الالتفات الدلالة على عظمة شأن الفتح وأهميته في وجدان المسلمين وكذلك تشريف للرسول محمد - ﷺ - (3) . فالالتفات أضاف دقات عذبة إلى الآية وجدد في الوقت نفسه فكر المتلقي عبر انتقالات محسوبة داخل بنية الضمائر .

ب - الالتفات من الخطاب إلى التكلم :

ومن الآيات التي ذكر فيها هذا النوع قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (4) فالتعبير القرآني - هنا ينبني على التفات من صيغة الخطاب للنبي محمد - ﷺ - الى صيغة التكلم في قوله (آياتنا) للدلالة على أن الآيات من عند الله وأن هذا الدين هو دين الله وحده (5) . ومن الملاحظ على النوعين المذكورين أنفاً (الفقرة 1،2) انحسار الآيات القرآنية التي درسناها وتكاد تكون نادرة، لأن " السبب في خلو القرآن من ضربتي الالتفات القائمين على التكلم والخطاب بالتبادل يرجع الى مقتضيات إنشاء الكلام

(1) الالتفات في القرآن / 133.

(2) الفتح / 1-2.

(3) ينظر: الكشاف 540/3-541.

(4) القصص / 59.

(5) ينظر: التحرير والتوير 153/20.

فمنشئ الكلام هو المتكلم (أنا) وهو المتصرف في توجيه الخطاب وبحسب توجيهه للخطاب يقيم الناس إلى حاضرين مخاطبين وغائبين غير حاضرين فتكون المقابلة الأساسية بين الحضور والغيبة وهو أمر أقره النحاة ؛ إذ اعتبروا الضمير خاضعا لمقولتين متقابلتين هما الحضور والغيبة وهو أمر أكدته الأمثلة القرآنية" (1) .

ج - الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

وقد وردت صورة هذا الالتفات في قوله تعالى : ﴿ ... إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ... ﴾ (2) فالتعبير يؤسس حضوره من انتقال الكلام من التكلم في قوله (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الى الغيبة (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) وكان المتوقع أن يقول (فأمنوا بالله وبني) إلا أنه كسر هذا التوقع في قوله (فأمنوا بالله ورسوله) ، فعُدل " عن المضمير إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به وإتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان" (3) . ولاشك أن لهذا الالتفات فائدتين كما يرى الدارسون (4) . أولهما دفع التهمة عن نفسه والأخرى : تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من صفات النبوة والامية . أما على النقيض من هذا الفهم فنحن واجدون ابن الأثير يعده التفتاتا من الخطاب الى الغيبة وتابع رأيه هذا عدد من الباحثين (5) . والحقيقة التي نطمئن اليها ونقررها في هذا التباين بين الرأيين مذهب اليه احد الباحثين وهو يعلق على رأي ابن الأثير هذا فقال: " وقد استشهد ابن

(1) الالتفات في القرآن /156.

(2) الأعراف /158.

(3) الكشف 123/2، وينظر: النظم القرآني في كشف الزمخشري /125-126 ، أثر البلاغة في تفسير الكشف، عمر الملا حويش/181.

(4) ينظر: البرهان / الزركشي 317/3، معترك الأقران 287/1، الإتيان 903/2، من بلاغة القرآن /109 ، التصوير البياني، حفني محمد شرف/432، من اسرار البلاغة في القرآن /12، مباحث في إعجاز القرآن /263، فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان (رسالة ماجستير)/ 62.

(5) ينظر : المثل السائر 182/2-183 ، الجامع الكبير 100-101، المشاهد في القرآن الكريم، حامد صادق قنيبي/ 470-471، علم البديع ، عبد العزيز عتيق/150.

الأثير بهذه الآية (من الخطاب الى الغيبة) والباحث قد أوردها من التكلم إلى الغيبة وكلاهما صحيح، فابن الأثير قد عد الخطاب (اني رسول الله اليكم) فأضاف - اليكم - فاصبحت خطابا ، ونحن قلنا ، اني رسول الله - وهو تكلم " (1) . وقال تعالى ﴿ طه ﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ إِلَّا تَذِكْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (2) فالحدس الذي نلقيه على الآية الكريمة يوضح لنا انتقال الكلام من صيغة التكلم في قوله (ما أنزلنا عليك) الى صيغة الغائب (فإنه يعلم السر) ولهذه الانتقالات سمات أسلوبية تتضح من خلال دلالة التعبير والتي منها " إعادة الافتتان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أنّ هذه الصفات إنما سردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنّه قال: أولاً : أنزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين، ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السماوات بالعلى : دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها" (3) ، وتابع هذا الرأي طائفة من العلماء كل على وفق رؤيته (4) . وقال تعالى (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (5) ، فانقل الالتفات في التعبير الشريف من ضمير التكلم (إنا أنزلناه) إلى ضمير الغيبة (رحمة من ربك) وكانت البنية الحضورية تشي بتوقع القارئ أن يقول (رحمة منا) ولكنه صرف الكلام على طريقة الالتفات (6) . ولهذه الانتقالة بين الضمائر معانٍ ودلالات منها: تخصيص النبي ﷺ - بالذكر والاشارة من غير التطرق للآخرين (7) . أو ان معنى الربوبية اعتناء الرب بالمربوبين ففيه معنى التربية والرفق

(1) فن الالتفات في البلاغة العربية / 62.

(2) طه / 1-7.

(3) الكشف / 2 529 .

(4) ينظر: التفسير الكبير 5/22، كتاب التسهيل 10/3، البحر المحيط 6/225-226.

(5) الدخان/6.

(6) ينظر: المثل السائر 2/178، التحرير والتنوير 25/281، خصائص التراكيب / 196.

(7) ينظر : المثل السائر 2/178.

بهم (1) . فضلاً عن أن إضافة (رب) إلى ضمير الرسول - ﷺ - هي في الحقيقة صرف هذا الكلام عن مواجهة المشركين بل مواجهة النبي - ﷺ - بالخطاب (2) . وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ فَصَلَ لِرَبِّكَ وَأَنْحَزَ (3) . فالتفت النص القرآني من ضمير التكلم في قوله (إنا أعطيناك) الى ضمير الغيبة في قوله (فصل لربك) ولفظ الرب يوحي باستحقاقه العبادة لأجل الربوبية ومدى نعمه على عباده (4) . فضلاً عن إزالة " الاحتمال أيضاً ؛ لأن قوله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ليس صريحاً في إفادة الإعطاء من الله وأيضاً كلمة (إنا) تحتل الجمع كما تجتمع الواحد المعظم نفسه فلما التفت بقوله (فصل لربك) زال هذان الاحتمالان " (5) والاستعمال المتوقع في هذه الآية ينبغي أن يقول (فصل لنا) بدلاً من (فصل لربك) وهكذا عمل الالتفات هذه المناورة الأسلوبية لأجل شد انتباه السامع وإيقاظ مدركاته.

د- الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

والملاحظ أن ورود الالتفات في هذا النوع ظهر في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (6) فالنص القرآني يعتمد إلى الالتفات من ضمير الغيبة في قوله (وإن كنتم في ريب) الى ضمير التكلم (نزلنا) وذلك لدلالة تفخيم المنزل عليه وهو الرسول محمد - ﷺ -

(1) ينظر : التحرير والتنوير 281/25، خصائص التراكيب /196.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 281/25.

(3) الكوثر /1-2.

(4) ينظر: التفسير الكبير 131/32 ، بديع القرآن /22، الإيضاح/44، البرهان ، الزركشي 317/3 ، معترك الأقران 287/1، الإتيان ، 903/2، تيجان البيان في مشكلات القرآن/50، التحرير والتنوير 574/30، المعاني في ضوء أساليب القرآن /261، خصائص التراكيب /196، من أسرار البلاغة في القرآن /11-12، البلاغة العربية قراءة أخرى /393، الموسوعة القرآنية الميسرة 33/2، فن البلاغة/158، مباحث في إعجاز القرآن /263، العدول عن المطابقة بين أجزاء الجملة ، نجلاء محمد نور / 653.

(5) من بلاغة النظم العربي، عبد العزيز عبد المعطي عرفة/204.

(6) البقرة /23.

(1) - وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ (2) . فالملاحظ أنَّ ثمة التفات من الغيبة في قوله (الله) الى التكلم في قوله (رسولنا). فانتقل التعبير من اسلوب الترغيب المتمثل في قوله (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) الى خطاب التحذير في قوله (احذروا) ثم انتقل الى خطاب الوعيد والتهديد في قوله تعالى ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ (3). ومن ثم يغدو الخطاب " كله استدراج للنفوس الى الطاعة وبعدها الامتثال والا فما على الرسول الا التبليغ فقط " (4). وقال تعالى ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (5) . فالبنية الحضورية للآية تتأسس عبر عدة التفاتات تضمنتها وهي الانتقال من الغيبة الى التكلم ، ومن التكلم الى الغيبة ثم من الغيبة الى التكلم ، ثم من التكلم الى الغيبة. وهذا ما ذهب إليه المفسرون (6) . وتابعهم في هذا المعنى البلاغيون (7). ولم تخرج آراء الدارسين المحدثين عما ذهب إليه القدامى في أن دلالة الالتفات خرجت لمعنى التعظيم والتشريف ولجذب انتباه السامعين (8) . وقد تطرق أحد الباحثين إلى مزية هذا الالتفات مفصلاً دلالاته وأشكاله فقال :

- (1) ينظر: البحر المحيط 103/1 ، تفسير النهر الماد من البحر المحيط ، أبو حيان 43/1 ، نظم الدرر 161/1 ، معترك الأقران 289/1 ، روح المعاني 193/1.
- (2) المائدة /92.
- (3) ينظر: التنوع في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية / 121.
- (4) نفسه / الصحيفة نفسها.
- (5) الإسراء/1.
- (6) ينظر : الكشف 437/2 ، مدارك التنزيل 236/2 ، البحر المحيط 6/6 ، الاتقان ، 905/2 ، إرشاد العقل السليم 309/3 ، روح المعاني 13/15 ، محاسن التأويل 3886/10 ، التحرير والتنوير 21/15.
- (7) ينظر: كتاب الطراز 136/2 ، البرهان ، الزركشي 322/3 ، تيجان البيان في مشكلات القرآن/51.
- (8) ينظر: من بلاغة القرآن/108 ، التصوير البياني ، حفني محمد شرف 435-436 ، المعاني في ضوء أساليب القرآن /261 ، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/212.

أ- أنه عدل عن الغيبة في قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) الى التكلم في قولنا (باركنا حوله) .

ب- أنه عدل عن التكلم الى الغيبة في قوله (ليريه) .

ج- بعد ذلك عدل عن الغيبة الى التكلم في قوله (آياتنا) .

د- عدل عن التكلم الى الغيبة في قوله ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (1) .

ويمكن لنا أن نوضح طبيعة الالتفات في هذا النص بالمخطط الآتي الذي اجتهدنا

في رسمه:

سبحان الذي أسرى بعبده - بباركنا حوله - ليريه - آياتنا - الحجته هو السميع البصير

(الغيبة) (التكلم) (الغيبة) (التكلم) (الغيبة)

وقال تعالى ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (2)

فانصب الالتفات في الانتقال من ضمير الغيبة (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) الى ضمير التكلم في قوله (أنزلنا) (3) . وكانت مزيته الأسلوبية دلالة في زيادة " الترغيب في الإيمان بالقرآن تذكيرا بأنه منزل من الله ؛ لأن ضمير التكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب ولتقوية داعي المأمور " (4) . وهناك آيات قرآنية أخرى (5) تضمنت الالتفات من الغيبة الى التكلم.

هـ- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

ومن الآيات التي حملت هذا النوع قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (6) ، فانقل الالتفات من الخطاب في (رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ويعني بالرسول محمد - ﷺ - إلى الغيبة ودلالة هذا الالتفات " بأنه من عند الله تخميما لشأنه؛ إذ

(1) فن الالتفات في البلاغة العربية /47.

(2) التغابن / 8.

(3) ينظر: محاسن التأويل 5822/16، التحرير والتنوير 273/28.

(4) التحرير والتنوير 273/28، وينظر: المنظور البلاغي في تفسير التحرير والتنوير /200.

(5) ينظر: الأنعام/151 ، الفرقان/45، الشورى/13.

(6) البقرة /101.

الرسول على قدر المرسل ووصفه" (1) ، وقال تعالى ﴿ ... إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ ... ﴾ (2) فجاء التعبير القرآني حاملاً معه الالتفات من الخطاب الى الغيبة (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) مع "ايراده -عليه السلام- بعنوان الرسالة للاشعار بعله الاتباع" (3) . وقال تعالى ﴿ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (4) . فالنص القرآني تضمن الالتفات من الخطاب الى الغيبة كما يرى أكثر المفسرين (5) ، والدارسين (6) . فالمتوقع لهذا الكلام ينبغي أن يقول (واستغفرت لهم) إلا أنه عدل "عنه الى طريق الالتفات تخفيماً لشأن رسول الله - ﷺ - وتعظيماً لاستغفاره وتنبههاً على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بـمكان" (7) وهنالك آيات قرآنية أخرى (8) حوت صور الالتفات من الخطاب الى الغيبة.

و- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

ومن الآيات لهذا النوع قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (9) . إنَّ الحدس الشخصي يقودنا الى استيضاح الالتفات الوارد في هذه الآية فجاء " الخطاب لهم بعد كون الكلام جرى على أسلوب الغيبة التقات، ونكتته أنَّ الكلام لما كان في بيان الحقائق الواقعة أعرض عنهم في تقريره وجعل من الكلام الموجه الى كل سامع وجعلوا فيه معبراً عنهم بضمائر الغيبة ، ولما أريد

(1) تفسير النهر الماد من البحر المحيط 1/115.

(2) البقرة/143.

(3) إرشاد العقل السليم 1/206.

(4) النساء/64.

(5) ينظر: مجمع البيان 5/144، البحر المحيط 3/283.

(6) ينظر: من بلاغة القرآن/110، من أسرار البلاغة في القرآن /18.

(7) الكشاف 1/538، وينظر: مدارك التنزيل 1/330 ، الإيضاح/45 ، إرشاد العقل السليم

544/1، محاسن التأويل 5/1360 ، النظم القرآني في كشاف الزمخشري /124-125 ،

منهج الزمخشري في تفسير القرآن /233 ، من بلاغة النظم العربي /207.

(8) ينظر : الشورى/48 ، الحجرات/7.

(9) الأنبياء /7.

تجهيلهم والجاؤهم الى الحجة عليهم غير الكلام الى الخطاب تسجيلا عليهم وتقريعا لهم بتجهيلهم" (1) وبهذا يمكننا أن نلمس أن الالتفات قد أثرى النص وبعث في اجزائه تواشجا بديعا يدل بوضوح على قوة الأواصر التي تنتظم خيوطه . وقال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ (2) . والملاحظ أن التعبير قد صرف " الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في تبكيثهم يريد : فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم، فإن الرسول ليس عليه إلا من حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي والقبول والإذعان فإن لم تفعلوا أو توليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله" (3) . وتابع هذا الرأي قسم من المفسرين (4) . وقال تعالى ﴿ ... حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ (5) . فقد اتضح الالتفات من الغيبة الى الخطاب وذلك في قوله (يَسْتَأْذِنُونَكَ) وقد أفاد دلالة التشريف للرسول محمد - ﷺ - (6) . وقال تعالى ﴿ ... إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ ... ﴾ (7) فنسق الآية يبنني على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وتساءل الزمخشري عن سر هذا الاستعمال فأجاب قائلاً " لا يذان بأنه مما خص به وأوثر " (8) في حين ذهب النسفي ومن تلاه من المفسرين والدارسين الى القول " أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة وتكريره أي تكرير النبي تفخيم له " (9) وهكذا يفتح النص الكريم على أكثر من دلالة ومعنى. وقال تعالى ﴿ عَبَسَ

(1) التحرير والتنوير 17/18-19.

(2) النور/54.

(3) الكشاف 73/3.

(4) ينظر: التفسير الكبير 24/23، مدارك التنزيل 2/519.

(5) النور/62.

(6) ينظر: التحرير والتنوير 18/307.

(7) الأحزاب/50.

(8) الكشاف 268/3.

(9) مدارك التنزيل 3/73، ينظر: كتاب التسهيل 141/3، البحر المحيط 7/242، خزنة الأدب 60/، إرشاد العقل السليم 4/327، البرهان، الزركشي 3/332، الإنقان 2/905، روح المعاني 23/56، تيجان البيان في مشكلات القرآن/ 52، من أسرار البلاغة في القرآن/ 17.

وَتَوَلَّى ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿ (1) فالآيات الكريمة قد أسست لها التفاتاً من ضمير الغيبة إلى الخطاب وكان في دلالة هذا العدول أن الباري - وَعَلَى - لم يخاطبه مباشرة كي لا يتوهم أن المقصود بالملام الرسول - ﷺ - وإنما عاتبه برقة وتلطف واجلال للرسول وتقدير له (2) . ويعتقد أحد الباحثين أن العتاب كان " عتاباً مباشراً على طريقة المشافهة بتاء الخطاب قصد تنبيهه إلى واجب العناية بكل من يقصده مهما كانت منزلته والتنبيه واللوم كالوعيد عمل ينجز لحظة القول أصلاً " (3) وما أن تهدأ لهجة العتاب حتى يبرز لنا الخطاب بالضمير أنت (4) . وهناك آيات قرآنية أخرى حملت الالتفات من الغيبة إلى الخطاب (5) .

ز - التحول عن خطاب المفرد إلى المثنى والجمع وعكسه :

قال تعالى ﴿ ... وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَبْلَتَهُمْ ... ﴾ (6) ، فالتعبير القرآني في النص استعمل لفظة (قبلتهم) وهي مفردة مع أنها قبلتان لليهود والنصارى والعلّة في ذلك أن " كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة " (7) فاشترك القبلتين بالباطل كانتا في حكم واحد ولفظة واحدة وهذا ما دعا النص الكريم إلى العدول بالمفرد بدلاً من المثنى، ولم يخرج المفسرون (8) في تأويلهم عن هذا المنحى. وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

(1) عبس / 3-1.

(2) ينظر: محاسن التأويل 6057/17، في ظلال القرآن 3824/3 ، التحرير والتنوير 105/30 ، دراسات قرآنية في جزء عم ، 147/ ، البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين / 167.

(3) الالتفات في القرآن / 160.

(4) معاتبة النبي في القرآن، علي كمال الدين، مجلة آداب الرفادين، ع 27 لسنة 1995 / 157 .

(5) ينظر: الزمر / 36، الفتح / 18-20 ، التحريم / 3-4.

(6) البقرة / 145.

(7) الكشف / 321/1.

(8) ينظر: مدارك التنزيل 98/1، كتاب التسهيل 62/1 ، البحر المحيط 432/1، إرشاد العقل

السليم 209/1 ، التحرير والتنوير 36/2.

يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ⁽¹⁾ ، فقد قال (إذا دعاكم) وتعليل ذلك لدى الزمخشري أنه " وحد الضمير كما وحده فيما قبله ، لأن استجابة رسول الله - ﷺ - كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد" ⁽²⁾ وقد تابع محمد عبد الخالق عزيمة هذا الرأي من غير إشارة إلى فضل الزمخشري الذي سبقه فيه ⁽³⁾ . وقال تعالى ﴿ يَخْلُقُونَ بِإِلَهِكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ⁽⁴⁾ . فنرى التعبير يتأسس على العدول بلفظة (يرضوه) بدلا من (يرضوهما) ؛ لأن رضا الله ورضا رسوله الكريم بمعنى واحد فاكتفى في الخطاب بالتحول الى المفرد بدلا من المثنى فأعاد الضمير إلى الله ولم يحتج أن يقول يرضوهما ⁽⁵⁾ . وقال تعالى ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ... ﴾ ⁽⁶⁾ ، فالتعبير لم يستعمل لفظة (كواحدة) بل قال (كأحد) ودلالة ذلك " لأن الموضوع للعموم فغلب عليه التذكير، وإن كان بمعنى ليست كل واحدة منكن كواحدة من النساء، لأن الكلام يحمل معنى العموم " ⁽⁷⁾ . وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ⁽⁸⁾ . فالتعبير الكريم حوى لفظة (الولي) بصيغة الافراد فقال (وليكم) وهي المرة الوحيدة التي ذكرت في القرآن الكريم وكان الأجدر أن يقول (أولياؤكم) بصيغة الجمع وذلك؛ لأن استحقاق الله - ﷻ - بالولاية دلالة على الأصالة له وليست لغيره فجعلت الولاية لله تبارك وتعالى على طريق

(1) الأنفال/24 .

(2) الكشف 151/2 .

(3) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق 3 ، ج 1 ، ص 62.

(4) التوبة /62.

(5) ينظر: معاني القرآن ، الفراء 445/1، تنزيه القرآن عن المطاعن /152 ، الكشف 199/2، التفسير الكبير 119/16، مدارك التنزيل 662/1 ، كتاب التسهيل 79/2، التفسير القيم ابن القيم /272، إرشاد العقل السليم 421/2، الإتيان 762/2، محاسن التأويل 3190/8، التحرير والتنوير 245/10 ، فن البلاغة /173، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 62/1.

(6) الأحزاب/32.

(7) دلالة العموم والخصوص في النص القرآني ، دراسة لغوية، حسين علي عبد (رسالة ماجستير) /73، وينظر الخصائص ، 339/3.

(8) المائدة/55.

الأصالة⁽¹⁾ . فالآية اتسمت ألفاظها بالدقة والعمق بحيث إذا حذفت كلمة منها اختل السياق وذهبت جمالية التعبير وعذوبته وقوة نسجه. وقال تعالى ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾⁽²⁾ ، فقد جاءت السورة تحمل معها خطاباً مباشراً للرسول الكريم وفي أثناء تحليل هذا النص طرح الدكتور بكري شيخ أمين عدة تساؤلات يستفهم فيها قائلًا " وقد نقول: مادام الله ينظر الى محمد هذه النظرة الرائعة ويمدحه بهذه الصفات الخالدة ويذم المشركين وخصومه ذلك الذم الشنيع ويفرد الخصوم ويجمع المهتدين فلماذا لم يخاطب الرسول بضمير الجماعة زيادة في تكريمه ودعما لمكانته ، وقد ناداه وخاطبه دائما بضمير الفرد فقال: (ما أنت) (بنعمة ربك) (وان لك) (وانك لعلى) (فستبصر) (إن ربك) (فلا تطع) (لو تدهن) (ولا تطع) ؟ " ⁽³⁾. ونحسب أن الدكتور بكري لم يجاوز الصواب في إيراد هذه التساؤلات ، إلا أنه ينتهي بالشطح الى أودية بعيدة حين يجيب على هذا الأمر فيقول " مهما كان محمد عند الله مكرما ومهما ارتفعت مكانته ومهما وصفه الله وأنعم عليه فإنه إنسان له حدوده وبشريته ويجب أن يبقى كذلك في المقام الإنساني ويبقى فرداً محتاجاً الى الله ضعيفاً أمامه عبداً من عباده فضلاً عن ^(*) كونه رسوله وسفيره وليس بين هذه الحدود الإنسانية والرسالة تعارض وتناقض وإن التعبير البليغ هو مخاطبته في صيغة الافراد العادي الطبيعي " ⁽⁴⁾ فقد كان هذا الرأي مليء بالتمحل ولا حاجة لنا به والجواب برأينا - أن السياق فرض على التعبير ايراد المفرد بدلا من الجمع وليس أمراً آخر. وقال تعالى ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾⁽⁵⁾ ، والآية انبنت على العدول بالمفرد بدلا من الجمع فقال (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ) ولم يقل (خير لكم) ودلالة هذا التعبير ؛ لأنه كان في جماعته من كانت الآخرة شرا له ولو أنه استعمل صيغة الجمع لعمم وكانت كذباً ، والأمر نفسه يحصل لو خصص المطيعين بالذكر لافتضح أمر

(1) ينظر: الكشف 623/1.

(2) القلم /1-10.

(3) التعبير الفني في القرآن الكريم / 279.

(*) في المطبوع (اضافة الى) والصواب ما أثبتته .

(4) نفسه، الصحيفة نفسها.

(5) الضحى /4.

المذنبين والمنافقين فمال الى المفرد بدلا من الجمع ⁽¹⁾ . وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ... ﴾ ⁽²⁾ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ... ﴾ ⁽³⁾ فعدل النص القرآني في الآية الأولى إلى أفراد الجملة بالفعل (يسمع) في حين جاءت الآية الثانية بصيغة الجمع متمثلة بالفعل (يسمعون) وقد أولى الخطيب الإسكافي هذا الاختلاف بين الأسلوبين بأن الآية الأولى في قوم قليلي العدد من الكفار كانوا يستمعون الى النبي - ﷺ - والى قراءته القرآن ليلا فقابلوه بالرجم والايذاء ومنعوه من الصلاة خوفا من أن يسمعه أحد منهم فيرق قلبه لنور الإسلام ، أما الآية الثانية فوردت بصيغة الجمع وهي في كل الكفار الذين يسمعون القرآن الكريم ولا ينتفعون به وهو حجة عليهم فجاءت بصيغة العموم والجمع ⁽⁴⁾ . فهناك فرق بين دلالة اللفظ في الآيتين ليؤدي غرضا فنيا يكون خادما للمعنى وموضحا له . وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ... ﴾ ⁽⁵⁾ وقال أيضاً ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْظَرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي ... ﴾ ⁽⁶⁾ . فالآية تضمنت صيغة الجمع (يسمعون) في حين تضمنت الآية الثانية صيغة المفرد (ينظر) ودلالته ؛ لأن المستمعين أكثر من الرائيين وأفاد وجه العموم فكان في إيراد لفظة الجمع ليطابق بين اللفظ والمعنى . ووحد لفظ (ينظر) لأنهم اقل من ذلك وان كان من في الآيات تحتل الجمع والمفرد ⁽⁷⁾ . وربما احتتمل هذا العدول أمراً آخر هو ان " التأثير بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع لبحسب الرؤية فوحد النظر لأن رؤيته - ﷺ - واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائيين . وجمع الاستماع لأن الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر . فالكلام يختلف موقعه من مستمع لآخر ولذلك وحد الرائيين لأنهم يرون شيئاً

(1) التفسير الكبير 212/31.

(2) الانعام /25.

(3) يونس /42.

(4) ينظر: درة التنزيل /116-117.

(5) يونس /42.

(6) يونس /43.

(7) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ، الكرمانلي /223، التعبير القرآني /46.

واحداً وجمع المستمعين ؛ لأن أثر ذلك مختلف عندهم" (1) . فضلا عن ذلك فهناك آيات قرآنية أخرى (2) ، ورد فيها التحول من المفرد إلى المثنى والجمع وعكسه .

ح- التحول بلفظ دون لفظ :

قال تعالى ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْأَةِ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (3) فالتعبير القرآني يؤسسه التحول من لفظ (ذو عقوبة شديدة) الى قوله (ذو رحمة واسعة) ودلالة هذا التحول تكمن في انه " قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله في الاجترار على معصيته وذلك أبلغ في التهديد، معناه: لاتغترروا بسعة رحمة الله فانه مع ذلك لايرد عذابه" (4) فجاء هذا التحول ليعطي النص تماسكاً واضحاً في شد ذهن المتلقي وتأمل إعجاز الكتاب الكريم. وقال تعالى ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (5) . فالسياق المتوقع يقتضي أن يقول الباريء - وَجَلَّ - (العليم القدير) بدلا من (السميع البصير) لكن النص يكسر هذا التوقع وعلة ذلك ان " (السميع) يسمع مايمارون فيه، وما يتحIRON منه، يسمع كل همسة من همسات التصديق وكل خطرة من خطرات التكذيب حول تلك المعجزة التي لم يحفل بها تاريخ الأنبياء من قبل، ويسمع نبيه، ويخاطبه، ويكرمه ، ويخفف عن أمته، لأنه في عين رعايته يسري به ويرعاه، ويتعرض لأذى قومه، ونصرة ربه، فهو يصير به (يعلم السر وأخفى والعالم ومايحيط بالعالم، ومحمدا وما يلقي في سبيل دعوته) " (6) فالآية قد اشتملت على سمات أسلوبية وفرها لها هذا التحول الذي أبدل لفظاً بلفظ آخر. وقال تعالى ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (7) .

(1) التعبير القرآني /46.

(2) ينظر: آل عمران /68، النساء/13-14 ، الروم/30، الأحزاب/50، فصلت/44، الأعلى/6-8.

(3) الأنعام/147.

(4) البرهان ، الزركشي 66/4.

(5) الإسراء/1.

(6) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، فتحي أحمد عامر /228.

(7) الفتح /3.

فالآية الكريمة مالت الى التحول من لفظة (كبير) أو (عظيم) الى كلمة (عزيزا) ولهذا التحول دلالاته في النسق الأسلوبي ، فلفظة (عزيزا) هي انعكاس ووصف لهذا النصر الذي منّه الباري - ﷻ - على رسوله الكريم محمد - ﷺ - وهي لفظة منتقاة بعناية لتعبر عن عظم وجلالة هذا النصر وتأثيره المعنوي في نفسية الرسول الكريم والمسلمين على حد سواء من العزة والمنعة ⁽¹⁾ . وقال تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ... ﴾ ⁽²⁾ فالوظيفة الجمالية الناتجة عن التحول الأسلوبي الى لفظة (ضائق) وهي اسم فاعل بدلا من (ضيق) وهي صفة مشبهة، وذلك ؛ لأن اسم الفعل يدل على معنى الحدث والعروض في حين الصفة المشبهة تدل على اللزوم والثبات والاستمرار ⁽³⁾ . فعبّر النص القرآني بهذه اللفظة بدلا من غيرها " ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت ؛ لأن الرسول - ﷺ - كان أفسح الناس صدرا... " ⁽⁴⁾ والرأي هذا للزمخشري وقد تبعه فيه طائفة كبيرة من المفسرين والدراسين ⁽⁵⁾ . فأورد (ضائق) بدلا من (ضيق) لا كتنهه مقومات أسلوبية تضمنها النص القرآني وقال تعالى ﴿ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ ⁽⁶⁾ . فالجملة تتزاح عن استعمال لفظة (حال) الى لفظة (حل) ولهذا الانزياح دلالاته المهمة؛ لأنه " جمع بالعدول الى كلمة (حل) عدة معان في آن واحد كلها مرادة مطلوبة ذلك أنّ كلمة (حل) تحتل عدة معانٍ منها أنها تأتي بمعنى الحال والمقيم وقالوا إن المقصود تعظيم القسم به وهو انه لما حل الرسول بمكة جمعت شرفين شرفها هي الذي شرفها الله به وشرف الرسول فازدادت

(1) ينظر: الكشاف 541/3.

(2) هود / 12.

(3) ينظر: معاني القرآن، الفراء 232/2، معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي / 74.

(4) الكشاف 261/2 .

(5) ينظر: التفسير الكبير 193/17 ، مدارك التنزيل 46/2، كتاب التسهيل 102/2 ، البحر

المحيط 207/5، فتح القدير ، الشوكاني 463/2 ، محاسن التأويل 3118/9، التحرير

والتنوير 16/12.

(6) البلد / 2.

تعظيماً على تعظيم وشرفاً على شرف واستحقت بذلك القسم" (1) ، فعملت لفظة (حل) على تكثيف المعنى الذي يتطلبه السياق ولانجد مثل هذا التكثيف فيما لو استعملنا لفظة أخرى، لأن لفظة (حل) جمعت اسم الفاعل وهو الحال واسم المفعول وهو المستحل والمصدر وهو الحلال فزخرت باتساع كبير في المعنى الى الحد الذي يحيل على قراءات متعددة (2) . وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ... ﴾ (3) وقد زعم الطاهر بن عاشور ان الآية الكريمة تضمنت اختيار لفظة (ربي) بدلا من اسم الجلالة وعللها بانها " ايماء الى أن عصيانه أمر قبيح ، لأنه ربه فكيف يعصيه" (4) ولا جدال أن التأويل تضمن الاضطراب وغموض الرؤية، فهل الآية إذا ما احتوت لفظة (الهي) تصح ؟ والجواب سيكون بالسلب؛ لأن المعنى بوضوح العصيان لا يكون مع صاحب النعم. وقال تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (5) . فالتعبير القرآني يقوم على دقة الاختيار في لفظة (صاحبكم) بدلا من (محمد) ولهذا الأمر دلالاته المهمة كما يرى الإمام ابن قيم الجوزية؛ إذ يقول " قال - سبحانه (ماضل صاحبكم) ولم يقل ماضل محمد تأكيدا لإقامته الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفون بكذب ولاغي ولاضلال ولاينقمون عليه أمراً واحداً قط " (6) . فالنص القرآني عمل على اختيار لفظة (صاحبكم) لمعرفتهم به وإحاطتهم لشؤون حياته بشكل تفصيلي ولذا تضمنت الآية تبيكيت لهؤلاء على وجه ابلغ واحسن مما لو صرح باسمه الشريف (7) . أي تعريض لهم بوصفهم

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي /179 . وينظر: الكشف

255/4، التفسير الكبير 180/31، البحر المحيط 475/8 ، روح المعاني 134/30، محاسن

التأويل 6159/17.

(2) ينظر: نفسه /181.

(3) الأنعام/15.

(4) التحرير والتنوير 161/7 .

(5) النجم /2.

(6) التبيان في أقسام القرآن/154، وينظر : ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن /

135-136.

(7) ينظر : محاسن التأويل 5554/15.

أهل بهتان⁽¹⁾. وقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾⁽²⁾ فعمل النص على التحول من لفظة (نبي الله) او (رسول الله) الى لفظة (عبد الله) وعن دلالة هذا العدول يرى الزمخشري انه جاء للتواضع والتذلل من قبل الرسول الكريم⁽³⁾. وقد شغل الرازي نفسه في بيان الآية هل هي كلام الجن ام الكلام صادر عن الرسول محمد - ﷺ - لأنه الموحى. ولم يظهر الرازي الملمح الأسلوبى لهذا العدول⁽⁴⁾. وقال تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى...﴾⁽⁵⁾. فالأعمى كما - هو معروف - هو عبد الله بن أم مكتوم ولم يصرح النص القرآني باسمه وإنما نوه به في قوله (مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) وذلك للسعي الحثيث الى الرسول والحرص على الإيمان ليشعر الرسول الكريم مدى العتاب الذي ورد من الله وليزيد من اهمية هذا الأمر⁽⁶⁾. وقال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽⁷⁾. فالنص أوجب أن يستعمل لفظة (باسم ربك) بدلا من (باسم الله) ولهذا العدول معنى ما هو إن الرب من صفات الفعل والله من أسماء الذات ... فالأمر هنا يستوجب العبادة بصفات الفعل⁽⁸⁾ فضلاً عن ذلك فإن كلمة (ربك) فيها مايزيل فزع الرسول من الوحي. فكأنه قال: ربك هو الذي ربك فكيف يفزعك؟ فافاد هذا الحرف معنيين في احدهما: رببتك فلزمك القضاء فلا تتكاسل. (والثاني) قد رببتك حين كنت علقا فكيف أضيعك بعد أن صرت خلقاً نفيساً موحداً⁽⁹⁾. وبعد فهذه نبذة يسيرة من الآيات الكريمة عليها قد أعطتنا انطباعاً جيداً وواضحاً مما يغنيها عن بسط الأدلة وإيراد الشواهد،

(1) ينظر: التحرير والتنوير 92/27.

(2) الجن/19.

(3) الكشف 170/4، وينظر: النظم القرآني في كشف الزمخشري/35، ولايفوتنا أن نذكر ان النسفي وأبا السعود قد ذهبا الى المعنى نفسه الذي ذهب اليه الزمخشري وإن اختلفت الألفاظ. ينظر: مدارك التنزيل 601/3، إرشاد العقل السليم 779/5-780.

(4) ينظر: التفسير الكبير 163/30.

(5) عبس /1.

(6) ينظر : دراسات قرآنية في جزء عم /156.

(7) العلق/1.

(8) ينظر: التفسير الكبير 14/32، وينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطي 16/2.

(9) ينظر: التفسير الكبير 14/32.

والسبب في ذلك أن القرآن الكريم بحرٌ متلاطم من الأسرار والعلوم فهو نص خصب متجدد يتطلب من الدارس له التأمل العميق في إدراك خفاياه.

2- التقديم والتأخير :

يحتل التقديم والتأخير بوصفه ظاهرة أسلوبية بمكانة متميزة في سلم الاهتمام لدى البلاغيين وتبرز أهميته لكونه بؤرة أساسية في الأسلوبية التركيبية. " وإذا كان للجملة في العربية نظام مثالي في ترتيبها فإن هذا النظام ليس مقدساً لايجوز المساس به فثمة تغيرات تطرأ على طريقة الترتيب بحيث يقدم عنصراً أو يؤخر آخر ، والتقديم والتأخير في الجملة العربية من المباحث المهمة * التي حظيت بعناية كبيرة من قبل النحاة والبلاغيين ، وإن غلب الذوق الجمالي القائم على التحليل اللغوي على تحليلات البلاغيين لها " (1) وقد تنبه شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني على أهمية التقديم والتأخير فقال " باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لايزال يفتر لك عن بديعه ... " (2) والتقديم عند الجرجاني على وجهين : " تقديم يقال: أنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل... ، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعله باباً غير بابيه وإعراباً غير إعرابه ، وذلك أن تجيء في اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له ، فتقدم هذا على ذلك وتأخر ذاك على هذا " (3) وقد أطال البلاغيون القول في التقديم والتأخير واولوه اهتمامهم منهم ابن الأثير (4) ، والزركشي (5) والسيوطي (6) . وإذا أمعنا النظر في آراء البلاغيين هذه نراهم قد توسموا "

(*) في الأصل (الهامة) والصواب ما أثبتته.

(1) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية /205.

(2) كتاب دلائل الإعجاز /106.

(3) نفسه والصحيفة نفسها.

(4) ينظر: المثل السائر 2/216 ، الجامع الكبير /109.

(5) ينظر : البرهان ، الزركشي 3/233.

(6) ينظر: الإتيان 2/673.

فيه قيمة إبداعية تحقق للتركيب النحوي غايات جمالية" (1) ، وفي معرض إعجابه بآراء عبد القاهر الجرجاني فيما يخص التقديم والتأخير يرى الدكتور محمد عبد المطلب أن " إدراك عبد القاهر لسياقات التقديم والتأخير قائماً على نظرة عميقة الى عنصرين قائمين في الصياغة هما الثابت والمتغير ، يتمثل الثبات في تواجد أطراف الإسناد وما يتصل بها من متعلقات ، أما المتغير فيتمثل في تحرك بعض هذه الأطراف عن أماكنها الأصلية التي اكتسبتها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل ينتج عن هذين العنصرين مايمكن أن نسميه بالمعنى والدلالة فالمعنى لا يختلف سواء قدمنا أو اخرنا بينما يحدث التغيير في الدلالة " (2) . ويبدو لنا من آراء الدكتور عبد المطلب أنه قد جانب الصواب كثيراً فنحن نرفض بشدة جدلية الثابت والمتغير التي طرحها، فالجملة العربية تفتقر الى مايسمى بالثابت ولايوجد فيها ثباتاً في بنائها التركيبي ، وأن مايعرضه محض أوهام أو قصور في الفهم والرؤية، فالتغيير سمة مميزة في صيغ العربية وهذا ما أدركه القدامى منذ وقت مبكر. لقد "درس البلاغيون موضوع التقديم والتأخير في الجملة وعزوا تقدم المسند إليه على المسند أو العكس إلى أمور معينة كالتمكن في ذهن السامع والتعجيل بالمسرة او المساءة والاستلذاذ والتعظيم والتحقير وغيرها" (3) وللتقديم والتأخير أبعاد نفسية ونكت ولطائف بلاغية تعرض لها جمهرة البلاغيين ابتداءً من عبد القاهر الجرجاني ومروراً بابن الأثير وابن الزمكاني والفخر الرازي والعلوي وصولاً الى السكاكي والخطيب القزويني ، ومن ثم جاء أصحاب الشروح والتلخيصات والحواشي ولم يقتصر إظهار الأبعاد النفسية للتقديم والتأخير على البلاغيين فحسب ، وإنما سبقهم أيضاً النحاة الذين أثروا كثيراً في علماء البلاغة لكونهم الأولى في الفضل والسبق في هذا الميدان (4) . وقد تصدى الدارسون المحدثون لموضوع التقديم والتأخير ، وقد الح جان كوهن على فرضية أن الخروج

(1) الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية (رواد الشعر العراقي الحديث) : عامر عبد محسن

السعد (رسالة ماجستير) / 62.

(2) البلاغة والأسلوبية / 252.

(3) الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، نعمة رحيم العزاوي (بحث ضمن كتاب

المورد) / 161.

(4) ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي/112-113.

على أنظمة اللغة يعد انحرافاً أو ميلاً عن مستوى اللغة العادي أو المثالي إلى مستواها الأدبي أو الفني ، فتحدث كوهن عن اللغة العادية واللغة الشعرية ⁽¹⁾ . وعليه يكون التقديم والتأخير انعكاساً واضحاً لهذا الانحراف المؤدي إلى الإبداع الفني عن طريق خرق الترتيب القاعدي للجملة. فجان كوهن يرى " أن التأثير الأسلوبي يتلشى حيث يكون الترتيب - أي ترتيب - عادياً " ⁽²⁾ ويلفت نظرنا قول كوهن المذكور آنفاً (عادياً) ، هل أراد بلفظة (عادياً) أنها تعني الترتيب ؟ وهذا يقودنا إلى الفرضية الآتية :

الجملة العربية تتألف من : فعل + فاعل + مفعول به

وتعني على تصور كوهن :

عادي = التأثير متلاشي :

ونجد كثيراً من آيات القرآن الكريم والشعر العربي يكون فيها الكلام على الترتيب ، فهل يعني ذلك أن كلام الله - ﷻ - عادي وتأثيره متلاشي ؟ ولا سيما وهو قمة الإعجاز الفني في اللغة العربية. إن هذا الأمر نرفضه جملة وتفصيلاً ، أما إذا كان كلام كوهن يعني بالعادي غير موضوع الترتيب ففيه نظر . وقد أصاب الدكتور سعد أبو الرضا عندما قال : " ولن يجدينا الإسراف في التنظير ونقل المفهومات وإنما لابد بجانب ذلك أن نحسن التواصل بين الماضي والحاضر بحيث نستكشف في قيم الماضي ما يصلح لاثراء الحاضر والتأصيل له دون سرف في التقدير أو تعصب في التنظير أو الغاء للحاضر انتصاراً للماضي ودون وئد لهذا الماضي انبهاراً بمنجزات الحاضر وليس كل ما يصدر عن الأسلوبية من اجراءات يمكن أن يحقق ويجلي غايات فنية. " ⁽³⁾ وبما أن التقديم والتأخير يعد مخالفة للترتيب المألوف في الجملة لتحقيق غرض من الأغراض فإن مجرد " المخالفة ينبئ عن غرض ما ذلك الغرض هو ابراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها وتلك مسألة أسلوبية يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها " ⁽⁴⁾ وعلى هذا الأساس فالتقديم والتأخير هو " بؤرة مباحث الأسلوب الدائرة حول التركيب ، ويكتسب هذا المبحث أهمية

(1) ينظر: بنية اللغة الشعرية/105.

(2) نفسه /188 وينظر: نحو منهج جديد في البلاغة والنقد /47.

(3) في البنية والدلالة /21-22.

(4) اللغة ، جوزيف فندريس /188.

خاصة من حقيقة أنه يخضع في كل لغة للطابع الخاص بها فيما يتعلق بترتيب الأجزاء داخل الجملة فيها" (1) . فالتقديم والتأخير يعتمد الخلطة التركيبية للتأليف القواعدي داخل الجملة. فأصبح على هذا الأساس " واحداً من أنضج الرؤى الأسلوبية في الدرس البلاغي العربي من حيث التعامل مع الصورة المستخدمة للتركيب دونما تدخل بإضافة أو حذف أو تأويل أو تقدير من مظاهر تعكس تفهم القارئ لا ابداعية النص " (2) . فالتقديم والتأخير يعمل على خرق نظام الجملة وترتيبها المعتاد ويعد ملمحاً أسلوبياً مميزاً . وعلى ضوء ذلك وجدنا كثيراً من الدراسات القديمة والحديثة قد حصرت أهميته ووظيفته في (الاختصاص والحصص) و(التقديم والأثر الصوتي) و (التقديم للاهتمام) (3) . من جهة أخرى فالتقديم والتأخير من الأساليب الداخلة في دائرة المفاجأة الأسلوبية، والمفاجأة الأسلوبية كما عرّفها ياكوبسن هي " تولد اللامنتظر من خلال المنتظر " (4) ثم يتحدث ريفاتير عن " فكرة المفاجأة ورد الفعل كنظرية في تعريف الظاهرة الأسلوبية فيقرر بعد التحليل أن قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسباً طردياً بحيث كلما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المستقبل أعمق ثم تكتمل نظرية ريفاتير بمقاييس التشبع . ومعناه ان الطاقة التأثيرية لخاصية أسلوبية تتناسب تناسباً عكسياً مع تواترها . فكلما تكررت نفس الخاصية في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية معنى ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجياً" (5) . إن الناظر للتقديم والتأخير يجده فناً رفيعاً " يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال . وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع

(1) نظرية اللغة في النقد العربي/211.

(2) البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين / 148.

(3) ينظر : نفسه : 148-156.

(4) الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي /82 ، وينظر : وظيفة الانزياح في منظور

الدراسات الأسلوبية / 49 .

(5) نفسه / الصحيفة نفسها ، وينظر : وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية / 49.

غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة " (1) والآيات القرآنية التي حملت الحديث عن الرسول محمد - ﷺ - مليئة بصور التقديم والتأخير، لأن التقديم والتأخير " بوصفهما مظهراً أسلوبياً واحداً بليغاً لم يخرجاً عن الإطار البنيوي للسياق الذي يحيط بآيتي الإسراء ... ومن شأن السياق - أي سياق - الا يخرج عن الموضوع الذي يتحكم في اختيار العائلة اللغوية المعبرة عنه وهي :

الاختتام	الافتتاح	الإسراء:
الناس " (2) .	للناس	الإنسان بعبد

فهذه آية قرآنية وددنا أن تكون مثالا لقولنا وإلا فهناك آيات أخرى سنخرج الوقوف عندها ونطيل الحديث عنها .

الأغراض والمعاني التي يخرج إليها التقديم والتأخير :

أ - الاختصاص :

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (3) فالآية الكريمة اعتمدت الانزياح التركيبي في تقديم المفعول به (أغير الله) على الفعل (تدعون) وقد أفاد هذا التقديم معنى الاختصاص وكان أصل التركيب (تدعو غير الله) وفي هذا التقديم سمة أسلوبية عملت على تخليص السياق من الرتبة وجعلته يلفت انتباه المتلقي (4) . وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (5) فالتعبير الكريم حدث فيه تقديم وتأخير، " وكان في تقديم الفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) الواقع اسماً للكن على الفعل اختصاص الله تعالى بهذا الفعل ليؤكد ماسبق من تفرد الله تعالى بذلك إذ جعل

(1) التعبير القرآني / 51

(2) التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، دراسة لغوية وصفية تحليلية ، عز الدين محمد أمين (أطروحة دكتوراه) / 153.

(3) الأنعام / 40.

(4) ينظر: المنظور البلاغي في تفسير التحرير والتنوير / 63.

(5) الأنفال/ 63.

قلوب العرب تأتلف على اتباع رسول الله - ﷺ - وتتحد وانشأت ترمي عن قوس واحدة، لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد (1) . وقال تعالى ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ... ﴾ (2) ، فالنص القرآني مال إلى استعمال التقديم والتأخير لافادة معنى الاختصاص كما يرى ابن الأثير حين قال " فإنه إنما قال (بل الله فاعبد) ولم يقل: بل اعبد الله ؛ لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال : بل اعبد لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء " (3) وقد تعرض رأي ابن الأثير هذا الى رد من ابن أبي الحديد ؛ إذ قال " أقول إن الاختصاص ما استقيد في هذه الآية من مجرد تقديم المفعول بل من القرينة لأنه تعالى قال ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ وهذا تصريح بالاختصاص ؛ لأنه قال لا تشرك بالله في العبادة فتخسر بل وحد الله في العبادة فالاختصاص مفهوم من سياق الكلام لا من تقديم المفعول ولو قال في هذا السياق بل اعبد الله لأفاد الاختصاص لامحالة فلا تأثيرها هنا في الاختصاص المعلوم لا لتقديم المفعول ولا لتأخيره " (4) . وتابع النسفي وابن عاشور في الرأي القائل بان التقديم للاختصاص والقصر (5) . أي بمعنى آخر انه " قدم المفعول به (الله) للإشعار بتخصيصه بالعبادة، ولو جاء متأخرا رتبة لما أفاد التخصيص كما لو قيل ضربت زيدا، فلو قيل زيدا ضربت لأفاد ذلك اختصاص زيد بالضرب " (6) . وقال تعالى ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْغَمِّي وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (7) . فالخلطة في ترتيب الجملة ظهرت في تقديم (أنت) على (تسمع) وقد تعرض عبد القاهر الجرجاني لهذا التعبير وبين المسلك الأسلوبى للمقدم والمؤخر فقال " ليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار وإنما المعنى

(1) السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية 90/ وينظر الكشف 133/2.

(2) الزمر /66.

(3) المثل السائر 218/2، وينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/116.

(4) الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي الحديد 247/4 .

(5) ينظر: مدارك التنزيل 232/3 ، التحرير والتنوير 60/24.

(6) التنوع في الخطاب القرآني ، دراسة أسلوبية 112/.

(7) الزخرف/40.

فيه التمثيل والتشبيه وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه يستطيع أسماعهم منزلة من يرى أنه يسمع الصم - ويهدي العمي ثم المعنى في تقديم الاسم وأن لم يقل: (أسمع الصم) هو أن يقال للنبي - ﷺ - (أ أنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم؟) : وأن يجعل في ظنه أنه يستطيع إسماعهم بمثابة من يظن أنه قد أوتي قدرة على إسماع الصم⁽¹⁾ . ولاحظ الآلوسي هذا التقديم وبين سماته الأسلوبية بأنه للاختصاص فقال " وانه تعالى شأنه نفى ذلك عنه - ﷺ - وأثبتته لنفسه سبحانه على الاختصاص كأنه قيل: أنت لاتقدر على إسماع أولئك بل نحن القادرون عليه كذا قيل وفي القلب منه شيء " (2) . ولم يختلف الطاهر بن عاشور في أن التقديم جاء للقصر والاختصاص (3) . فقد برز التوافق بين الحركة وترتيب الكلمات وتوافقها في بنية الآية بحيث نلمس تكثيف العبارة وإيجازها في تأدية المعنى، بحيث لانشعر بأي اختلال في الصياغة ربما يؤثر في استيضاح القيمة الأسلوبية المتوخاة في هذا التعبير. وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ (4) . وقد أفادنا الزمخشري في تحليل هذا التقديم وأبان القيم الجمالية للتركيب ؛ إذ قال " تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً ؛ لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله - ﷺ - أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل: مانزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لاغيري" (5) فتتغير القيم الأسلوبية بفضل التقديم والتأخير تغيرا يوجب لها المزية والفضيلة في إظهار المعنى ودقته . ومن اللافت للنظر أن هذا القول نسب إلى السكاكي (6) غير أن أحد الدارسين نبه

(1) كتاب دلائل الإعجاز /120-121، وينظر : أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، محمود السيد شيخون /27، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، عبد الفتاح لاشين / 146.

(2) روح المعاني 125/11 .

(3) ينظر: التحرير والتنوير 216/25.

(4) الإنسان/23.

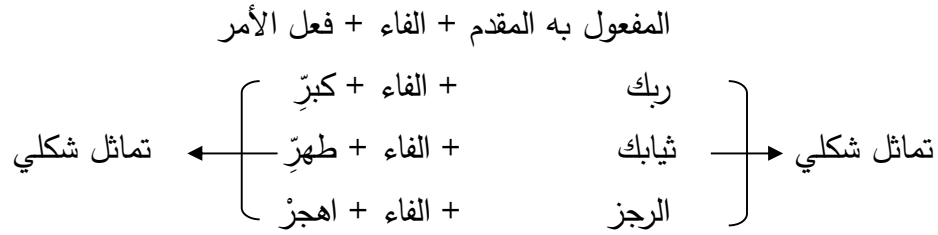
(5) الكشف 200/4، وينظر : التفسير الكبير 257/30، خصائص التراكيب/176-177 ،

التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد عيسى العامري/66.

(6) ينظر: مفتاح العلوم/234.

على أن صاحب هذا القول هو الزمخشري وتابعه الفخر الرازي (1) . ولم يخرج رأي أبي السعود والطاهر بن عاشور عن دلالة الاختصاص والقصر في توجيه المسلك الأسلوبى لهذا التقديم (2) . فالملاحظ على هذا التقديم الدقة في اختيار اللفظة المحورية (نحن) وامكانية تفاعلها داخل سياقها أو تركيبها فادت وظيفة جمالية داخل النسق بفضل تقديمها فأوجزت المعنى وكثفته. وقال تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (3) . فالمنبه الأسلوبى يتمثل في تقديم (لكم) على (دينكم) فيفاجأ المتلقي بهذا التقديم وكان الترتيب المنطقي للجملة هو (دينكم لكم) لكن عند التقديم والتأخير أفاد دلالة الاختصاص والقصر أي قصر المسند اليه على المسند، فهنا تظهر القيمة الأسلوبية في قصر الكلام وهو : دينكم الكفر وهو مختص بكم وديني الإسلام وهو مختص بنفسى (4). إن هذا الملمح الأسلوبى عمل على شد عرى النص بقوة بفعل الحركة والمناورة التي ظهرت على النسق بفعل عدم الترتيب . وقال تعالى ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (5) . فالقيمة الأسلوبية في هذه الآيات تظهر بشكل واضح في تقديم المفعول به على فعله، فتقدم المفعول به (ربك) على (فكبر) وتقدم (وثيابك) على (فطهر) و (الرجز) على (فاهجر) . فتقدمت المفاعيل الثلاثة على أفعالها ولكل تقديم منها دلالة خاصة. فتقديم (ربك) أفاد الاختصاص، وتقديم (ثيابك) أفاد التنبيه على وجوب تطهير النفس والثياب، وتقديم (الرجز) أفاد دلالة التحذير من المعاصي (عبادة الأصنام والأوثان وغيرها) (6) . فالسمة الأسلوبية جاءت وهي تؤكد ان المفعول به تقديم على الفعل وقد نصب بفعل أمر مقترن بفاء الجزاء (7) . وهي على النحو الآتي :

- (1) ينظر: المنظور البلاغى في تفسير التحرير والتنوير /59.
- (2) ينظر: إرشاد العقل السليم 804/5 ، التحرير والتنوير 402/29.
- (3) الكافرون/6.
- (4) ينظر : التفسير الكبير 148/32، مفتاح العلوم/105، إرشاد العقل السليم 908/5 ، التحرير والتنوير 584/30 ، فن البلاغة /105.
- (5) المدثر / 3-5.
- (6) ينظر: البحر المحيط 370/8-371، التحرير والتنوير 29/295.
- (7) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم /76-77.



كما أن المفاعيل الثلاثة قد اشتركت في صفة الطهارة بوجهها العام وكأن الآيات الثلاثة تشد أواصرها بخيط خفي أراده الله سبحانه بفعل هذا التقديم ، وعلى هذا الأساس فهي " خصيصة أسلوبية تومئ إلى تقديم المفعول على فعله قد ينجم عن تناصر الدواعي الشكلية والمضمونية في بعض تراكيب الكلام " (1) . وجملة القول في التقديم الذي خرج للاختصاص في النماذج التي أوردناها والآيات الأخرى (2) التي لم يتسن لنا تحليلها. إن الاختصاص يدور حوله تقديم لفظ الجلالة وهو يشي بالوحدانية من خلال العبادة والتوكل والامتثال له لاغيره أما ما يخص الرسول محمد - ﷺ - فورد الاختصاص في الغالب في سياق المقارنة مع الكافرين ومشاحنته له.

ب - التقديم لمراعاة الجانب الصوتي :

قال تعالى ﴿ ... وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (3) ، فالتعبير القرآني أسس عدوله بتقديم (عليكم) على (بحفيظ) وكان الأصل في التعبير ان يقول (بحفيظ عليكم) ولكن ورد التقديم والتأخير هنا لمراعاة الجانب الصوتي في مماثلتها مع الفاصلة (4) . وقال تعالى ﴿

(1) نفسه ، الصحيفة نفسها .

(2) تنظر الآيات : آل عمران /3، الأنعام /149، التوبة/51 ، 65 ، يونس /41،

يوسف/3 ، الإسراء /100، الكهف /13، الزمر /14، 46، الشورى /10، 13، التغابن /12، الملك /29، الانشراح /8، العلق/1 ، هود /123، الزمر/38، بالدلالة نفسها.

(3) الأنعام/104.

(4) ينظر: التحرير والتوير 421/7 .

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ⁽¹⁾ فحدث في النص الكريم انزياح تركيبى تمثل في تقديم (إليه) على (ترجعون) وأفاد هذا التقديم دلالة الأثر الصوتي في مراعاة الفاصلة والاهتمام أيضا وكان اصل التركيب أن يقول (ترجعون إليه) فقدم وأخر من أجل الملائمة مع سياق الفواصل⁽²⁾ . وقال تعالى ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾⁽³⁾ . فنلاحظ الخصيصة الأسلوبية في هذا النص هو ذلك الانزياح المتمثل بتقديم (فيه) على (يختلفون) مما أضفى وظيفة جمالية يؤديها هذا النسق يتمثل في مراعاته للجانب الصوتي مع الفواصل والاهتمام بشأن الأمر المختلف فيه⁽⁴⁾ . وقال تعالى ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِغُضِّ الذِّي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾⁽⁵⁾ . فقدم لفظة (فالينا) على (يرجعون) لدلالة الأثر الصوتي في الفواصل وكذلك الاهتمام وأصل التركيب في حقيقته ينبغي أن يكون (يرجعون إلينا) فقدم وأخر ليضفي على النص تماسكاً يشد أواصر المعنى ويكتفه⁽⁶⁾ . وقال تعالى ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾⁽⁷⁾ . فالتركيب هنا في أصله (بمصير عليهم) ولكن انزاح هذا الكلام الى تقديم (عليهم) على (بمصير) وذلك لمراعاة الفاصلة في الآيات ومن أجل تكثيف الجانب الصوتي المنبعث من نسق الفواصل حدث هذا الأمر في الخلطة التركيبية⁽⁸⁾ .

ج - الاهتمام :

يعتمد التقديم والتأخير في مواطن الاهتمام على المقام ولهذا فإن " مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام ، ولذلك قدم كلمة في موطن ويؤخرها في موطن آخر

(1) الزمر / 44.

(2) ينظر : التحرير والتتوير 28/24.

(3) الزمر / 46.

(4) ينظر : التحرير والتتوير 32/24.

(5) غافر / 77.

(6) ينظر : التحرير والتتوير 209/24.

(7) الغاشية / 22.

(8) ينظر : التحرير والتتوير 307/30.

حسبما يقتضيه المقام ... وليس معنى الاهتمام بتقديم ماهو أفضل أو أشرف ؛ إذ المقام قد يقتضي تقديم المفضل على الفاضل ، وقد يقتضي العكس ومن ذلك ماورد في القرآن الكريم من تقديم الكافرين على المؤمنين . وتقديم العقوبة على المغفرة وتقديم الضرر على النفع " (1) . قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى ... ﴾ (2) فقدم النص الكريم الوالدين على الأقربين واليتامى للاهتمام بشأنهم ؛ لأنَّ حقهم أعظم من غيرهم ولذلك قدموا على الأقربين وغيرهم (3) . كما أن الترتيب " يشي بمنهج الإسلام الحكيم البسيط في تربية النفس الإنسانية وقيادتها.. إنه يأخذ الإنسان كما هو ، بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته ، ثم يسير به من حيث هو كائن، ومن حيث هو واقف ليسير به خطوة خطوة صعودا في المرتقى العالي " (4) . وقال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (5) . فتقديم (أحد) على (استجارك) يمثل إجراء أسلوبيا في مخالفتها السياق من التأليف القواعدي ودلالة هذا التقديم للاهتمام بالمسند إليه ولأن صون دمه من الاهدار هو الأهم من إباحته (6) . فالتقديم في لفظة (أحد) قد سلط انتباه المتلقي على المعنى بعبارة دقيقة ومحددة. وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا... ﴾ (7) . فالتعبير القرآني حينما يجتمع فيه المال والولد يقدم المال على الأولاد ماعدا هذه الآية وقد حملت في طياتها قيمة أسلوبية تتمثل في أنَّ المقام " مقام حب ولاشك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب الى المرء من الأموال ؛ لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الديار " (8) . ومن

(1) الجملة العربية تأليفها وأقسامها / 45 .

(2) البقرة / 215.

(3) ينظر: التفسير الكبير 25/6.

(4) في ظلال القرآن 321/2.

(5) التوبة / 6.

(6) ينظر: التفسير الكبير 227/15 ، إرشاد العقل السليم 384/2 ، التحرير والتوير 118/10.

(7) التوبة / 24.

(8) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 134 - 135 .

زاوية نظر أخرى فأن " تصور المجاهد لفراق ابائه وابنائهم واخوانه يمنعه من الخروج أكثر مما يمنعه لما له فان تصور مع هذا أن يقتل فيفارقهم ابدا نفرت نفسه عن الخروج أكثر ولايخطر له هذا عند مفارقتها ماله فكان تقديم هذا الجنس (البنين) أكثر من تقديم المال" (1) وهكذا فأن المخالفة البارزة في الخلطة التركيبية للجملة قد عملت على منح النص الإيحاء واللغة الإبداعية، فالألفاظ صورت المعنى النفسي لتلقيه في نفس المتلقي لإبراز المعنى الظاهر فالتقديم للاهتمام يشير الى مغزى دال على هدف. وقال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (2) فالنص الكريم أسس حضوره على مرتكز الانزياح التركيبي في قوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وكان الاصل ان يقول (رؤوف رحيم بالمؤمنين) فأفاد هذا التقديم دلالة الاهتمام والحرص، أي إن الرأفة والرحمة مخصوصة بالمؤمنين للاهتمام بهم (3). فالخصيصة الأسلوبية في هذا التقديم وردت نتيجة التصرف في اللغة من حيث هياكلها أو أشكالها أو تراكيبيها، وصولاً إلى انتقال الكلام من السمة الاخبارية المألوفة الى السمة الإنشائية الإبداعية، وكل ذلك قد حصل بفعل تقديم بعض أجزاء الجملة القرآنية على بعض من اجل الاهتمام والحرص. ولهذا قيل إن أي تغير في النظام التركيبي للجملة، يترتب عليه بالضرورة تغير الدلالة، وانتقالها من مستوى الى مستوى آخر (4). وقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (5)، فتقديم (الحق) على (كارهون) أفاد معنى الاهتمام بالحق (6)، فضلاً عن الأثر الذي تركه هذا التقديم في موسيقية العبارة الى جانب دلالاته. لكونه قد جاء فاصلة للآية تنتظم مع سياق الآيات الأخرى لتبرز توليفة

(1) صفاء الكلمة ، عبد الفتاح لاشين / 206 .

(2) التوبة / 128.

(3) ينظر : التفسير الكبير 237/16 ، التحرير والتنوير 3/11.

(4) ينظر: البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب / 25 ، النظم القرآني في تفسير القرطبي دراسة أسلوبية / 45.

(5) المؤمنون / 70.

(6) ينظر: التحرير والتنوير 91/18.

موسيقية عذبة. لقد أعطت النماذج المذكورة آنفا والآيات الأخرى⁽¹⁾ ، التي لم تتح لنا الفرصة لأدراجها في تحليلنا بأن التقديم للاهتمام تنوع تبعا للسياق الذي وردت فيه الآية فمرة يرد الاهتمام بالذات الإلهية ومرة للرسول محمد - ﷺ - وما يتبع ذلك من أمور شرعية وفقهية ومرة تتعلق بأهل الشرك والكفر فيقدم أمراً على آخر للاهتمام بالامر وهكذا.

❁ ما قدم وأخر في آية واحدة :

قال تعالى ﴿... لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾⁽²⁾ ، وتتضح معالم التقديم والتأخير في التعبير القرآني في تأخير صلة الشهادة في الأولى وتقديمها في الثانية، وله دلالاته الدقيقة في هذا الأمر ، والسبب كما يرى الزمخشري وتابعه في ذلك القدامى والمحدثين أن الغرض في الأولى إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم⁽³⁾ . أما أبو حيان فله وجهة نظر مغايرة فقال " ولما كان الشهيد كالقريب على المشهود له جيء بكلمة على وتأخر حرف الجر في قوله على الناس عما يتعلق به جاء ذلك على الأصل؛ إذ العامل أصله أن يتقدم على المعمول وأما في قوله عليكم شهيدا فتقدمه من باب الاتساع في الكلام للفصاحة ، ولأن شهيدا أشبه بالفواصل والمقاطع من قوله عليكم فكان قوله شهيدا بتمام الجملة ومقطعها دون عليكم وما ذهب إليه الزمخشري من أن تقديم على أولاً ؛ لأن الغرض إثبات شهادتهم على الأمم وتأخير على الاختصاص بكون الرسول شهيدا عليهم مبني على مذهبه أن تقديم المفعول والمجرور يدل على الاختصاص ، وقد ذكرنا بطلان ذلك فيما تقدم وأن ذلك دعوى لا يقوم عليها برهان وتقدم ذكر تعليل جعلهم وسطا بكونهم شهداء وتأخر التعليل⁽⁴⁾ " ويبدو ان

(1) ينظر: الآيات : البقرة / 217 ، 285 ، المائدة / 76 ، الأنعام / 66 ، 164 ، الأعراف / 2 ، يونس / 18 ، 61 ، ص / 9 ، التوبة / 49 ، النحل / 118 ، الحج / 49 ، 70 ، الشورى / 3 بالدلالة نفسها.

(2) البقرة / 143.

(3) ينظر: الكشاف 1/318 ، التفسير الكبير 4/115 ، مفتاح العلوم / 112 ، الإيضاح / 67 ، كتاب التسهيل 1/62 ، البرهان ، الزركشي 3/237 ، معترك الأقران 1/143 ، إرشاد العقل السليم 1/205 ، التحرير والتنوير 2/21 ، خصائص التراكيب / 291 ، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن / 72 ، التعبير الفني في القرآن الكريم / 195.

(4) البحر المحيط 1/422-423.

الرأي الأول الأقرب إلى الصواب كما نظن والله اعلم. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (1) . والخصيصة الأسلوبية التي تنبني في هذا التعبير تقديم (التجارة) على (اللهو) في بدء الآية ومن ثم تقديم (اللهو) على (التجارة) في نهايتها. وتساءل المفسرون والدارسون عن علة هذا التقديم والتأخير ورأوا أنَّ تقديم التجارة على اللهو للاهتمام ؛ لأنها سبب انفضاضهم، أما تقديم اللهو عليها في نهاية السورة بسبب أنَّ اللهو أعم من التجارة فقدمه لذلك (2) . وربما يكون تقديم اللهو على التجارة في الخاتمة للترقي حيث بدأ بالأدنى فالأعلى ، وذلك لمناسبة الآية سياق الأمر في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ (3) .

❖ ما قدم في آية وأخر في أخرى :

قال تعالى ﴿ فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (4) وقال أيضاً ﴿ وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (5) فحصل تقديم وتأخير في الآيتين بين قوله (على هؤلاء شهيدا) وقوله (شهيدا على هؤلاء) ، فما هي جدوى الخلطة في الترتيب الجملي للآيتين ؟ والجواب عن ذلك أنَّ الآية الثانية (النحل) يتقدمها في بدء الآية اسم الشهيد على المشهود عليه فورد مجيء الاخبار بشهادته على أمته مرتباً على ماتقدمه من مقتضى النظم القرآني في التناظر والتناسب والتوازن مع قوله : شهيدا عليهم. أما الآية الأولى (النساء) فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة وإنما في آية النساء كان هناك داع الى تقدم المجرور (بعلى) والسبب أنه لما تقدم قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ...) ناسب

(1) الجمعة / 11.

(2) ينظر: مدارك التنزيل 527/3 ، البحر المحيط 268/8، روح المعاني 104/28، وكذلك لمسات بيانية في نصوص من التنزيل / 129-130 .

(3) ينظر : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، محمد كريم الكواز (أطروحة دكتوراه) 271/.

(4) النساء/41.

(5) النحل / 89.

هذا الاستعمال تقديم المجرور في قوله (وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) حتى كأنه على وفق هذا المفهوم لم يقصد به غيرهم ولاشهد على من سواهم من الأقوام (1) . من جهة أخرى فإن الآية الأولى (النساء) جاءت متلاءمة مع نسق الفواصل للسورة وروعي فيها مجيء المنون المنصوب مع الآيات السابقة لها واللاحقة بعدها. في حين نرى الآية الثانية (النحل) لم تقع في نهاية الفواصل بل اثناءها وفي ثانيا الآية ، ولذلك لا يوجد داعٍ لتأخير كلمة (شهِيداً) كما كان الحال مع سورة النساء (2) . وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ... ﴾ (3) . وقال أيضاً ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا ... ﴾ (4) . فالآيات الكريمة حصل فيها تقديم وتأخير بين قوله (رسلاً من قبلك) و (من قبلك رسلاً) ولهذا التقديم دلالة ، ففي الآية الأولى (الرعد) جاءت للرد على المشركين الذين عيروا الرسول محمد - ﷺ - بأن له أزواجاً كثيرة فأتى بالآية ذاكراً الرسل الذين سبقوه في كونهم يملكون أزواجاً كثيرة ايضاً، وليتناسب مع قوله تعالى في سورة الرعد نفسها (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وهو قد قدّم الرسل على الجار والمجرور للغرض نفسه ولهذا وازن وقابل النص القرآني في الاستعمال بين الآيتين في سورة الرعد. أما سورة الروم فإريد فيها مواساة الرسول محمد - ﷺ - وتصبره وتمكينه في تحمل الأذى والمشقة من قومه. ولهذا أخر الرسل وقدم الجار والمجرور (5) . وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى... ﴾ (6) ، وقال أيضاً ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

(1) ينظر: ملاك التأويل 342/1-343.

(2) ينظر: نفسه ، الصحيفة نفسها.

(3) الرعد /38.

(4) الروم/47.

(5) ينظر: جامع البيان 165/13 ، 21/ 53 ، ملاك التأويل 710/2-711 ، بصائر ذوي

التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادي 266/1.

(6) الأحزاب /7.

إِنَّكَ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا ... ﴿ (1) فنلمس تقديم ذكر الرسول محمد - ﷺ - على نوح في الآية الأولى في حين تقدم النبي نوح على ذكر الرسول في الآية الثانية ، ولهذا العدول والانزياح التركيبي دلالاته الأسلوبية ؛ لأن سورة الأحزاب تضمنت تقديم ذكر النبي - ﷺ - في التفصيل لبيان أفضليته في كون المقام هنالك جاء لسرد من أخذ عليهم الميثاق في حين نلمس تقديم النبي نوح على ذكر الرسول محمد - ﷺ - في الآية الثانية ؛ لأنه في مقام " وصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأن الله قال : شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث به نوحاً في العهد القديم وبعث به محمداً - ﷺ - في العهد الحديث وبعث به من توسط بينهما " (2) وهكذا نلمس ان التقديم والتأخير بين الآيتين يشي بملامح أسلوبية تطلبها السياق فأدى هذا الاستعمال الى ابراز المعنى بشكل دقيق موجز .

3 - الحذف :

يشكل الحذف ظاهرة أسلوبية ذات قيمة تعبيرية كبيرة في سياق الكلام، والجملة العربية تقتضي وجود مسند ومسند اليه (3) ، وإن حذف أحدهما يعد انحرافاً أو انتهاكاً عن النسق الطبيعي لها. وقد تتبّه النحاة العرب على أهمية هذا المبحث الأسلوبي وعدوه " من سنن العرب " (4) فما حذف " في الكلام لكثرة استعمالهم كثير " (5) . وقد استفاضت البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية في حديثها عن الحذف بوصفه انحرافاً عن مستوى التعبير لعادي، فهو " يفجر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه وتجعله يتخيل ما هو مقصود " (6) ولعلماء الإعجاز نظرات متعمقة تجاه موضوع الحذف والذكر من خلال حديثهم عن الإيجاز ، " فالإيجاز هو المسلك الأسلوبي الشامل (السياق الكبير) ، والحذف والذكر هو المسلك الأسلوبي السياقي (السياق الصغير) . فالسياق الكبير أو الشامل لا يلغي السياق

(1) الشورى/13.

(2) التحرير والتنوير 51/25.

(3) الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة /157.

(4) الصاحبى /175.

(5) الكتاب، سيبويه 130/2.

(6) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية / 139.

الصغير أو الجزئي، بل يجعل منه وسيلة أولية للإثراء الأسلوبي وقيمه التعبيرية " (1) فالحذف كما يقول عبد القاهر الجرجاني " باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى له ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد" (2) كما ان الحذف يعد دليلا على زيادة المعاني على الألفاظ (3) . وقد قام ابن مضاء القرطبي بتقسيم الجمل التي فيها محذوفات على أنواع ثلاثة هي :

1- جملة حذف منها ما لا يتم الكلام الا به وقد حصل الحذف لعلم المخاطبين بالمحذوف.

2- جملة حذف منها ما ليس بالكلام حاجة اليه بل هو تام دونه وإن ظهر كان عيباً.

3- جملة إذا أظهر فيها المحذوف اختلفت عما كانت عليه قبل الإظهار (4) .

ويؤكد الدارسون المحدثون (5) على مبحث الحذف بوصفه أبرز عوارض التركيب واشترط القدامى والمحدثون لصحة الحذف أن يدل دليل عليه وإلا كان ضرباً من تكليف علم الغيب (6) . فالحذف يعد اقتحاما للجملة في سياقها بكسر تتابعها ولكنه في الوقت نفسه يساعد على التحام أجزائها التركيبية ، ويوثق صلتها بدلالاتها ؛ لأن ضغط الجملة وتكثيفها بأسلوب الحذف يدفع بها الى حيز الشعرية في التعبير ثم التأثير . فهو ينشط الخيال ويقويه. وعليه فهو ظاهرة تتحول بمقتضاها الجملة من جملة أصل إلى تحويلية فالأصل في الكلام أن لا يحذف منه شيء فأن حذف فلا بد من دليل (7) . فهو يثري

(1) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري / 213.

(2) كتاب دلائل الإعجاز / 146.

(3) ينظر: المثل السائر 2/ 279.

(4) كتاب الرد على النحاة / 88-89، وينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة 158/ .

(5) ينظر : خصائص التراكيب/ 112، خصائص الاسلوب في الشوقيات / 302-303، النص القرآني من الجملة الى العالم / 34.

(6) ينظر : الخصائص 2/ 362 ، المثل السائر 2/ 279-280 ، الموسوعة القرآنية الميسرة 77/2، الجملة العربية تأليفها واقسامها / 83.

(7) ينظر: الجملة العربية ، تأليفها واقسامها / 83.

النص بقيم أسلوبية كبيرة وله " مهمة الإيحاء" ⁽¹⁾ ، ويقع الحذف كصيغة من صيغ " التحفيز المضاعف" ⁽²⁾ كما يسميه ريفاتير ويعرف التحفيز المضاعف بأنه " وسيلة أسلوبية، ذات مبتدأ تركيبى لكنها تختلف بالمواشجة الدلالية وعندها يسوق -التحفيز المضاعف-، بعبارات تقليدية من قبيل (مطابقة الشكل للمحتوى)" ⁽³⁾ وقد قمنا بتقسيم الحذف على أنواع هي : حذف الحرف ، وحذف الكلمة ، وحذف الجملة ، وسنحاول أن ندلل على السمات الأسلوبية التي تضمنتها هذه الأنواع بشكل يسير وواضح.

(1) البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، مصطفى السعدني / 139-141.

(2) معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير / 76-77.

(3) أسلوبية البناء الشعري ، دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي / 84، وينظر: معايير تحليل

الأسلوب / 76-77.

أنواع الحذف :

أ - حذف الحرف :

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾⁽¹⁾ فالملح الأسلوب في هذا النص يتمثل في التركيب المنحرف عن الأصل وذلك في لفظة (الداع) و(دعان) وكان أصل الكلام (الداعي) بالياء الطويلة ولكن التعبير القرآني مال الى استعمال الكسرة القصيرة لتنسجم مع الحركة التي تليها في (إذا) وهي الكسرة القصيرة، وكذلك نجد لفظة (دعان) والأصل (دعاني) وهو الملحظ الأسلوب الذي تم فيه التعبير بشكل فني رفيع ومحكم⁽²⁾. بفضل الحذف الداخلي للحروف الذي نتج عنه تحقيق التوازن الموسيقي الداخلي للنص الكريم⁽³⁾. وقال تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾⁽⁴⁾. فنلمس بوضوح القيمة الإيحائية لحذف الحرف من كلمة (اتبعن) والأصل (اتبعني) بالياء ولهذا الحذف سمته الأسلوبية؛ لأنَّ " المد القصير الذي توفره الكسرة بعد النون عن المد الطويل الذي يتحقق بالياء يخدم الآية من قوله (فان حاجوك) فيجنبها شيئاً من الطول وبذلك يحسن الوقف والوقف هنا شيء جائز ".⁽⁵⁾ وهكذا نرى أنَّ حذف الياء من الكلمة كان يخدم المعنى ويكتفه والانتهاك عن الأصل قاد المتلقي إلى تمثّل اللغة الإبداعية المتولدة عن النص. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا...﴾⁽⁶⁾ فعدل التعبير القرآني عن لفظة (ولاتولوا) الى قوله (ولاتولوا) بحذف أحد التاءين للتخفيف⁽⁷⁾. ونرى الدقة في وضع الحروف وحذفها في الاستعمال القرآني وماتوحيه بدلالات عميقة تحمل معاني الحرف

(1) البقرة/186.

(2) ينظر: من بديع لغة التنزيل /25-26.

(3) ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم /94-95.

(4) آل عمران/20.

(5) من بديع لغة التنزيل/38-39.

(6) الأنفال/20.

(7) ينظر: مدارك التنزيل 1/608، إرشاد العقل السليم 2/353 وللاستزادة من النماذج التي حذف

فيها الحرف لدلالة التخفيف تنظر الآيات: التوبة/74، الرعد/30، 32، الزمر/17.

المحذوف . وقال تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ ... ﴾ (1) فالمسلك الأسلوبى في الآية يتمثل في قوله (فلا تك) بحذف النون ودلالة هذا الحذف لكثرة الاستعمال ولأنه إذا وقع على طرف الكلام يسقط عند التلطف (2) . فضلا عن أن الحذف يتبع المعنى في سياقه (3) . وقال تعالى ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ... ﴾ (4) فالقيمة الأسلوبية تظهر في حذف (الواو) من قوله تعالى (لكل أمة) وعلة ذلك أن الكلام لا يوجد فيه تعلق بالكلام الذي سبقه ولذلك حذف الواو (5) . وقال تعالى ﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ... ﴾ (6) فالحذف في الآية يتمثل في قوله (يا عباد) وقد حذف الياء المضاف الى الكلمة وهو شائع في المنادى المضاف الى ياء المتكلم (7) . وهكذا عمل حذف الياء على إعطاء النص سمة أسلوبية تجعل الذهن يتخيل في دلالة الآية وإيحائها . وقال تعالى ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ (8) . وقال أيضاً ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ (9) .

فالأصل في كلمة (تصدى) ← (تتصدى)

والأصل في كلمة (تلهى) ← (تتلهى)

وقد حذف التاء الأولى ؛ لأنها مورفيم يدل على المضارعة (10) . فحسن حذف التاء من الآيتين لهذا السبب فأضاف مسحة أسلوبية معبرة أعطت النص اقتداره .

ب- حذف الكلمة :

- (1) هود/109 .
- (2) ينظر: التفسير الكبير 68/18 .
- (3) ينظر: التعبير القرآني /73 .
- (4) الحج /67 .
- (5) ينظر: التفسير الكبير 64/23 ، مدارك التنزيل 453/2 .
- (6) الزمر /10 .
- (7) ينظر: التحرير والتنوير 352/23 .
- (8) عبس/6 .
- (9) عبس/10 .
- (10) دراسات قرآنية في جزء عمّ /185 ، وينظر: إرشاد العقل السليم 832/5 .

1- حذف المبتدأ والخبر :

قال تعالى ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ... ﴾ (1) ، فالتعبير الكريم اشتمل على قوله (الله) وهو " خبر مبتدأ محذوف دل عليه (من في السماوات) الخ . ويقدر المبتدأ مؤخرا على الخبر على وزن السؤال ؛ لأن المقصود إفادة الحصر " (2) فحصر النص القرآني أن ما في الكون لا يملكه الا الله ولا يمكن أن ينسب لغيره فأفاد حذف المبتدأ دلالة الحصر . وقال تعالى ﴿ ... أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ... ﴾ (3) فالنص يمارس انتهاكا تركيبيا يتمثل في حذف الخبر من قوله (ورسوله) وهو مبتدأ خبره محذوف والتقدير : ورسوله برئ كذلك، فنرى اضممار الخبر قد جاء دليلا على قصد الاختصار والتوفي (4) . فالقرآن الكريم يبرز المعنى بألفاظ موجزة ومكتفة بعيدة عن الإطناب والزيادة لكي تزرع في نفسية السامع اتساعا في أحاسيسه ومشاعره. وقال تعالى ﴿ يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (5) فالملمح الأسلوبي في الآية يتضح من خلال حذف الخبر والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك. فحذف الضمير من الجملة الثانية لدلالة الأولى عليه؛ ولأنه لا اختلاف بين رضا الله ورضا رسوله فهما في حكم واحد (6) . وقد لاحظنا في ضوء النماذج المذكورة أنفاً من الآيات والآيات الأخرى (7) التي عملنا على تحليلها أن هنالك قصوراً واضحاً من القدامى والمحدثين في ربط التعليل البلاغي لحذف المبتدأ والخبر وإبراز

(1) الأنعام/12.

(2) التحرير والتنوير 151/7.

(3) التوبة /3.

(4) ينظر: دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم /200.

(5) التوبة/62.

(6) ينظر: الكشف/199/2، البرهان/ابن الزملاكاني/235، كتاب التسهيل/79/2 ، البحر المحيط

64/5، مع بلاغة القرآن عبد الحميد محمد العبيسي/102، لغة المنافقين في القرآن 205/1.

(7) ينظر الآيات: آل عمران/60، النساء /62 ، الأنفال/41 ، التوبة/1، إبراهيم/1، الحجر/72،

الكهف/29، مريم /65 ، الحج/72، الفرقان/59 ، ص 29، الزمر/19، الأحقاف/35.

دلالاته مع سياق الآيات الأخرى فنرى الاكتفاء في وصف هذا الحذف وتعيين موقعه من غير إبراز للمعنى الذي أفاده هذا الحذف.

2- حذف الفعل

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ...﴾⁽¹⁾ فالمتعمن في قوله (فإنني قريب) يجد فيه انتهاكاً على مستوى نسق التركيب وذلك بحذف الفعل والتقدير: فقل إنني قريب⁽²⁾. فدلالة الحذف على تعظيم حال الدعاء "للاشارة الى أن البعد في حالة الدعاء في أشرف المقامات لاواسطة بينه وبين مولاه"⁽³⁾ وهكذا نتحسس بجلاء أن حذف الفعل قد أنماز بثناء دلالي مهم نجده في الإحياءات التي انبعثت من التعبير. وقال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾⁽⁴⁾، فالمسلك الأسلوبي يظهر في قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) وقد حذف الفعل والتقدير: يقولون لانفرق بين أحد من رسله⁽⁵⁾. فالحذف ورد للاختصار؛ لأن الكلام متضمن لمعنى الفعل ولا حاجة لذكره وهكذا اشتملت الآية على سمة أسلوبية جاءت بفضل حذف الفعل. وقال تعالى ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا﴾⁽⁶⁾. وفي الآية حذف للفعل استوضحه الزمخشري وبين دلالاته فقال "وتقديره: لو تملكون تملكون - فأضمر تلك إضماراً على شريطة التفسير، وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط من يتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره، وهذا هو الوجه

(1) البقرة/186.

(2) ينظر: مجمع البيان 126/2، التفسير الكبير 105/5، البحر المحيط 45/2، الإتيان، 836/2.

(3) من اسرار البلاغة في القرآن 58-59.

(4) البقرة/285.

(5) ينظر: جامع البيان 152/3-153، التفسير الكبير 144/7، مدارك التنزيل 193/1، البحر

المحيط 365/2، إرشاد العقل السليم 318/1، محاسن التأويل 729/3.

(6) الإسراء/100.

الذي يقتضيه علم الإعراب، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أنّ انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأنّ الناس هم المختصون بالشح المتبالغ⁽¹⁾ ولم يخرج النسفي عن هذا الرأي بل تابع الزمخشري في تحليله⁽²⁾ . فضلا عن ذلك فهناك آيات قرآنية أخرى⁽³⁾ . تضمنت ملامح أسلوبية في حذف الفعل.

3 - حذف الفاعل

يشكل حذف الفاعل سمة مميزة في انشئالات الخطاب القرآني ، لأنه " من الظواهر الأسلوبية اللافتة في البيان القرآني " ⁽⁴⁾ وقد تساءلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن قائلة " وعجيب حقا أنّ تطرد هذه الظاهرة الأسلوبية في موقف واحد من البيان القرآني، ثم لا تلتفت البلاغيين والمفسرين إليها، مع وضوحها الى درجة العمد والإصرار " ⁽⁵⁾ وتضيف الدكتورة بنت الشاطيء أيضاً " والبلاغيون يقولون في حذف الفاعل: انه يحذف للعلم أو الجهل به ، وللخوف منه أو عليه. ويشهد البيان القرآني أنه يستغنى عن الفاعل في أحداث القيامة ، مع انتفاء الخوف عليه أو الجهل به . كما يشهد انه لم يحذف الفاعل في مواضع العلم به يقينا " ⁽⁶⁾ ولكن أبرز دواعي حذف الفاعل هي : العلم به ، وعدم تعلق الغرض بذكره. قال تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ⁽⁷⁾ . فالملمح الأسلوبي تضمنه حذف الفاعل من الفعل (تتلى) وفي هذا الحذف دلالة التعظيم والتشريف والاحلال للرسول محمد - ﷺ - . كما حذف الفاعل من الفعل (هدي)⁽⁸⁾ . وهكذا عمل حذف الفاعل على ابراز معنى التعظيم لمقام

(1) الكشف 468/2 وينظر: من أسرار البلاغة في القرآن /58.

(2) ينظر: مدارك التنزيل 270/2.

(3) تنظر الآيات: آل عمران /44، التوبة/6، الإسراء / 50.

(4) من اسرار العربية في البيان القرآني ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) /53.

(5) نفسه /55.

(6) نفسه ، الصحيفة نفسها .

(7) آل عمران /101.

(8) ينظر: الكشف 450/1، التفسير الكبير 170/8.

رسوله الكريم والعلم به . وقال تعالى ﴿ ... وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (1) . وقد حذف الفاعل في الآية استغناء بصفته عنه وعدم تعلق الغرض بذكره والتقدير : شيء من نبأ المرسلين فحذف الفاعل وهو (شيء) . لأن جميع أنباء المرسلين لم تقص في القرآن الكريم (2) . وهكذا نرى أن حذف الفاعل قد شكل منبها أسلوبيا في اشباع الجملة بما تحتاجه من شرط الاسناد (المسند والمسند اليه) واحال ذهن المتلقي الى وضع افتراضات معينة عن ماهية الفاعل المحذوف. فضلا عن هذه النماذج فهناك آيات قرآنية (3) أخرى ورد فيها حذف الفاعل أيضاً.

4 - حذف المفعول به

يمثل حذف المفعول به سمة واضحة في سلم الاهتمام لدى البلاغيين فقد اهتموا بمسائله من الناحية الدلالية وإن كان للنحاة صفة الريادة في تأسيس هذه المعاني (4) . فقد أولى البلاغيون عناية خاصة " بارتباط المعنى داخل التركيب وإن كانت دراستهم قد قامت على أسس نحوية. وإذا كان كثير من الباحثين المحدثين لا يوافقون على الحذف الواجب ويرتضون الحذف الجائر ويرمون النحويين بتهمة الاهتمام بشكل الإعراب والتقدير والتأويل فاننا ندافع عن كثير من النحويين الذين أسسوا كثيرا من دراساتهم على المعنى داخل التركيب " (5) فنرى أن " التفات البلاغيين إلى هذا البعد النفسي في الإيجاز القائم على الحذف إنما هو في حدود القائم على حذف المفعول به خاصة دون سواه فلم يلتفتوا إليه في حذف المسند إليه أو ما في حكمه وكل الذي ذكروه هناك من أغراض بلاغية لاسيما في الإيجاز القائم على حذف الفاعل هو أن المتكلم إنما يسقطه من الكلام " (6) ويحذف

(1) الأنعام /34.

(2) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي /123.

(3) ينظر: الآيات : التغابن /5 ، الحجرات/6 ، ص 67 ، القصص /3، النمل/22، الشعراء/69 ، إبراهيم/9 .

(4) ينظر : المفعول به وأحكامه عند النحويين وشواهد في القرآن الكريم ، شرف الدين علي الراجحي/125.

(5) نفسه /137.

(6) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/135.

المفعول لدواعٍ وأغراض معينة منها دلالة القرينة على المحذوف توخيا للإيجاز ومنها التعميم والتوسع في الدلالة الإيحائية ومنها الاهتمام الى الفعل. قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾⁽¹⁾ فحذف المفعول من الفعل (أحببت) والقرينة التي دلت عليه هو قوله (لا تهدي) والتقدير : من أحببت هديه أو اهتداه⁽²⁾ . وهذا الحذف فيه توخي الإيجاز . فالخطاب " موجه إلى الرسول - ﷺ - إذ جاءت لتبين له وللمؤمنين بأن الرسول لا يستطيع أن يدخل الكفار في الإسلام وإنما الله هو الذي يدخلهم فيه " ⁽³⁾ . وقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾⁽⁴⁾ . فنحن نلاحظ أن قوله " (وتنذر يوم الجمع) معطوف على قوله (لتنذر ام القرى) أي لاجل ان تنذر ام القرى وان تنذر يوم الجمع فحذف في الأول، أحد المفعولين وحذف في الثاني أحدهما، فكان ما اثبت في الكل منهما ، دليلا على ما حذف في الثاني، ففي الأول حذف المفعول الثاني والتقدير (لتنذر ام القرى) أي أهل مكة ومن حولها عذابا شديدا إن لم يؤمنوا، وفي الثاني حذف المفعول الأول، أي وتنذر الناس يوم الجمع" ⁽⁵⁾ فالنص أوضح لنا أبعاداً دلالية يضيفها السياق، وتركيب الكلام وقد تأتى ذلك من ان حذف المفعول به حذف لدلالة القرينة عليه وأفاد معنى الاختصار والإيجاز القولي. وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽⁶⁾ . فالتعبير الكريم يؤسس انزياحاً تركيبياً في حذف مفعول الفعل (اطعنا) وقد دل عليه ما قبله داخل السياق، والتقدير : اطعنا الله والرسول ⁽⁷⁾ . وهنا تهيمن على التعبير مسحة جمالية بفضل الفراغ الذي تركه حذف المفعول به لدلالة القرينة عليه. وقال تعالى ﴿ أَلَمْ

(1) القصص / 56.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 147/20.

(3) التقابل والتماثل في القرآن الكريم / 178.

(4) الشورى / 7.

(5) أضواء البيان / الشنقيطي 59/7.

(6) النور / 47.

(7) ينظر: التحرير والتنوير 268/18.

يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغْنَى﴾⁽¹⁾ فالنص يرتكز على حذف المفعول به وأفاد الاختصار لظهور المحذوف كما يرى الزمخشري⁽²⁾ . أما الطاهر بن عاشور فحاول أن يتوسع في هذا المعنى قليلا ويضيف اليه فقال أن حذف "مفاعيل (فآوى ، فهدى ، فاغنى) للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها وحذفها إيجاز وفيه رعاية على الفواصل"⁽³⁾. إن الهيمنة التي ألحَّ عليها النص في حذف المفاعيل الثلاثة قد اتضحت لنا بفضل دلالة القرينة للسياق توخيا للاختصار. وقد يخرج حذف المفعول به لداع آخر هو التعميم والتوسع في الدلالة الإيحائية من ذلك قوله تعالى ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁴⁾ فنلمس أن التعبير تضمن حذف مفعول الفعل (لتهدي) للتعميم وللتوسع في الدلالة الإيحائية للآية ، والمعنى: لتهدي جميع الناس، أو لتهدي بذلك النور، وترشدهم الى الصراط المستقيم⁽⁵⁾. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾ فالناظر للآية يستوقفه حذف مفعول الفعل (لاتقدموا) ولدلالة الحذف يقول الزمخشري " وفي (لاتقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان : أحدهما : أن يحذف ليتناول كل مايقع في النفس مما يقدم ، والثاني أن لايقصد قصد مفعول ولاحذفه، ويتوجه بالنهي الى نفس النقدمة كأنه قيل: لاتقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم سبيل " ⁽⁷⁾ وقد ذهب الى المعنى نفسه طائفة من المفسرين⁽⁸⁾. والنص على

(1) الضحى 7-9.

(2) ينظر: الكشف 263/4-264 ، والى الرأي نفسه ذهب الدكتور عبد الفتاح لاشين ، ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن /146.

(3) التحرير والتنوير 3/400 وللاستزادة من نماذج حذف المفعول به لدلالة القرينة عليه تنتظر الآيات: آل عمران/20، الأنعام/135، الأنفال/58، يونس/31، 38 ، إبراهيم/31، الكهف/24، القصص/3، سبأ/28، الشورى /15، الجن/1، الغاشية/21، العلق/13 بالدلالة نفسها. الشورى/52.

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم 5/535، التحرير والتنوير 25/154.

(5) الحجرات/1.

(6) الكشف: 3/552، وينظر: خصائص التراكيب/286.

(7) ينظر: مدارك التنزيل 3/390، البحر المحيط 8/105 ، إرشاد العقل السليم 5/607، محاسن التأويل 15/5438.

هذا أعطى معنى التعميم والاتساع في المعنى وقال تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (1). إنَّ المطالع لهذا التعبير يتضح له حذف المفعول به الثاني للفعل (يعطيك) وقد أفاد هذا الحذف في الآية "بعداً تخيلياً وتوسعا في دلالتها الإيحائية ليطلق الخيال عنانه في تصور ماذا سيعطيه ليكون ذلك كل ما نتصوره أو نتخيله في عقولنا البسيطة لتمنح للآية عمقاً وكثافة في المعنى على المفعول ولكن حذفه هو الذي أمدنا بكل تلك الدلالات الإيحائية والبعد التخيلي" (2) وهكذا لمسنا التوسع في الدلالة الإيحائية لهذا الحذف وتعدد تأويلاته . وقال تعالى ﴿وَأِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (3) . فالحذف للمفعول به ورد في التعبير الكريم في قوله (ارغب) وأفاد معنى التعميم والتوسع في المعنى " ليعم كل ما يرغبه النبي - ﷺ - وهل يرغب النبي - ﷺ - إلا في الكمال النفساني وانتشار الدين ونصر المسلمين" (4) فالحذف يحيل المتلقي الى دلالات متعددة يمكن أن تستحضر في ذهنه وهو يتذوق الكلام. وربما مال النص القرآني الى حذف المفعول به في آية وإبقائه في آية أخرى مشابهة من ذلك قوله تعالى ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (5) . وقال أيضاً ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (6) . إنَّ المتفحص للتعبير القرآني في الآيتين يلاحظ أنه ذكر المفعول به في قوله (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) وحذفه في قوله (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) ودلالة هذا التباين بين الاستعمالين أن الآية

الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر فلما تضمنت التشفي بهم قيل (أبصرهم) أما في الآية الثانية فأراد بها يوم الفتح، واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم فلم يكن لديهم الوقت الكافي للتشفي بهم بل للبروز ف قيل له : (أبصر) ومعنى الآية:

(1) الضحى /5.

(2) فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية / 132.

(3) الانشراح/8.

(4) التحرير والتنوير 418/30 وللاستزادة من حذف المفعول به الذي أفاد دلالة التعميم ، تنظر/

الآيات: الحج / 67، فصلت/5 ، المدثر/2، الأعلى /9.

(5) الصافات /175.

(6) الصافات/179.

فيسبصرون منك عليهم (1) . فالنص القرآني يراعي السياق في اختيار الحذف والذكر المناسب للغرض الذي انبثقت من اجله الآية بشكل دقيق وواضح.

5 - حذف المضاف

تبنى العلماء العرب (2) قضية حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وعدوه ضرباً من ضروب التوسع ، وهو كثير في القرآن الكريم (3) . بيد أن قسم من القدماء لم يسوغ الحذف في المضاف ، وانطلقوا في تقويض هذا الأمر بناء على ماتمليه عليهم اتجاهاتهم الفكرية، فنرى الإمام ابن قيم الجوزية يضيق الحديث عنه متأثراً في هذا الأمر بثقافته الأصولية التي تتبنى مبدأ سد الذرائع، فيغدو التوسع في هذا الأمر مؤدياً الى التباس الخطاب وكذلك تعطل أدلة الأحكام (4) . وقد تابع الدكتور طاهر سليمان حمودة رأي الإمام ابن القيم ورأى أن التقدير قد يؤدي الى الاخلال بالمعنى (5) . وحسبي أن أقف على عدد من الآيات التي رأى فيها المفسرون والدارسون أنها مشتملة على حذف المضاف من ذلك قوله تعالى ﴿يَأْيُهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾ (6) فالنص قد انطوى على حذف " مضاف والتقدير : لا يحزنك صنع الذين يسارعون في الكفر ، والحزن : ضد السرور وهو ضرب آلام النفس يجده الانسان عند فوات مايجب " (7) فحذف المضاف قد أدى الى تكثيف المعنى بفضل الایجاز ، والتعبير جاء خطاباً للنبي

- وهو يقاوم أهل الكفر والشرك الذين تربصوا برسوله الكريم العداء والبغض. وقال تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (8)

(1) ينظر: الكشف 357/3 ، البرهان/ الزركشي 167/3، من اسرار البلاغة في القرآن /57.

(2) ينظر: الخصائص 364/2، المثل السائر 309/2.

(3) ينظر: البرهان، الزركشي 146/3.

(4) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي/210.

(5) ينظر: نفسه، الصحيفة نفسها.

(6) المائدة/41.

(7) لغة المناققين في القرآن 146/1.

(8) الأنعام/92.

فاستتطابق النص يفصح عن حذف المضاف في الآية والتقدير : ولتنذر أهل أم القرى، وأم القرى هي مكة كما أجمع على ذلك المفسرون والدارسون (1) . ولهذا عمل حذف المضاف على إبراز جوانب جمالية وسمات أسلوبية في التعبير . وقال تعالى ﴿ ... وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (2) فالخصيصة الأسلوبية لهذا التعبير تتمثل في انزياح الجملة عن طريق حذف المضاف والتقدير : بقراءة صلاتك (3) . فحذف المضاف (قراءة) منح النص دلالات إيحائية متعددة في معرفة أصل التحويل الذي طرأ على العبارة . وقال تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ... ﴾ (4) فالنص القرآني حمل في طياته حذفاً للمضاف والتقدير : مثل امهاتهم (5) . فكان هذا الحذف معبراً عن معنى الآية على الرغم من غيابه، وهنا تكمن الملامح الأسلوبية للآية في البنية السطحية التي هي انعكاس للبنية العميقة وتأكيداً لها . وقال تعالى ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَكُمْ ﴾ (6) . فالنص يمارس خلخلة في نظام التركيب تنبثق في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه (7) . وذلك في قوله (وللمؤمنين) وتقدير هذا الحذف " أي ولذنوب المؤمنين وأعيد الجار؛ لأن ذنوبهم جنس آخر غير ذنبه - عَلَيْهِ السَّلَام - فإن ذنوبهم صغائر وكبائر وذنبه - عَلَيْهِ السَّلَام - من باب ترك الأولى بالنسبة لمكانته - عَلَيْهِ السَّلَام - . وفي حذف المضاف وتعليق الاستغفار بذواتهم إشعار بفرط احتياجهم إليه وكأن ذواتهم عين الذنوب " (8) فالتعبير منح المتلقي فرصة أن يستكشف روعة القرآن ودقته بالنسبة لحذف المضاف من خلال التأمل

(1) ينظر: مجمع البيان 130/7 ، التفسير الكبير 81/13 ، البحر المحيط 179/4 ، التحرير

والتنوير 372/7 ، قاموس قرآني/124 .

(2) الإسراء/110.

(3) ينظر : الكشاف 470/2 ، البرهان، الزركشي 147/3 ، محاسن التأويل 4012/10.

(4) الأحزاب/6.

(5) ينظر: البرهان ، الزركشي 147/3.

(6) محمد /19.

(7) ينظر: إرشاد العقل السليم 589/5.

(8) لغة المناققين في القرآن 122/2.

والتدبر في معرفة معانيه ووجوهه المختلفة . فتبرز الوظيفة الجمالية لهذا الحذف في كونها بنية منازحة عما وضعت له أصلاً . وقال تعالى ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ... ﴾ (1) . فالمسلك الأسلوبى لهذا النص يمكن أن نتعرف عليه في حذف المضاف مؤدياً هذا الحذف الى سمة أسلوبية تعبيرية، والتقدير في الأصل : من أموال كفار أهل القرى (2) . وهكذا نرى أنَّ اللفظة المحذوفة كانت موضحة للمغزى الذي جاءت به الآية وزاخرة بالدلالة الياحائية للنص عبر سياقه الأسلوبى . ولعل الذي يهمنى أكثر من غيره هنا من خلال النماذج المذكورة آنفاً والآيات الأخرى (3) التي يضيق المجال في تحليلها جميعاً ان حذف المضاف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بغرض المجاز وهذا الأمر هو الذي دفع العلماء منذ القدم الى الاختلاف حول مدى قبوله ورفضه، فمن قبل المجاز قبله ومن رفض المجاز رفضه وهذا ما وددنا الإشارة إليه.

ج - حذف الجملة :

زخر القرآن الكريم بعدة أنواع لحذف الجمل، منها حذف جواب القسم، وحذف جواب الشرط، وحذف جواب (لو) وسنعمل على رصد الوسائل الأسلوبية المختلفة والمتنوعة التي تظهر في أثناء الآيات القرآنية لموضوع بحثنا وسنبداً بحذف جواب القسم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ... ﴾ (4) . فالنص الكريم اشتمل على سمة أسلوبية تعبيرية تمثلت في حذف جواب القسم الذي يدل عليه مابعد (5) . كأنه قيل: والقرآن المجيد انزلناه اليك، فلم يكن بالامكان وضع جواب مقدر واحد بل فيه احتمالات كثيرة منها (إنا أنزلناه لتنذر به الناس) و (إنك جئتكم لتنذر به الناس) وقسم قدره بقولهم (ماردوا أمرك بحجة) وقسم قدره (لتبعثن) ... الخ . (6) وهنا

(1) الحشر/7.

(2) ينظر: البرهان ، الزركشي 153/3.

(3) تنظر الآيات: آل عمران /176 ، الأنفال /13، 27، محمد /13، الحشر/4.

(4) ق /1.

(5) ينظر : البحر المحيط 120/8 ، البرهان ، الزركشي 193/3 ، إرشاد العقل السليم 616/5،

محاسن التأويل 5483/15 ، التحرير والتتوير 277/26.

(6) ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها/ 88 .

تبرز الوظيفة الجمالية لحذف جواب القسم لأنه يفضي الى "بعث النفس على التفكير لتتهدي الى الجواب وتظل النفس تتبع هذه الآيات يتلو بعضها بعضا تستوحي منها هذا الجواب الذي لابد أن يكون شيئاً عظيماً يقسم عليه الله" (1) فتعدد قراءة النص الكريم تفتح آفاقاً رحبة للفكر يتم فيها تأويل الوجه الأقرب إلى السياق وهنا تبرز ملامح التعبير الأسلوبية وتلونها. ونسترسل في إيراد النماذج المتضمنة حذف الجمل ونصل الى حذف جملة جواب الشرط فقال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (2) . فتضمن هذا المقطع انزياحاً تركيبياً بحذف جملة جواب الشرط في قوله : (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وذلك لدلالة ماسبقه من الكلام والتقدير : إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (3) . وكان لهذا الحذف دلالة الواضحة في إبراز المعنى، وليأخذ بلب المتلقي الى تصور المقطع المحذوف من الآية. وقال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ... ﴾ (4) فالتعبير حوى جواب شرط محذوف والتقدير : مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَلَيَمِتْ غِيظاً فَانْه نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَىٰ قَلْبِكَ (5) . فحذف الجواب وأقيم مقامه قوله (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) (6) . وهكذا تبين لنا القيمة الأسلوبية المتأتية من حذف جواب الشرط كما ابرز المعنى بدقة وإيجاز. وقال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (7) . إِنَّ النص اعتمد آلية الحذف وعن دلالة هذا الحذف يقول الزمخشري: " جواب الشرط محذوف تقديره : إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ السَّيِّئُ ظَالِمِينَ، ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى (إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَهْدِي

(1) من أسرار البلاغة في القرآن /67 ، وللاستزادة من حذف جواب القسم ينظر: البقرة /145 بالدلالة نفسها.

(2) البقرة/23.

(3) ينظر : مدارك التنزيل 30/1 ، إرشاد العقل السليم 81/1.

(4) البقرة/97.

(5) ينظر: مدارك التنزيل 74/1.

(6) ينظر: أنوار التنزيل 77/1 ، إرشاد العقل السليم 160/1.

(7) الأحقاف / 10.

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) والشاهد من بني اسرائيل " (1) والى المعنى نفسه ذهبت طائفة من المفسرين (2). وهكذا يلتزم شمل النص في تقديرنا لجواب الشرط المحذوف ولهذا " يرتد في المستوى العميق الى (قل آرايتم ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله انه من عند الله فأمن الشاهد واستكبرتم الستم ظالمين ويلاحظ هذا - أيضاً - أن بنية السطح كانت مؤشر انتاج جواب الشرط في بنية العمق وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (3) . ونستمر في ايراد حذف الجمل ويصل بنا المطاف الى حذف جملة جواب (لو) من ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (4) . فالتعبير يركز على منبه أسلوبى هو حذف جواب (لو) وتقدير الكلام : ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم، وإنما ترك ذكر الجواب ليدل ذلك على التعظيم والتهويل في نفوس أهل النفاق الذين لم يحضر الإيمان في قلوبهم (5) . والى الدلالة نفسها ذهب المحدثون من الدارسين مقتفين أثر القدامى في تعليل هذا الحذف (6) . فكان في حذف جواب (لو) مايدل على المبالغة التي غابت من نفوس المنافقين وحرمو حلاوة الإيمان في القلوب، فالحذف في النص مظهر من مظاهر انتهاك التركيب لمنطق الترتيب في داخل الجملة. فضلا عن ذلك فقد ورد حذف جملة جواب (لو) في آيات قرآنية أخرى (7) .

(1) الكشف 518/3.

(2) ينظر: التفسير الكبير 9/28 ، مدارك التنزيل 350/3 ، التحرير والتنوير 19/26 .

(3) البلاغة العربية قراءة أخرى/331 وللاستزادة من حذف جملة جواب الشرط ، تنظر الآيات: النساء/63 ، الأنعام/35 ، الأنفال/17 ، 71 ، يونس/46 ، طه/7 ، الحج/42 ، المؤمنون/84 ، فصلت/52 ، الأحقاف/35 ، الحجرات/17.

(4) التوبة/59.

(5) ينظر: الكشف 197/2 ، مجمع البيان 83/10 ، التفسير الكبير 99/16 ، مدارك التنزيل 659/1 ، كتاب التسهيل 78/2 ، البحر المحيط 56/5 ، إرشاد العقل السليم 418/2 ، محاسن التأويل 3178/8 ، التحرير والتنوير 233/10.

(6) ينظر :قاموس قرآني/102 ، الإعجاز اللغوي، القصة القرآنية/317 ، روائع الإعجاز في القصص القرآني /323 ، النظم القرآني في تفسير القرطبي ، دراسة أسلوبية / 49.

(7) تنظر الآيات : الأنعام/27 ، 93 ، فصلت/44 بالدلالة نفسها.

✽ الحذف والذكر بين آية قرآنية وأخرى

قال تعالى ﴿ ذَلِك بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (1) . وقال أيضاً ﴿ ذَلِك بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (2) فالتعبير القرآني في الآيتين يكاد يكون النسق في بنية واحدة إلا انه يشتمل على تباين في جانب آخر ، فالتشابه يتمثل في اشتغال الآيتين على حذف المضاف والتقدير : شاقوا أولياء الله (3) أما الاختلاف فهناك ذكر وحذف بين الآيتين ففي الآية الأولى (الأنفال) ذكر لفظ الجلالة ومعه ذكر سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - في سياق الحديث عن العرب وبالأخص أهل مكة . أما الآية الثانية (الحشر) فقد اقتصر التعبير الكريم على ذكر لفظ الجلالة فقط (ومن يشاق الله فان) وذلك في سياق الحديث عن اليهود وبالتحديد عن بني النضير : والجواب عن هذا الذكر والحذف أن عداوة أهل مكة للإسلام كانت عداوة مزدوجة للدين وللرسول محمد - ﷺ - بسبب الحزازات والنعرات والعصبية القبلية فأنكروا الدين وانكروا مجيء الرسول محمد - ﷺ - فورد في الآية الأولى ذكر الله ورسوله أما الآية الثانية فحذف منها لفظ الرسول ؛ لأنها في اليهود الذين كانت عداوتهم للدين فقط بغض النظر إن كان النبي هاشمي أم غير هاشمي قرشي أم غير قرشي ولذلك حذف لفظ الرسول من الآية الثانية لداع استدعى هذا الحذف. ولهذا فللحذف والذكر في القرآن الكريم دواعيه ومقتضياته (4) . وقال تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ... ﴾ (5) وقال أيضاً ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ... ﴾ (6) فقال في الآية الأولى (من أنفسهم) وفي الثانية (منهم) ولهذا التباين في الاستعمال دلالة فعندما ذكر المؤمنين في

(1) الأنفال / 13.

(2) الحشر / 4.

(3) ينظر : التفسير الكبير 15 / 136 ، البحر المحيط 4 / 471 - 472.

(4) ينظر : إعجاز القرآن الكريم / 213-214.

(5) آل عمران / 164.

(6) الجمعة / 2.

الآية الأولى تحرى التعبير التخصيص في تقريب المنزلة والشرف للمؤمنين إزاء رسول الله - ﷺ - وهذا مما يؤكد صلة القرابة وثيقة بين الرسول والمؤمنين أما الآية الثانية فاشتملت على قوله (منهم) ؛ لأن لفظة الأميين تتناول قريش وغيرهم من العرب فناسبها قوله (منهم) ولتنفيذ عموم الأميين من العرب ممن أسلم وممن لم يسلم. فعندما خصص في الآية الأولى قال (من أنفسهم) أما عندما عمم . فحين ذلك قال (منهم) ⁽¹⁾ . وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ⁽²⁾ وقال أيضاً ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ⁽³⁾ فالتعبير القرآني في الآية الأولى قد زاد فيها قوله (واحذروا) وقوله (فاعلموا) في حين افتقرت الآية الثانية لمثل هذه الزيادة، ولدلالة هذا الحذف والذكر أن الآية الأولى (المائدة) قد سبقها أمر باجتناب الخمر والمحرمات وما تجره عليهم هذه المحرمات من شرور وآثام فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... المائدة 90-91) فجاء ذكر (واحذروا) لزيادة تأكيد التحذير . أما إذا نظرنا إلى الآية الثانية (التغابن) فلم نلمس قبلها مثل هذا التأكيد بل افتقرت الآية التي قبلها لمثل هذا التحذير الذي رأيناه في الأولى ويقول تعالى في آية التغابن (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... التغابن 11) وهكذا رأينا أن الآية الثانية يختلف سياقها عن الآية الأولى في علاقتها مع الآية السابقة لها ⁽⁴⁾ . ولهذا فللذكر مكانه المناسب وللحذف أيضاً موقعه الخاص.

4- الفصل والوصل

استأثر موضوع الفصل والوصل بعناية واضحة من البلاغيين العرب بوصفه يؤسس انسجاماً غريباً بين أجزاء الكلام، ولكونه " من مباحث المعاني المتميزة بإمكاناتها الأسلوبية؛ لأنه يعتمد الأدوات الرابطة المسماة حروف المعاني التي عدل بها البلاغيون عما تؤديه من وظيفة نحوية إلى أمور وراء ذلك من حيث قدرتها على الربط بين الجمل

(1) التعبير القرآني /166، وينظر: ملاك التأويل /1 323 .

(2) المائدة/92.

(3) التغابن/12.

(4) ينظر: ملاك التأويل /1 406 - 407 ، التعبير القرآني / 102 .

والمفردات" (1) فالفصل ترك عطف بعض الجمل على بعض أما الوصل فعطف بعضها على بعض" (2) . وقد رأينا مصطلح الفصل والوصل يتردد في دراسات الأسلوبين المحدثين فقالوا عنه " فالفصل عندهم حذف الربط، والوصل عندهم قران" (3). ولعل أقدم إشارة لهذا المبحث وردت لدى الجاحظ وهو ينقل تعريف الفارسي للبلاغة فقال عنها " معرفة الفصل من الوصل" (4) بيد أن الدكتور عبد الفتاح لاشين يرى أن الجاحظ كان متبوعا بإشارة من القاضي عبد الجبار وقد عدها بداية طيبة ولمحة علمية فضلا عن كونها مقدمة لظهور هذا الفصل العظيم من البلاغة فيما بعد لدى عبد القاهر الجرجاني (5) ، لأن عبارة الجاحظ كانت مختصة ببلاغة الكلام من غير أن يوضح السمات الأسلوبية لهذا النوع من الاستعمال. وقد حدد البلاغيون القدامى للفصل مواضع خمسة هي : (كمال الاتصال) و (كمال الانقطاع) و (شبه كمال الاتصال) و (شبه كمال الانقطاع) و (التوسط بين الكمالين) . أما مواضع الوصل فهي ثلاثة : الأول : كمال الانقطاع مع الإيهام والثاني: أن تكون الجملتان متقنين خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى

والثالث: أن تكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقد أشرك الثانية لها في الحكم الإعرابي (6) .

وقد تحفظ قسم من الباحثين المحدثين في قبول هذه التقسيمات ورأوا "أن في تقسيمات البلاغيين للفصل والوصل غمط لحق النص كذلك ولا الى طبيعة الأسلوب

(1) البلاغة والأسلوبية/ محمد عبد المطلب /211.

(2) ينظر: كتاب دلائل الإعجاز/222 ، التلخيص في علوم البلاغة /175 ، معجم المصطلحات

البلاغية وتطورها / 3/118.

(3) بنية اللغة الشعرية /158.

(4) البيان والتبيين 1/88.

(5) ينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /217.

(6) ينظر: الإيضاح/87.

ودوافع المتكلم ولا الى خصائص السياق والترابط النفسي والتذوق العاطفي بل تكون النظرة جزئية" (1) .

والملاحظ على دراسة البلاغيين لمبحث الفصل والوصل أن اهتمامهم انصب على عطف الجمل وليس الى عطف المفردات" (2) .

والسبب في ذلك أنهم اعتمدوا دراسة الجمل على وفق نظرية النظم ومدى ترابط الجملة والتراكيب فيما بينها ويأتي مبحث الفصل ليحقق هذا المسعى في حين المفردات عبارة عن تكرار تراكمي لا يحدث مغزى النظم وتأتي معانيه من خلاله.

(1) بلاغة الكلمة والجملة والجمل / منير سلطان / 263 وقد تعرض رأي الدكتور منير سلطان هذا الى الرد من الباحثين أيضاً وحجتهم في ذلك " انه لم يطرح البديل مما يجعل الافادة من كلامه قليلة " السور المدنية دراسة بلاغية وأسلوبية/166.

(2) بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ، عفت الشرقاوي /96.

✻ الإجراء التطبيقي للفصل:

وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ...﴾⁽¹⁾ .

فالآية تنهض على دعامة مهمة هي قوله تعالى (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ) وقد فصلت عن الجملة التي قبلها لشبه كمال الاتصال وذلك ؛ لأنها جاءت جواب عن سؤال مقدر هو : كيف تقسم الأنفال، فعبّر النص القرآني يقول ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾⁽²⁾ .

وقال تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾⁽³⁾.

ولو حاولنا أن نبحث عن المنبه الأسلوبية في الآيات الكريمة لطالعنا قوله (يجادلونك) وقد فصلت عن الجملة التي قبلها ولهذا الفصل سر بلاغي يدعى شبه كمال الاتصال ، وكان أحدهم سأل فقال : مامظاهر كراهة هذا الفريق ؟ فقل : يجادلونك أي إنها وقعت جوابا عن سؤال⁽⁴⁾ .

(1) الأنفال/ 1 .

(2) ينظر: مع بلاغة القرآن/30.

(3) الأنفال /5-6.

(4) ينظر : مع بلاغة القرآن /44.

وقال تعالى ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾.

والملمح الأسلوبي في هذا التعبير مجيء قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وقد أفاد معنى "تقوية الحكم وهو هنا حكم كنائي؛ لأن المقصود لازم وصف السميع العليم وهو مؤاخذه من تصدر منهم أقوال وأعمال في أذى النبي ﷺ - والكيد له ممن أمر بأن يدفع سيئاتهم بالتي هي أحسن" (2).

وهكذا وجدنا الفصل قد أدى خصيصة أسلوبية جمالية في توضيح المعنى وتأكيده.

❖ الإجراء التطبيقي للوصل

يتم الوصل بين المفردات والجمال عن طريق العطف بالواو ، ومن الآيات التي اشتملت على الوصل قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

(1) فصلت/36.

(2) التحرير والتنوير 297/24 وللاستزادة من نماذج الفصل ، تنظر: البينة /2.

(3) البقرة/189.

فالخصيصة الأسلوبية للآية تتأتى من الوصل فيها وعن هذا الوصل يقول الزمخشري " فان قلت : ماوجه اتصاله بما قيل؟ قلت : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهله وعن الحكمة في نقصانها وتامامها معلوم" (1) .

فضلا عن ذلك فاعتماد هذا المستوى العميق كان وسيلة العلوي في أثناء تحليلاته التي اقتربت بشيء أو بآخر من الخطاب القرآني وقد واجهته طائفة من الآيات اعتمدت (الوصل) على الرغم من وجود الانفصال الدلالي بين تراكيبها ومنها هذه الآية المذكورة آنفاً (2) .

فالآية الكريمة تتأسس بنيتها على الوصل بين أجزائها ليزيدها نظاما من التماسك النصي. يربط مفاصلها جميعا.

وقال تعالى : ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (3) .

يتجلى في التعبير القرآني - هذا - "إجمال الوصل من خلال التقابل ولو أخذنا وصف الله تعالى لتخلف المنافقين وقت الجهاد لاتضح روعة الوصل بالواو وربطها بين المتضادات لاعطاء صورة شاملة عما تصف " (4) .

(1) الكشف 341/1.

(2) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى 316.

(3) التوبة/81.

(4) السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية 172.

كما أن استحضر الوصل بالواو قد جمع "بين فرح المخلفين بعودهم وبين كرههم للجهاد وفي أنواع الجهاد برزت أيضاً بين الجهاد بالأموال والجهاد بالأنفس وجمعت التقابل التام بين الضحك القليل والبكاء الكثير" (1) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (2) .

تتألف هذه الآية من وصل يتم عبر عطف جملة على جملة قبلها هذا الوصل يعمل على تماسك النص ومرونته في الوقت نفسه فقد عطف جملة (ولاتكن للخائنين خصيماً) على الجملة ما قبلها، ولهذا العطف دلالة أي "ولاتتھاون بتحرير الحق اغترارا بلحن الخائنين وقوة صلابتهم في الخصومة لئلا تكون خصما لهم وتقع في ورطة الدفاع عنهم وهذا الخطاب ليس خاصاً بالنبی ﷺ - بل هو عام لكل من يحكم بين الناس بما انزل الله كما أمر الله " (3) .

وقال تعالى ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ (4) .

فالنص يؤسس بنيته على عطف جملة (وادع الى ربك) على جملة (فلا ينازعك في الأمر) وهو " عطف على انتهاء المنازعة في الدين أمر بالدوام على الدعوة وعدم الاكتفاء بظهور الحجة ؛ لأن المكابرة تجافي الاقتناع، ولأن في الدوام على الدعوة فوائد للناس أجمعين" (5) .

(1) نفسه / الصحيفة نفسها.

(2) النساء/105.

(3) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدة 270/5 وينظر : إرشاد العقل السليم 581/1 .

(4) الحج /67.

(5) التحرير والتنوير 329/17.

فالتعبير حمل في طياته عطف جملة على جملة وقد أفاد معنى التجدد فزاد الوصل حسنا وجمالا لأن السياق كان زاخراً بالمعاني المتجددة .

كما يلاحظ على النص القرآني حذف حروف العطف عن قسم من الآيات وله دلالاته المهمة من ذلك قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينْنَ لِّعِبَادَتِ سُبْحَتٍ تُبَيِّنُ وَأَنْبَارًا ﴾ (1) .

فحذف التعبير القرآني واو العطف من الكلمات (مؤمنات، قانتات، تائبات، عابدات، سائحات) وله دلالاته وهو الإرشاد الى مناط الخيرية ؛ لأن الرسول محمد - ﷺ - عندما يطلق احداهن تفقد ماكان لها من فضيلة وتميز، كما أن الرسول - ﷺ - لايتزوج امرأة الا من تجتمع فيها جميع هذه الفضائل والصفات المحمودة وهي الإسلام والإيمان والطاعة لله والتوبة والعبادة والصوم، وهكذا عمل الوصل من غير حرف العطف على التعبير عن معنى التوحيد بين الصفات في أزواج الرسول - ﷺ - (2) .

(1) التحريم/5.

(2) ينظر: البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين/162.

إنّ النصّ القرآني كان يشتمل على آيات قرآنية يظهر فيها الوصل بشكل كبير وقد قمنا بأخذ نماذج منها للتحليل انتقيناها أساساً ؛ لأنها تحمل خصائص وسمات أسلوبية واضحة فضلاً عن الآيات الأخرى ⁽¹⁾ التي لم يتسن لنا الوقوف عندها.

5- التعريف والتذكير :

يمثل التعريف والتذكير ملمحاً مهماً في البناء التركيبي للجملة ولاهميته ومكانته فقد مثل ظاهرة أسلوبية ذات قيمة تعبيرية متنوعة بفضل المعاني التي يخرج إليها والتي ترتبط ارتباطاً واضحاً بالسياق وما يتطلبه السياق من إيراد المعرفة والنكرة. إنّ استثمار طاقات

(1) تنظر : الآيات ، البقرة/217 ، 285، آل عمران /86 ، النساء/100، المائدة/33، 43 ، 67، 91-92، الأنفال/27، 64، الفرقان/10، الأنعام/14، 19، 55، الأعراف/33، التوبة/3، 52، 91، 105، الأحزاب /7 ، فصلت /53، الزخرف/88، بالدلالة نفسها.

اللغة الياحائية التعبيرية تتطلب تنوعاً عالياً بالأداء اللغوي المرتبط بها ويعمل التعريف والتذكير على إبراز هذه الخصيصة الأسلوبية وإثراء معين للدلالة. وهكذا نرى أن المعرفة هو مادل على شيء بعينه أما النكرة مادل على شيء لابعينه ⁽¹⁾. لقد توزعت انشالات هذه الظاهرة الأسلوبية بين كتب النحاة بيد أنك لاتجد هذه الظاهرة مقتصرة في باب واحد هو التعريف والتذكير بل بالعكس توزعت على عدد من الابواب النحوية المختلفة مثل أبواب المبتدأ والخبر والنواسخ والفاعل ونائبه ... الخ ⁽²⁾ وقد أدى تشعب هذا الموضوع وتداخله الى خلق مشكل لدى النحاة العرب في وضع حد معين ودقيق لكليهما ⁽³⁾. وربما نجد أن سياقات التعريف وطرقه " تتكاثر الى الحد الذي تتضوي فيه كل صور المعرفة للمسند إليه أو للمسند تحت نظام المعنى الذي يمتلكه المتكلم ، وليس المقصود هنا المعنى المعجمي ، وانما المعنى المفاد من طبيعة الصياغة وخواص التركيب " ⁽⁴⁾. إن بنية الجملة لا بد أن تتأثر ببعض العوارض التي تزيد من رصانة هذه الجملة وتمنحها دفقاً وثراءً واضحين ومن ذلك تأتي ظاهرة التعريف والتذكير لتؤدي هذه الغرض، فرصد ظواهر التحول في العبارة من خلال معرفة الأصل والفرع كلها من القضايا التي انطوى عليه موضوع التعريف والتذكير، وإن دراسة العلاقة القائمة بين المسند والمسند اليه هي في صميم دراسة هذا الملحظ الأسلوبي، وتأثيره في بناء التركيب النحوي القواعدي، واستثمار طاقات اللغة التعبيرية في صياغة الكلام. وسنرصد بهذا الصدد طبيعة الانتقال الدلالي في الألفاظ في قضية التعريف والتذكير وسنبين الجوانب الجمالية التي اشتملت عليها .

(1) ينظر : التبيان في علم البيان / 50 ؛ كتاب الطراز 11/2.

(2) ينظر : التعريف والتذكير بين الدلالة والشكل ، محمود أحمد نحلة / 16.

(3) ينظر : نفسه ، الصحيفة نفسها.

(4) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب / 260.

التعريف :

تفرد القرآن الكريم وباقتدار عالٍ الى استعمال " ألوان المعارف في مواضعها الدقيقة الجديرة بها لأسرار بلاغية ولطائف أدبية تكسب المعنى قوة وحسن بيان " (1) ، ويتم التعريف عادة بقرينة يتطلبها السياق فضلاً عن أنّ " التعيين قد يكون بنفس اللفظ دون حاجة الى قرينة وذلك كالتعريف بالعملية وقد تكون بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كتعريف بالضمائر وقد يكون بقرينة حسية كتعريفه بالاسماء الموصولة وقد يكون بحرف وهو المعرف بال أو باضافة معنوية وهو الاضافة الى واحدة مما ذكر ولكل من هذه الصور مقتضيات تستدعيها" (2) وسنشرع في تحليل صور التعريف ونبتدأها بالضمير :

أ - **الضمير** : تعرض النص القرآني لعدة أشكال عدة من الضمائر وذلك لاشتمالها على سمات وخصائص تعبيرية مهمة، فالقيمة الأسلوبية للضمير تتأني بوصفه "يجمع بين الاختصار الشديد والارتباط المتين بين جمل الآية بعضها وبعض" (3) ، أما استعماله ضمير المخاطب فيأتي به مخاطباً جميع من يقدر على الخطاب معه ولاسيما إذا كان الأمر شديد الغرابة والفظاعة (4) . أما استعمال ضمير الغيبة في القرآن الكريم فإذا كان مرجع هذا الضمير مفرد اللفظ جمع المعنى يراعي الأسلوب القرآني اللفظ أولاً والمعنى ثانياً عندما تكون الضمائر متعددة مراعيّاً جمال السياق الذي وردت فيه (5) . ونجد صدى ذلك واضحاً في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾ (6) فالخصيصة الأسلوبية للضمير في كلمة (قلوبهم) راجع الى (من) وجمعه بناء على معناها في حين افراد الضمير (يستمع) بالنظر الى لفظها (7) .

(1) من أسرار البلاغة في القرآن /93.

(2) المعاني في ضوء أساليب القرآن /236، وينظر : البناء اللفظي في لزوميات المعري /229.

(3) من أسرار البلاغة في القرآن /93.

(4) ينظر : نفسه : الصحيفة نفسها.

(5) ينظر : نفسه / 96.

(6) الأنعام / 25.

(7) ينظر : إرشاد العقل السليم 135/2 ؛ من أسرار البلاغة في القرآن /96.

وفي قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ⁽¹⁾ . نلمس الخصيصة والقيمة التعبيرية للضمير في كون النص القرآني يخاطب إنساناً أمامه ⁽²⁾ وهو مقام خطابه للنبي الكريم محمد - ﷺ - ، فالضمير للمخاطب المعروف من السياق أعطى للضمير أثراً فاعلاً في بنية الآية وإيحائها. أما قوله تعالى ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ⁽³⁾ ، ففي الآية الكريمة " تعود الضمائر كلها الى الله بهذا السر " ⁽⁴⁾ فالضمير المتصل بالكلمات عاد على لفظ الجلالة فهناك بنية حضور لمسناها من خلال الضمير وهنالك بنية عميقة تتمثل في ذكر الباري - عَزَّوَجَلَّ - وكل هذه الملامح الأسلوبية قد أمدنا بها التعريف بالضمير.

ب - الاسم الموصول :

قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ ⁽⁵⁾ إِنَّ الصياغة القرآنية للنص الكريم تشكل على أساس العلاقة القائمة بين الرسول والذين يخوضون في الآيات ، وفي " تعريف هؤلاء بالموصولية دون أن يقال الخائضين ، أو قوماً خائضين ؛ لأن الموصول فيه إيماء الى وجه الأمر بالاعراض ؛ لأنه أمر غريب، إذ شأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يمارس الناس لغرض دعوة الدين، فأمر الله إياه بالاعراض عن فريق منهم يحتاج الى توجيه واستئناس وذلك بالتعليل الذي أفاده الموصول وصلته ، أي فاعرض عنهم ؛ لأنهم يخوضون في آياتنا " ⁽⁶⁾ فالتعبير القرآني عدل عن استعمال الموصول (من) الى

(1) الضحى / 9.

(2) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن / 237.

(3) الفتح/9.

(4) من بلاغة القرآن / 131-132 ، ومن الجدير بالذكر ان هذا الاقتباس قد نقله الدكتور محمود السيد شيخون من غير اشارة الى مصدره ومؤلفه الأصلي. ينظر: من أسرار البلاغة في القرآن / 95.

(5) الأنعام / 68.

(6) التحرير والتنوير 288/7 .

(الَّذِينَ) لافادة غايات تعبيرية أسلوبية يتطلبها التعليل وإيراد السبب ولو استعمل النص الكريم غير لفظة (الذين) لما أدى سياق الآية المعنى الذي توخاه مغزى الأمر والحادثة. وهكذا نلاحظ المنبه الأسلوبي في استعمال التعريف بالموصول واضحاً بيناً. وقال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى...﴾ (1) . ينبنى النص بناء منسجماً بإيراده التعريف بالموصول (الذي) وهو أبو جهل و(عبدًا) وهو الرسول محمد - ﷺ - ؛ لأن أبا جهل قال إن رأيت محمداً يلي لأطان عنقه، فكان نزول هذه الآية تعريضاً وتحقيراً لأبي جهل وتعجباً منه (2) . فالنص الكريم أعرض " عن ذكره باسمه وأثر التعبير عنه بالموصول تعريضاً وتحقيراً من شأنه " (3) وإنما أثر النص استعمال (الذي) على (من) لإرادة معنى التخصيص للحكم . فالتعريف بالموصول انتقل من السياق العام الى تفريع معين لزيادة التخصيص.

ج - اسم الإشارة :

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّمْهُمْ أَتَاهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (4) . فالصيغة القرآنية عبرت باسم الإشارة (ذلك) عما تقدم من القصص والخبار السالفة كما يرى طائفة من المفسرين (5) فالملح الأسلوبي تمثل بالتعبير باسم الإشارة " للبعد تنبيهاً على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل " (6) لقصد تعظيم الاخبار والقصص السالفة ومن اجل اعتبار الرسول محمد - ﷺ - بها فجاء التعريف باسم الإشارة ليؤدي هذا المعنى . وقال تعالى

(1) العلق /9.

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي 124/20.

(3) دراسات قرآنية في جزء عم / 160 ؛ وللاستزادة من التعريف بالموصول تنظر الآيات : الأنعام/159، التوبة/1، الفرقان/1، الجاثية/14 بالدلالة نفسها.

(4) آل عمران /44.

(5) ينظر : التفسير الكبير 48/8 ، مدارك التنزيل 215/1 ، كتاب التسهيل 107/1 ، إرشاد

العقل السليم 360/1، محاسن التأويل 842/4 .

(6) من أسرار البلاغة في القرآن / 98.

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ لَيُكَلِّمُنَّهُمْ عَنْهُمْ كَلِمَ بَعْضٍ لَّيْسَ بِتَقْوَىٰ ۚ وَكَانَ إِلَهُكُمُ إِلَهُهُمْ ۖ هَٰذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ الْإِنسَانَ...﴾ (1) ، وقال أيضاً ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ مِنْهُمْ لَيُكَلِّمُنَّهُمْ عَنْهُمْ كَلِمَ بَعْضٍ لَّيْسَ بِتَقْوَىٰ ۚ وَكَانَ إِلَهُكُمُ إِلَهُهُمْ ۖ هَٰذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ الْإِنسَانَ...﴾ (2) . وقد تمثل الدكتور أحمد بدوي بالآيات المذكورة آنفاً وعلق عليها قائلاً " وكأن في اسم الإشارة للقريب ما يشير إلى أن هذا الشخص القريب منا والذي نعلم من أموره ما نعلم لا تقبل منه دعوى الرسالة ولا يليق به أن يذكر آلهتنا بسوء " (3) . فالتعريف باسم الإشارة الدال على القرب منح التعبير قيمة أسلوبية تعبيرية إيحائية تمثلت في دلالة القرب ما بين الرسول - ﷺ - وهؤلاء فكانت الاداة تعبر عن هذا الأمر بشكل واضح . وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (4) بالمتفحص للصياغة القرآنية في الآية يطالعها استعمال اسم الإشارة (هذا) في قوله (هذا القرآن) وأفاد دلالة التعظيم وأن مثل هذا القرآن لا يصح أن يكون مهجوراً بل هو جدير بالاقبال عليه والتدبر والانتفاع به على مر الأزمنة (5) . وهكذا عدل النص القرآني إلى استعمال (هذا) بدلا من أسماء الإشارة الأخرى لتفيد معنى التعظيم والتخصيص لهذا القرآن .

د - الإضافة :

قال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... ﴾ (6) ، ومن خلال التأمل في بنية الآية نلمس التعبير بقوله (عبدنا) (عبدنا) إضافة العبد إلى ضمير الجلالة لتشريف النبي - ﷺ - ورفع مقامه الشريف والتنويه والتنبيه بفضلته (7) فالعبد هو الرسول

(1) الأنبياء/36.

(2) الفرقان/41.

(3) من بلاغة القرآن/135؛ وينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن/144 ؛ من أسرار البلاغة في القرآن / 96-97.

(4) الفرقان/30.

(5) ينظر : التحرير والتنوير 17/19 وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها التعريف باسم الإشارة تنظر الآيات: النساء/41 ، الأنعام/90، 151، الإسراء/20، الأحزاب/59، الشورى/10 بالدلالة نفسها.

(6) البقرة/23.

(7) ينظر: أنوار التنزيل 38/1 ، إرشاد العقل السليم 78/1 ، في ظلال القرآن 53/1.

محمد - ﷺ - فالإضافة أعطت هذا الملحظ الأسلوبى لتكريم المضاف إليه وتخصيصه ومنحت النص إحياءات فنية جميلة زادت من تماسكه وانمائه. وقال تعالى ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... ﴾ (1). فقد عدل التعبير باستعمال التعريف بالإضافة بدلا من المعرف بـ (ال) ليس فيه بغيته ولا غايته، فتعظيم شأن أموالهم أمر يمكن لهم أن يعتذروا به وليس من نوع تعريف يثبت نسبة الاموال اليهم بحق مثل المعرف بالاضافة (2). وهكذا نلاحظ أن التعريف بالإضافة منح النص تميزا على مستوى الدلالة وأنجز مقوماً أسلوبياً مهماً في تعبيره مانحاً السياق ترابطاً واضحاً بين أجزائه. وقال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (3)، إن رصد الخصيصة الأسلوبية في هذه الآية تتمثل في أنه " عدل عن استحضار الجلالة بالاسم العلم الى تعريفه بالإضافة وبوصفه الرب لإفادة لطفه تعالى برسوله - ﷺ - ؛ لأن ربه فهو يربه ويدبر نفعه ولتفيد الإضافة تشريف المضاف إليه " (4) فقد تفاعل استعمال التعريف بالإضافة من أجل تعظيم الرسول ورفع قدره وقد تأتى هذا الإحياء التعبيري بفضل استحضار الإضافة في النص الكريم . وقريب من هذا المعنى أيضاً قوله تعالى ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (5) فالنص عدل إلى استعمال الإضافة في قوله (رَبِّكَ) لتشريف الرسول - ﷺ - وتعظيمه (6) وقال تعالى ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (7) ولو حاولنا أن نبحث عن التعريف بالإضافة لوجدناه في قوله (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) فالتعبير الكريم " لم يقل ونوره الذي أنزلنا بطريق الإضافة مع أن النور ههنا هو القرآن والقرآن كلامه ومضاف إليه ؟

(1) الفتح / 11.

(2) التفسير الكبير 88/28.

(3) الطور/ 29.

(4) التحرير والتنوير 59/27.

(5) القلم/ 2.

(6) ينظر: إرشاد العقل السليم 752/5 ، التعبير الفني في القرآن الكريم / 277.

(7) التغابن/ 8.

نقول الألف واللام في النور بمعنى الإضافة كأنه قال ورسوله ونوره الذي أنزلنا" (1) فقد خص النص بالإضافة بدلاً من المعرفة بالزيادة التخصيص. وربما وجدنا آية قرآنية يتكرر فيها التعريف بأكثر من صورة من ذلك قوله تعالى ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (2) ، فقد تألف التعبير من خصائص وسمات أسلوبية متعددة تمثلت في تكرار التعريف مرة (باسم الإشارة) والآخر (بالإضافة) فعبر باسم الإشارة (هذا) " الى حاضر في الذهن وهو دين الاسلام والمناسبة قوله (يشرح صدره للاسلام) والصراط حقيقة الطريق، وهو هنا مستعار للعمل الموصل الى رضى الله تعالى . وإضافته الى الرب لتعظيم شأن المضاف، فيعلم أنه خبر صراط . وإضافة الرب الى ضمير الرسول تشريف للمضاف إليه ، وترضية للرسول - ﷺ - بما في السنن من بقاء يعطي الناس غير متبعين دينه " (3). فالنص اسس بنيته على التعريف بأكثر من صورة من أجل تكثيف المعنى وإبراز دلالة التعظيم لرسوله الكريم - ﷺ - .

هـ- المعرفة بالأداة (ال) : تتحدد قيمة التعريف بـ (ال) في ضوء الفهم العام للسياق ودلالاته التعبيرية وماتوحي به ، ولقد كانت " عناية العرب الفائقة باداة (ال) ووضعية الاسماء المتصلة بها درسا وتحليلاً تدل بجلاء على سيطرة النحاة السيطرة المحكمة على جوانب القضية المتشعبة وانسحاب أحكامهم في التعريف والتكثير على مختلف الاستعمالات في العربية" (4) . وقد أجمع " جمهور النحاة على ان التعريف بالألف واللام نوعان : تعريف عهد، وتعريف جنس وكل منهما ثلاثة أنواع" (5) . وسنشرع في الحديث عن كليهما لإبراز الملامح الأسلوبية التي انطوى عليها استعمال كل منهما وسنبداً (بال العهد).

(1) التفسير الكبير 25/30 وللاستزادة من النماذج التي حوت التعريف بالاضافة تنظر الآيات:

البقرة/186 ، الأنعام/117 ، 161، الأعراف/153 ، 163 ، الكهف/24، طه/131، الأنبياء/112، الأحزاب/21، الزمر/53، الجن/19 ، الفجر/6 بالدلالة نفسها.

(2) الأنعام/126.

(3) التحرير والتنوير 62/8 .

(4) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ 378.

(5) التعريف والتكثير بين الدلالة والشكل / 118.

1 - **ال العهد** : فالملاحظ على استعمال (ال) العهد أنها في الغالب تأتي في سياق الحديث على طائفة من الناس لهم تصور ذهني معهود سابقا في الأمر الذي تأتي فيه ال العهد قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ...﴾⁽¹⁾ وتتجلى معالم التعريف بـ (ال) العهد في قوله (الرسول) وهو تعريف أفاد المعهود بين ظهرانيهم⁽²⁾ . فالرسول محمد - ﷺ - معلوم في أذهان الناس قبل أن تنزل الآية الكريمة ، فالقيمة الأسلوبية لـ (ال) التعريف أنها عرفت بالرسول وأشارت إليه بشكل دقيق وواضح. وقال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾⁽³⁾ فالنص الكريم حمل في طياته التعريف " في (القتال) للعهد، وهو القتال الذي يعرفونه، أعني : قتال أعداء الدين"⁽⁴⁾ وهكذا تبين المسلك الأسلوبي لهذا الاستعمال وما دللت عليه الاداة (ال) من احياء جمالي. وقال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ...﴾⁽⁵⁾ فنجد مكانم الثراء الأسلوبي في التعريف لكلمة (الغار) وافادتها معنى العهد والغار يعلمه المخاطبون الذي اختبأ به الرسول محمد - ﷺ - وسيدنا أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -⁽⁶⁾ . وقال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ...﴾⁽⁷⁾ فالتعبير القرآني اشتمل على كلمة (الشجرة) وهي " معلومة للمسلمين وإن لم يكن جرى لها ذكر في اللفظ "⁽⁸⁾ فالخصيصة الأسلوبية تتأتى من تعريف (ال) الذي

(1) النساء / 170.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 49/6.

(3) الأنفال / 65.

(4) التحرير والتنوير 66/10 .

(5) التوبة / 40.

(6) ينظر : البرهان ، الزركشي 88/4 ، الإتيان 478/1 ، التحرير والتنوير 203/10 ، معاني

النحو / 114/1 .

(7) الفتح / 18.

(8) معاني النحو 114/1 .

أفاد العهد. وقال تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ (1) فالناظر الى الآية يرى أن " اللام في الفؤاد للعهد ؛ لأن المراد هو فؤاد الرسول ﷺ - كأنه قال لا ينبغي لمثل ذلك الفؤاد أن يكذب ذلك الأمر ، ولا يصلح في مثل ذلك الأمر أن تقع فيه الممارسة بحال " (2) وهكذا عمل الملمح الأسلوبي في التعبير على إبراز خصائص تعبيرية إيحائية .

2- آل الجنس : قال تعالى ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِّينَ ﴾ (3) ، ومن أخص ما يستوجب النظر في هذه الآية التعريف في كلمة (الحق) وهو " تعريف الجنس كما في قوله (الحمد لله) وقولهم الكرم في العرب هذا التعريف لجزئي الجملة الظاهر والمقدر يفيد قصر الحقيقة على الذي يكتمنونه وهو قصر قلب أي لا ما يظهره من التكذيب وإظهار أن ذلك مخالف للحق" (4) فالسمة الأسلوبية لـ (ال التعريف) اختصار صفة الحق لله وحده لقصد المبالغة. وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (5) فالآية تألفت من بنية تركيبية تنهض على استعمال التعريف بـ (ال) في لفظة (العذاب) وأفادت معنى الجنس (6) فقد استغرقت هذه اللفظة معنى العموم أي إن العذاب سينال كل من يكذب الرسول في الماضي والحاضر والمستقبل. ولهذا كان العدول بـ (ال الجنس) ليحقق مغزى دلالي على العكس من (ال العهد) . وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (7) . فالاستكشاف الدقيق والنفوذ العميق لمعنى الآية يظهر لنا

(1) النجم /10-11.

(2) كتاب الطراز 80/2-81 وللاستزادة من النماذج التي ذكرت فيها (ال) العهد تنظر الآيات: البقرة/214 ، الأعراف/196 ، الأنفال/41 ، الإسراء/76 ، الأنبياء /45 ، الأحزاب/30 ، 37 ، الصافات/73 ، الملك/26 ، النازعات/42 ، الفيل/1 بالدلالة نفسها .

(3) البقرة/147.

(4) التحرير والتنوير 41/2.

(5) النحل /113.

(6) ينظر: التحرير والتنوير 308/14.

(7) الصف /9.

التعريف في كلمة (الدين) وهو " تعريف الجنس المفيد للاستغراق أي ليعلي هذا الدين الحق على جميع الأديان وينصر أهله على أهل الأديان الأخرى الذين يتعرضون لأهل الاسلام" ⁽¹⁾ فعملت الاداة (ال) على انماء النص وبعث الحيوية في دلالاته لتفتح أذهان المخاطب على فضاء رحب في تدبر هذا الدين وعظمته وخلوده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقال تعالى ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ⁽²⁾ ، ويمكن أن نلاحظ أن اختيار كلمة (السائل) وهو تعريف الجنس لتوضيح أبعاداً دلالية يضيفها السياق ، وتركيب الكلام، فالسمة الأسلوبية في تعريض (السائل) للجنس أنها للعموم أي يعم كل سائل عما يسأل الرسول محمد - ﷺ - عن مثله ⁽³⁾ . وانطلاقاً من هذا التصور فإن الملحظ الأسلوبية لهذا الاستعمال أن الرسول مأمور بأن لاينهر أي سائل، وفيها سمة التجدد بعدم نهر السائل لا في زمن الرسول ولا من بعده وكل ذلك تأتي عن طريق استعمال ال الجنس التي تفيد العموم.

التنكير : وربما يأتي التنكير لمعانٍ يخرج إليها منها : العموم والتعميم، أو التعظيم، أو التحقير والتقليل، أو النوع والجنس ، وسنعمل على إبراز هذه المعاني وسيكون مبتدأ حديثنا عن التعميم.

أ- **التعميم** : قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ ⁽⁴⁾ فنلمس التعبير يميل في قوله (قل قتال فيه كبير) الى تنكير لفظة (قتال) ودلالة هذا التنكير هو " تنبيه على أن القتال الذي يكون كبيراً ليس هو هذا القتال الذي سألتكم عنه بل هو قتال آخر؛ لأن هذا القتال كان الغرض به نصره الإسلام وإذلال الكفر فكيف يكون هذا من الكبائر، إنما القتال الكبير هو الذي يكون الغرض فيه هدم الإسلام وتقوية

(1) التحرير والتنوير 192/28.

(2) الضحى/10.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 402/30 وللاستزادة من النماذج التي وردت فيها (ال) التعريف لافادة الجنس تنظر الآيات: البقرة/150 ، الأنعام/56 ، 93 ، 135 ، الأعراف/199، يونس/31، 65 ، هود/49، الحجر/95 ، النور/62، الفرقان/6 ، العنكبوت/45 ، الشورى/13 ، بالدلالة نفسها.

(4) البقرة/217.

الكفر فكان اختيار التكرير في اللفظين لأجل هذه الدققة" (1) . وقد رأى المفسرون (2) أن تكرر لفظة (قتال) أفاد دلالة التعميم أي قتال مطلق لاقتال مخصوص. وقال تعالى ﴿... فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ (3) فالخصيصة الاسلوبية الجمالية للنص تتكون بفعل تكرر كلمة (شيء) وقد أفاد هذا التكرير معنى التعميم (4) . أي ان كل شيء في حياة المسلم لابد وان يرده الى الله ورسوله وفي كل زمان ومكان وقد تحقق هذا الأمر وتجلي بشكل واضح يدل على تفرد النص بسبب صيغة التكرير للكلمة (شيء) . وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ (5) فالنص اشتمل على قوله (أمة وسطاً) وقد جاءت النكرة لتعبر عن معنى التعميم؛ لأنه يتناول أهل كل عصر (6) فأعطى التعبير معنى إحيائيا جاء بسبب وجود عامل التكرير في اللفظة.

ب- **التعظيم** : قال تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...﴾ (7) فالنص تضمن تكرر لفظة (حياة) ولم تأت اللفظة معرفة أي (الحياة) ولهذا العدول أثره ودلالته، وقد اختلف العلماء والدارسون في توضيحه واستكناه خفاياه فهذا عبد القاهر الجرجاني يستوفقه التعبير ويقول عنه " إذا أنت راجعت نفسك وأذكييت حسك وجدت لهذا التكرير وأن قيل (على حياة) ولم يقل (على الحياة) حسنا وروعة ولطف موقع لا يغادر قدره، وتجدر عدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والأنس الى خلافهما، والسبب في ذلك ان المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص عليه الا الحي ، فاما

(1) التفسير الكبير 32/6-33 ، وينظر: محاسن التأويل 541/3، الرازي مفسراً/ 242-243.

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم 254/1 ، التحرير والتنوير 325/2.

(3) النساء/59.

(4) ينظر: التفسير الكبير 152/10 ، التحرير والتنوير 99/5.

(5) البقرة/143.

(6) التفسير الكبير 112/4 ، وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها التكرير لمعنى التعميم تنتظر

الآيات: الأنفال/58 ، التوبة/84 ، الفرقان/33 ، الزمر 43/ بالدلالة نفسها.

(7) البقرة/96.

العام للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها" (1) فنرى الجرجاني قد جعل " القيمة الأسلوبية للتكثير في هذا الموقع قيمة لها أثرها النفسي؛ لأن التكثير مبعث الارتياح وهذا لاتجده مع التعريف" (2) . والجدير بالنظر في هذا الملحظ الأسلوبي يجد أن المفسرين والعلماء والدارسين (3) يكاد يجمعون على أن الباري - وَجَّهٌ - أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة. وذهبت طائفة من العلماء والدارسين إلى القول ان التكثير افاد معنى التحقير والتصغير (4) . ومن هنا نرى التباين الذي غلف آراء العلماء وهو أمر طبيعي ؛ لأن النص القرآني وعلى مدار مراحل تاريخه منذ نزوله وحتى الآن يحتوي على قراءات متعددة في فهمه وتدبره وكشف إعجازه وبلاغته وهذا ما لمسناه لدى الالوسي الذي كان متأرجحاً في اعطاء رأي محدد في هذا الأمر فقال : " وتكثير (حياة) ؛ لأنه أريد بها فرد نوعي وهي الحياة المتطاولة فالتنوين للتعظيم ويجوز أن يكون للتحقير فان الحياة الحقيقية هي الآخروية (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) ويجوز أن يكون التكثير للإبهام بل قيل أنه الزوجة أي على حياة مبهمة غير معلومة المقدار" (5) ونحن بعد كل ما عرضناه يمكن أن نميز الملمح الأسلوبي في هذا التكثير ونقول بأنه لمعنى التحقير والاستهزاء والدليل الذي نسوغه أن الله سبحانه وصف الآخرة بأنها الحياة الحقيقية فقام بتعريفها في قوله تعالى (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) ، ونرى لفظة (الحيوان) جاء معرفة با(ال) وفي اللغة الحيوان مصدر (حيّ) وهي أكثر بلاغة وثراء في المعنى من كلمة (الحياة) ؛ لأنها على صيغة (فعلان) الدالة على المبالغة وتشير لفظة الحيوان

(1) كتاب دلائل الإعجاز /288، وينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ، محمد رجب البيومي / 216 .

(2) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري/181.

(3) ينظر: الكشف /1/298 ، التفسير الكبير /3/193 ، مدارك التنزيل /1/72، كتاب الطراز /2/13 ، البحر المحيط /1/313 ، البرهان ، الزركشي /3/224 ، إرشاد العقل السليم /1/159 ، محاسن التأويل /2/196.

(4) ينظر : في ظلال القرآن /1/122 ، التصوير الفني في القرآن /169 ، من بلاغة القرآن /128، معاني النحو /1/43 ، صفاء الكلمة /18/.

(5) روح المعاني /1/329.

بالحركة والنشاط وهي من متطلبات الحياة فوردت معرفة لأمر اقتضاه طبيعة السياق القرآني في الآية. وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ ﴾⁽¹⁾ فأوردت الصياغة القرآنية لفظة (رسول) نكرة والرسول هنا هو النبي محمد - ﷺ - فاعطى التكرير معنى التعظيم والعظيم للرسول الكريم ورفع من قدره الشريف⁽²⁾ . وقال تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾⁽³⁾ فالمنبه الأسلوبى ورد في لفظة (حرب) وهي نكرة مختلف في دلالتها بين فريقين من المفسرين والعلماء والدارسين، فالفريق الأول يرى أن التكرير أفاد معنى التعظيم والتعظيم⁽⁴⁾ . أما الفريق الآخر فيرى انها لمعنى لنوعية⁽⁵⁾ . وربما كان الوجه الثاني الأقرب الى الصواب والله أعلم. وقال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ...)⁽⁶⁾ فالقرآن الكريم يعدل الى استعمال لفظة (رسل) وهي نكرة أفادت معنى التعظيم أي رسل كثيرة أصحاب آيات عظيمة ولهذا جاءت دلالة التعظيم للتعبير عن هذا المغزى⁽⁷⁾ . فنرى بوضوح القيمة التعبيرية التي أوحى بها هذا التكرير وما اجلاه من معانٍ متجددة. وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾⁽⁸⁾ ، فالتعبير الكريم انبنى على تكرر لفظة (رحمة) واعطت دلالة التعظيم⁽⁹⁾. فرحمة الله

(1) البقرة / 101.

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم 162/1.

(3) البقرة/279.

(4) ينظر: الإتيان 607/1 ، إرشاد العقل السليم 310/1 ، التحرير والتنوير 94/3 ، من بلاغة القرآن / 129.

(5) ينظر: الكشف 401/1 ، مدارك التنزيل 185/1، النظم القرآني في كشف الزمخشري / 104 ، في البنية والدلالة / 158 ، علم المعاني ، درويش الجندي/ 94 ، الموسوعة القرآنية الميسرة 56/2.

(6) آل عمران / 184.

(7) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن / 248، خصائص التراكيب / 166.

(8) الأنبياء/ 107.

(9) ينظر: التحرير والتنوير 166/17 وللاستزادة من النماذج التي جاء فيها التكرير لمعنى التعظيم تنظر الآيات: البقرة/ 25 ، 151 ، الأنعام/ 34 ، التوبة/ 90، 99، النور/ 35 ، الفرقان/ 32، القصص/ 85، فاطر/ 4، ص/ 29، 41 ، الزمر/ 10، غافر/ 78، الشورى/ 52، الجاثية/ 14، الملك/ 28، العلق / 9 بالدلالة نفسها.

للعالمين كانت ارسال رسوله الكريم الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وهكذا جاء التكرير في الآية ليعبر عن المعنى الذي يتطلبه سياق الآية .

ج - **التحقير والتقليل** : قال تعالى ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ... ﴾ ⁽¹⁾ والاختيار الواعي الذي تمثل في مجيء لفظة (ليلاً) نكرة أفاد ملمحاً أسلوبياً وقد اتفق أكثر المفسرين والبلاغيين أن لفظة التكرير هذه أفادت تقليل مدة الإسرء وأنه أسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك ان التكرير فيه فدل على معنى البعضية ⁽²⁾ . من جهة أخرى فقد اختلف الطاهر بن عاشور عن هذا المنحى في تفسيره فقال " فتكرير (ليلاً) للتعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل (أسرى) وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمناً لذلك السرى العظيم فقام التكرير هنا مقام مايدل على التعظيم " ⁽³⁾ . وقال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ فالخصيصة الأسلوبية تلمح في النص الكريم في لفظة (من نهار) وقد اعطى هذا التكرير معنى التقليل من زمن النهار ⁽⁵⁾ . وهكذا منح هذا التكرير الآية بعداً جمالياً في سياق الآية وليعبر عن مغزى الأمر بشيء من التفرد والخصوصية.

د - **النوع / الجنس** : قال تعالى ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ... ﴾ ⁽⁶⁾ وقد رأينا أن التعبير مشتمل على تكرير لفظتي (ذكر) و(رجل) وقد

(1) الإسرء/1.

(2) ينظر:الكشاف 436/2 ، التفسير الكبير 146/20، مدارك التنزيل 235/2 ، كتاب التسهيل

166/2 ، البحر المحيط 5/6 ، الإقتان 608/1، إرشاد العقل السليم 307/3 ، روح المعاني

5-4/15 ، محاسن التأويل 3884/10 ، البلاغة تطور وتاريخ 246/ ، البلاغة العربية قراءة

أخرى / 233-234 .

(3) التحرير والتنوير 11/15 - 12 .

(4) الأحقاف / 35 .

(5) التحرير والتنوير 68/25 وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها التكرير للتحقير والتقليل : تنتظر

الآيات: المائدة/17، 42 ، بالدلالة نفسها.

(6) الأعراف/63.

أعطى هذا التكرير قيمة أسلوبية تعبيرية مهمة هي دلالته على النوعية ⁽¹⁾ . أي ليدل على الفردية في عبارتي (ذكر) و(رجل) . وهكذا وجدنا أن ذكر اللفظة نكرة جاء لموقف تعبري تطلبه السياق. وقال تعالى ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ⁽²⁾ فالتعبير الكريم جاء بلفظة (براءة) نكرة وأعطت دلالة النوعية ⁽³⁾ فالسمة الأسلوبية واضحة في تكرر هذه البراءة وتفردها على مثيلاتها ونوعها مقارنة بالانواع الاخرى . وقال تعالى ﴿... وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا...﴾ ⁽⁴⁾ فاللمح الأسلوبي يتمثل في لفظة (امرأة) وقد أعطى تكررهما معنى النوعية ⁽⁵⁾ . أي إنها امرأة ذات نوعية وتفرّد معين تختلف عن مثيلاتها. وخلاصة القول في التكرير ومعانيه ان معنى التعظيم جاء بشكل واسع جداً مقارنة بمعاني التعميم والتحقير والنوعية وهي في الغالب تعظيم لمقام رسوله الكريم ﷺ وتقدير واجلال له.

(1) ينظر : التحرير والتتوير 195/8 - 196 .

(2) التوبة / 1 .

(3) ينظر : التحرير والتتوير 103/10 .

(4) الأحزاب / 50 .

(5) ينظر: التحرير والتتوير 67/22 ، وللاستزادة من النماذج التي ورد فيها التكرير لمعنى النوعية

تنظر الآيات : آل عمران / 23 ، يونس / 107، مريم / 16 .

الفصل الثالث

المستوى الدلالي

المبحث الأول

بناء الجملة والسياق

أولاً : - اللف والنشر

يمكن أن نقول باطمئنان أن اللف والنشر من الأنماط المهمة التي تثري الصورة وتزيد من كثافتها الدلالية وذلك بفضل امكانياتها الهائلة في إثراء النص وجعله أكثر إفادة وتأثير ويعرّف السكاكي اللف والنشر قائلاً : " وهما أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلاً منهما الى ما هو له " (1) كما يعرفه ابن الزمكاني فيقول : " وهو أن تذكر شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد كل تفسير الى اللائق به " (2) ويعرفه القزويني بالقول : " وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده اليه " (3) كما عرفه الطيبي : " وهو أن تضم متعدياً ثم تتبعه مالكل واحد منه من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلاً منه إلى ما هو له " (4) ولم يخرج تعريف السيوطي عن هذا المعنى (5) . ويتحدث عن جذور اللف والنشر الدكتور عبد الفتاح لاشين فيقول : " وما جرى عليه الزمخشري سبقه فيه القاضي إلا أن الزمخشري كان صاحب فضل وسبق في تسمية هذا النوع (اللف) ومن ذاك الزمان والاسم على هذا النوع كما أطلقه الزمخشري " (6) . ونصل إلى المحدثين الذين وقفوا في دراسة اللف والنشر فيقول الدكتور عبد العزيز عتيق : " ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية " (7)

(1) مفتاح العلوم / 425 .

(2) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن / 313.

(3) الإيضاح / 202.

(4) التبيان في البيان / 329.

(5) ينظر : الإتيان 2/ 929، معترك الأقران 1/ 310.

(6) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار / 694.

(7) علم البديع / 167-168.

والملاحظ على تعريف السيد عتيق أنه لم يخرج عن تعريف القزويني المذكور آنفاً . وهو على ضربين هما : المرتب وهو أن يكون النشر على ترتيب اللف بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف والثاني والثاني وهكذا الى الآخر، وهذا الضرب هو الأكثر في اللف والنشر والأشهر (1).

وتأسيساً على ذلك فإن بنية اللف والنشر هي : " بنية تشكل ظاهرة أسلوبية في البنية اللغوية من خلال ما تفرزه من علاقات موضوعية أو معنوية بين مكونات طرفيها. ويبدو ... أن دراستها في الصياغة القرآنية ذات أهمية ، لأنها ظاهرة تكشف عن طبيعة تشكيل المفردات في النظم القرآني " (2) . ومن الآيات التي حملت معها بنية اللف والنشر قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (3) ففي حديثه عن هذه الآية سمى الطبري اللف والنشر بـ (الجمع) (4) أما جل المفسرين والعلماء فأطلقوا اسم (اللف والنشر) على النص الكريم، والغاية الأسلوبية لهذا الاستعمال أن هنالك عداً بين اليهود والنصارى، فاليهود لا تقول في النصارى: إنها سوف تدخل الجنة، والأمر ينطبق على النصارى فلا تقول : إن اليهود تدخل الجنة، ولذا عمد التعبير القرآني لاستعمال أسلوب اللف والنشر: والتقدير : وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى. وخوفاً من اللبس فلف بين القولين الأنفين ثقة بأن السامع سوف يرد إلى فريق قوله ؛ لأن الفريقين يكفر بعضهم بعضاً (5) .

فالقائمة الأسلوبية في النص الكريم أن اللف جعل الكلام بمنأى عن اللبس بحيث يستطيع المتلقي أن يرد لكل جهة دلالتها.

(1) نفسه الصحيفة نفسها.

(2) اللف والنشر في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك ، مج13، ع1 ، 1415 هـ - 1995 م / 98.

(3) البقرة/111.

(4) ينظر : جامع البيان 491/1-492.

(5) ينظر: مجمع البيان 420/1 ، التفسير الكبير 3/4 ، مدارك التنزيل 80/1، محاسن التأويل 223/2.

وقال تعالى ﴿.... وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (1) ، فالتعبير القرآني في الأصل هو أَنَّ قول المؤمنين هو: متى نصر الله ، وقول الله للرسول - ﷺ - : إِلَّا أَنَّ نصر الله قريب . فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد لكل منهما قوله ، وهذا مذهب اليه المفسرون والعلماء وإن لم يسموه باسمه (الف والنشر) (2) . ويمكن تبسيط بنية الف والنشر إلى عنصريين :

1- الف وهما :

الأول: (يقول الرسول)

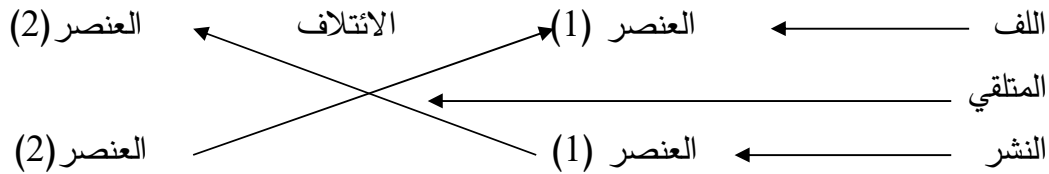
الثاني : (والذين آمنوا معه)

2- النشر وتتكون من عنصريين هما :

الأول : (متى نصر الله)

الثاني: (ألا إن نصر الله قريب) (3)

فالآية تقوم على الحوار بين الله - ﷻ - ورسوله - ﷺ - وبين المؤمنين وتقوم على علاقة التآلف من حيث الصلة بين السائل والسؤال وبين الجواب والمجيب ويمكن تبسيط هذه العلاقة بين الف والنشر بالرسم الآتي (4) :



إنَّ التصور العقلي لهذه العلاقات يجدها تقوم على التواصل بين الرسول والمؤمنين وهو تواصل من جهات متعددة، من جهة الإيمان والتابع والمتبوع وعلى مبدأ الحوار بينهما . فتنشأ علاقة التواصل على المستوى الأفقي بين عناصر الف والنشر (5).

(1) البقرة/214.

(2) ينظر: مجمع البيان 191/2 ، المدهش 27/ ، التفسير الكبير 21/6 ، الإتيان 930/2 ، معترك الأقران 311/1.

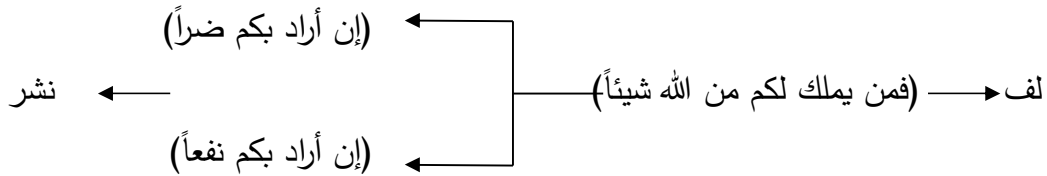
(3) ينظر: الف والنشر في القرآن الكريم 110/.

(4) نفسه 111/.

(5) ينظر: نفسه ، الصحيفة نفسها .

وعلى هذا الأساس فإنه ذكر " فاعلان ورتب عليهما قولان : أحدهما قول الأول والآخر قول الثاني : فالزلزلة عامة في الأمة إلى أن يقول (الا إن نصر الله قريب) جواباً لقول الذين آمنوا متى نصر الله وهم أمته" (1) فاللف والنشر حمل النص شحنات أسلوبية واضحة في تقديم صورة تواصلية بين حوار الرسول مع المؤمنين وليبين عبر بنيته اللغوية مدى التواصل والتوافق بين أسئلة هؤلاء واجوبة الرسول الكريم - ﷺ - ولولا وجود أسلوب اللف والنشر لما تحقق هذا المغزى الدلالي وعن طريق إيجازه وقال تعالى ﴿ وَمَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (2) . فالآية تضمنت اللف والنشر الأسلوبية في قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) ففي قول (مايقال لك) جمع فيه القائل والمقول له ، وقوله (ذو مغفرة) خطاب للمقول له ، أما قوله (ذو عقاب أليم) خطاب الى القائلين وهو من أسلوب اللف والنشر المعكوس والقرينة الناتجة عن المقام تخصص كل طرف الى مناسبه (3) .

وقال تعالى ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (4) فالتعبير القرآني اشتمل على أسلوب اللف والنشر ، والتقدير : فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ، وكذلك تقدير قوله : ومن يحرمكم النفع أن أراد بكم نفعاً فلف الأمرين وأعاد لكل جهة ملمحها الخاص (5) . وقد اجتهدت في رسم العلاقة بين بنية اللف والنشر في هذه الآية على النحو الآتي:



(1) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن/ 313.

(2) فصلت /43.

(3) ينظر: التحرير والتتوير 311/24.

(4) الفتح/11.

(5) ينظر: محاسن التأويل 5410/15.

فالخصيصة الأسلوبية لهذا الاستعمال أنه عمد إلى الإيجاز في التعبير ثقة بأن السامع سيتخيل المعنى والمغزى الفني الذي عبرت عنه الآية.

وقال تعالى ﴿ ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴾ (1) . فالنص الكريم احتوى على ملمح أسلوبى دلالي في قوله (أَنَّ رَبَّكَ) والتقدير : إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ، فلف القولان وخصص كل طرف على جهة بطريقة اللف والنشر المرتب (2) .

فالآية الكريمة اعتمدت الإيجاز في اللفظ والتكثيف في الدلالة لتزيدها قوة وفخامة في ألفاظها وليرسم لنا أسلوب اللف والنشر صورة إيحائية لقدرة الباري - عَزَّ وَجَلَّ - وعلمه بأسرار عبادته ، الى الحد الذي يعلم المهتدين والضالين على وجه الدقة وهي من الخصائص الأسلوبية التي زخرت بها العبارة القرآنية. فالعدول عن الاطناب في شرح المغزى التعبيري للآية واللجوء الى الإيجاز هو مقصد القرآن الكريم وعلو في بلاغته وفصاحته.

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (3)

فنلمس من خلال التعبير الكريم أنه جعل قوله " (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) مقابل قوله (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) مقابل قوله (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضاً " (4)، فبنية اللف تتكون من :

الأول (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى)

الثاني : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)

الثالث : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)

أما بنية النشر فهي الأخرى تتكون من :

(1) النجم /30.

(2) ينظر: التحرير والتنوير 120/27.

(3) الضحى/6-10.

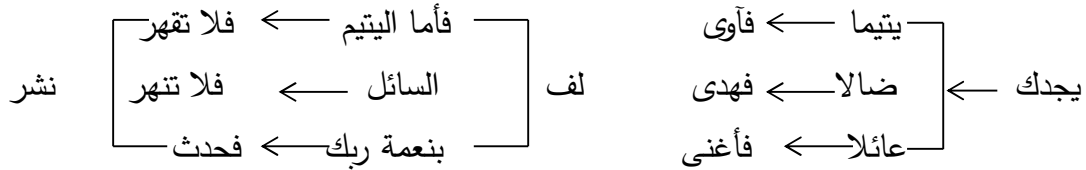
(4) التحرير والتنوير 403/30.

الأول (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)

الثاني (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)

الثالث (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ⁽¹⁾

فالعلاقة بين بنية اللف والنشر تقوم على علاقة يوضحها الرسم الآتي ⁽²⁾ :



وهناك آيات قرآنية أخرى تضمنت اللف والنشر ⁽³⁾ .

ثانياً : - الإجمال والتفصيل

الإجمال " إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة والتفصيل تعيين بعض تلك الاحتمالات أو كلها" ⁽⁴⁾ ويُدرس أسلوب الإجمال والتفصيل ضمن ثلاثة مصطلحات هي : التقسيم ، والجمع ، والتفريق وقد درست لدى البلاغيين القدامى ⁽⁵⁾ كأساليب بديعية ، ثم اكدت الدراسات على أنها أقرب الى الدلالة منها الى الصوت. وقد عرّف الرازي هذه المصطلحات وقال " وأما الجمع مع التفريق فهو أنّ يشبه شيئين بشيء واحد ثم يفرق بين وجهي الاشتباه" ⁽⁶⁾ . وخلص أحد الباحثين الى القول بأنّ " تعريفات التقسيم والجمع والتفريق أنها أبنية متشابهة من حيث الخصائص البنائية إذ أنها تأخذ نمطاً أسلوبياً واحداً يعتمد في الأصل الى ذكر شيء في صورة إجمالية ثم يفصله إلى عناصر مختلفة، أو يعكس البنية فيعتمد الى ذكر عناصر التفصيل ثم ينتهي إلى الإجمال" ⁽⁷⁾ .

(1) ينظر: اللف والنشر في القرآن الكريم /112.

(2) ينظر: التوازي في القرآن الكريم /219.

(3) تنظر : الإسراء/20، مريم /75.

(4) التعريفات /5.

(5) ينظر: نهاية الإيجاز /150 ، مفتاح العلوم/426 ، الإيضاح/204 .

(6) نهاية الإيجاز/149.

(7) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم ، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك، مج12 ، ع1،

لسنة 1994 /13.

أبنية الإجمال والتفصيل :

من الواضح أنَّ أسلوب الإجمال والتفصيل يتحرك من خلال بنيتين هما (1) :

1- **البنية الثنائية :** وهي أنَّ " يتعلق بالإجمال عنصران متضمنان في التفصيل لا أكثر " (2) . ومن الآيات التي وردت فيها البنية الثنائية قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (3) ، فنرى بنية الإجمال تتمثل في قوله تعالى (بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) فأراد التعبير الكريم الإفصاح عن "تحويل في تركيب الجملة لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل، ليكون أوقع في النفس . وأصل الكلام : يشهد بانزال ما أنزله إليك بعلمه " (4) وكل واحد من عناصر التفصيل يتكون من بناء تركيب يربطه بالإجمال الى الحد الذي يجعله جزءا منه. وهذه الدلالة التي حملها الاجمال والتفصيل تحمل دلالة الوجدانية لله - عَزَّوَجَلَّ - والمتفد في أمر انزال التشريع الى الرسول - ﷺ - فبنية الإجمال كانت عامة لتأتي بنية التفصيل لتخصص الأمر على نحو واضح ومن الآيات التي حملت البنية الثنائية في التفصيل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (5) فنرى أنَّ بنية الإجمال تتمثل في قوله (حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) في حين يتمثل التفصيل من خلال البنية الثنائية في قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) وقوله (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا) ، فنلمس بوضوح انفصال " جملة (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ) ؛ لأنها لما جعلت بياناً لإجمال كانت مستأنفة استئنافاً بيانياً ، لأن الإجمال من شأنه أنَّ يثير سؤال سائل عما يعمل إذا كان عدد العدو كثيراً ، فقد صار المعنى

(1) ينظر : الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم /14.

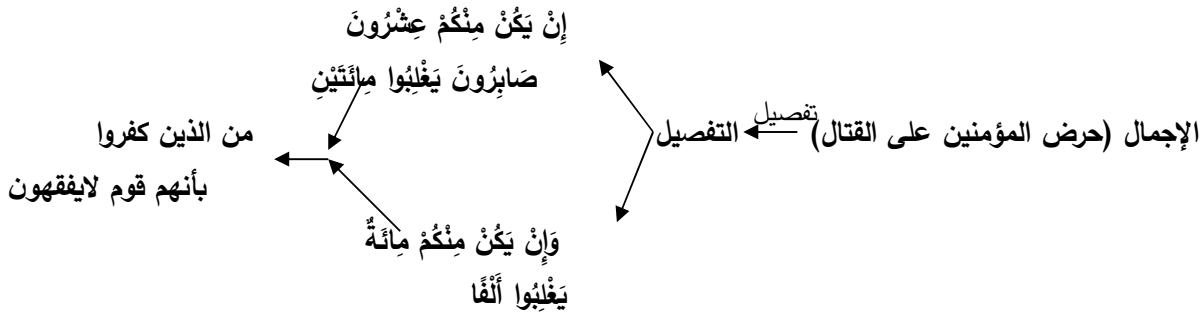
(2) نفسه /15.

(3) النساء/166.

(4) التحرير والتنوير 45/6.

(5) الأنفال/65.

حرّض المؤمنين على القتال بهذه الكيفية ⁽¹⁾ . وقد ارتأينا أن نبسط الحديث عن الإجمال والتفصيل في هذه الآية بالرسم التوضيحي الآتي:



فالنص الكريم حمل دلالة الحث على الجهاد ونصرة دين الاسلام الحنيف وقد تحقق ذلك بالعدول الى أسلوب الاجمال ثم التفصيل.

وقال تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ ⁽²⁾ فوجدنا بنية الإجمال تتحقق في قوله (أرأيت) كما وجدنا بنية التفصيل تتحقق في قوله (أفأنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) ، " وكان مجموع الجملتين كلاما على طريقة الإجمال ثم التفصيل" ⁽³⁾ ، فالذي يتخذ إلهه هواه ويضل ضلالا بعيدا إذ تعمى بصيرته عن رؤية الحق لا يكون الرسول عنه وكيلا، فالرسول - ﷺ - مبلغ وهادٍ الى طريق الصواب وليس بوكيل عن أحد، فدلالة هذا الإجمال والتفصيل هي دلالة إبلاغ الرسالة من قبل الرسول محمد - ﷺ - وليس بوكيل عن أحد. فالخصيصة الأسلوبية الدلالية تحققت باطلاق الكلام مجملا ثم الشروع بتفصيله فالبنية للاجمال والتفصيل بنية ثنائية (أرأيت - أفأنت). وقال تعالى ﴿ ... وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﷻ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ⁽⁴⁾ ، فقد عدل النص الكريم " عن إضافة (صراط) إلى اسم الجلالة ابتداء لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل بأن يبدل منه بعد ذلك (صراط الله)

(1) التحرير والتنوير 66/10.

(2) الفرقان/43.

(3) التحرير والتنوير 36/19.

(4) الشورى/52-53.

ليتمكن بهذا الأسلوب المعنى المقصود فضل تمكن " (1) . فالآية عبر بنية الإجمال والتفصيل الثنائية أي ثنائية التفصيل قد أعطت معنى إيحائياً تمثل بدلالة الهداية والحث على التوحيد، فالتعبير حاول أن يقيم تواشجا في بنية الألفاظ وقيمتها التركيبية ما بين الإجمال والتفصيل . وأن صراط الله هو الصراط المستقيم الذي لامناص للإنسان من العمل به .

2- **البنية المتعددة :** وهي البنية التي " تتحرك من خلال إيراد ثلاثة عناصر أو أكثر في التفصيل " (2) ومن الآيات التي وردت فيها البنية المتعددة قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذُ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (3) ، فجاء النص محملاً ببنية الإجمال في قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) وقد أفاد " التخويف العظيم على سبيل الإجمال وقوله بعد ذلك (وَلَوْ تَرَى إِذُ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) كالتفصيل لذلك المجمل " (4) . فالتفصيل اشتمل على بنية متعددة أي أكثر من اثنين من العناصر، وقد أفادت بنية الإجمال والتفصيل دلالة جزائية بفضل التهيب والعقاب للظالمين، فالقرآن الكريم حكى حالة هؤلاء الظالمين وهم ينالون عقاب الباري - عَزَّ وَجَلَّ - وجزائه ، عبر بنية متعددة من عناصر التفصيل لتحمل شحنة دلالية ظاهرة في أثناء الآية لتلتحم أجزاء الإجمال مع أجزاء التفصيل لتكون توليفة إيحائية ظاهرة للمخاطب . وقال تعالى ﴿ وَائْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (5) ، فالخطاب بالفعل (وائتل) موجه للرسول محمد - ﷺ - والآية تتكون من بنية إجمال هي قوله (الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا) ازاء بنية التفصيل

(1) التحرير والتنوير 155/25.

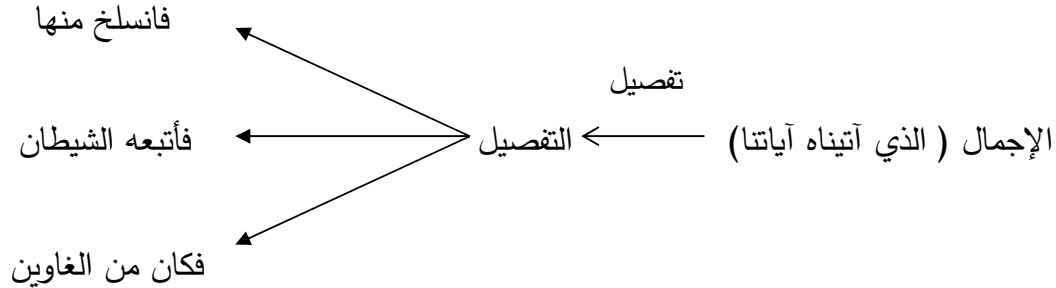
(2) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم /16.

(3) الأنعام/93.

(4) التفسير الكبير 84/13-85.

(5) الأعراف /175.

المتعددة في قوله (فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) وقد فضلنا أن نبسط القول في هذا الإجمال والتفصيل المتعلق بالآية عبر الرسم التوضيحي الآتي:

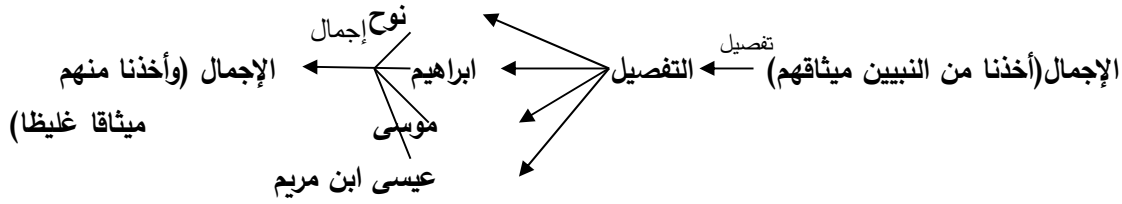


فالفاء المتكررة في بنية التفصيل كانت محور الدلالة وبؤرتها، وكان النص الكريم في ذكر خواص هذا الانسان وهي (الانسلاخ، واتباع الشيطان ، والغواية) كأنها على الرغم من تفصيلها فهي تؤلف بنية اجمالية لشيء واحد، فالفاء العاطفة وحدت هذه الأوصاف وجعلتها كتلة واحدة تنطبق على دلالة هذا التعبير من غير إخلال . فضلا عن أن دلالة هذا الأسلوب (الإجمال والتفصيل) في هذه الآية هي دلالة الهداية إلى الله والارتداد عنها. وهي بنية أسلوبية ذات معانٍ وإحياءات كبيرة لاتتم لولا وجود الإجمال والتفصيل. وقال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴾ (1) ، فالبنية التي ورد فيها الإجمال تمثلت في قوله ﴿ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ ﴾ ثم جاءت بنية التفصيل وهي بنية متعددة عبر قوله (وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) لتتواصل بنية التفصيل مع بنية الإجمال عبر تعالق في التركيب أفضى إلى تكثيف المعنى وجعله زاخراً بالتجدد وليزرع في نفس القاريء الدهشة والإعجاب، فعندما " أتم المراد إجمالاً وعموماً وخصه - ﷺ - من ذلك العموم مبتدئاً به مقدماً إياه بيانا لتشريفه وتفضيله"(2) وقد وددنا أن نوضح بنية الإجمال والتفصيل في الآية عبر الرسم الآتي :

منك (محمد)

(1) الأحزاب/7.

(2) نظم الدرر 294/15.



فبدأ النص ببنية الإجمال ثم تحولت إلى بنية التفصيل وهي بنية متعددة ثم عادت إلى بنية الإجمال ثانية بحركة لولبية دائرية لإبراز المعنى في نفس المخاطب، فقد عمد التعبير القرآني إلى عكس بنية التفصيل المتعددة وتحويلها إلى بنية الإجمال في النهاية، ونرى أنّ دلالة الإجمال والتفصيل أفادت التشريع لكونهم أولي العزم وهم أشرف الأنبياء والرسل. فذكرهم بصيغة الإجمال فعقب بعد ذلك بالتفصيل. وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾⁽¹⁾ ، فقد تحققت بنية الإجمال في قوله (أرسلناك) في حين تحققت بنية التفصيل في قوله (شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) وهي بنية متعددة⁽²⁾ ، فنرى التفصيل يذكر أكثر من صفة لرسوله الكريم فهو شاهد عليهم، وهو في الوقت نفسه مبشرا بالجنة، وكذلك نذير بالنار، فحملت دلالة الإجمال والتفصيل دلالة جزائية فيها الترغيب والترهيب ، قائمة على أساس التقابل بين عناصر التفصيل . وجملة الأمر في موضوع الإجمال والتفصيل أنّ دلالاته في الآيات التي قمت بتحليلها والوقوف عندها أنّها تدور حول دلالة التوحيد والهداية والحث على الجهاد ، فضلا عن دلالة الترغيب والترهيب وإعطاء الجزاء المناسب إما بالجنة أو النار .

(1) الفتح /8.

(2) ينظر: السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية /108.

المبحث الثاني الصورة

للصورة قيمة فنية كبيرة في النص الأدبي، وقد عرف العرب القدامى موضوع الصورة عندما تحدثوا عن التصوير في لغة الشعر فيقول الجاحظ " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " (1) ويقول عبد القاهر الجرجاني " وأعلم أنّ قولنا الصورة إنّما هو تمثيل وقياس ما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا " (2) . والصورة على هذا النحو قد وقف عندها القدامى ودرسوها في تقديمهم لأشعار العرب، واعتمدوا في هذا المجال على الخيال الذي يرافق التصوير ، فالخيال هو الأساس للصورة الأدبية فبدونه تفقد الصورة درجة فنيته وإبداعها لدى المتلقي. لقد ادرك الدارسون أنّ للصورة طريقة خاصة من طرق التعبير وهي في الوقت نفسه وجه مهم من أوجه الدلالة الأدبية التي تعنى بإيصال أفكار المبدع عن طريق التحسين والتزيين والتخييل. وهنا تتفق رؤية علماء البلاغة العرب القدامى مع ما طرحته الأسلوبية الحديثة في التخييل والحدس الذي تفرزه تكوين الصور، فالصورة عند المحدثين " ما يماثل بوساطة الكلام للمتلقي من مدركات حساً، ومعقولات فهماً، ومتخيلات تصوراً وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجداناً وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تقضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركبة في الإنسان وعياً ومن غير وعي " (3) ويعرف فريدمان الصورة فيقول " تقول الانسة سيرجن : (أنا استخدم مصطلح الصورة هنا باعتبارها الكلمة الوحيدة المتاحة لتشمل كل أنواع التشبيه وكل أنواع الاستعارة التي هي في الحقيقة تشبيه مركز " (4) ويعرفها تودوروف بقوله " أنّها ليست شيئاً آخر غير تنسيق نوعي للكلمات نجيد تسميته ووصفه فإذا كانت العلاقات بين كلمتين علاقات تماثل ففي ذلك صورة هي التكرار وإذا كانت علاقة تقابل ففي ذلك أيضاً صورة

(1) كتاب الحيوان 132/3.

(2) كتاب دلائل الإعجاز /508.

(3) بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق ، كامل حسن البصير /267.

(4) الصورة الفنية ، ترجمة جابر عصفور ، مجلة الأديب المعاصر ، بغداد ، ع16 لسنة 1976م

هي النقيضة أنّ كل علاقة بين كلمتين أو أكثر مشتركتي الحضور يمكن أنّ تصبح إذن صورة⁽¹⁾ أما جان كوهين فربط الصورة بالاستعارة وعدّ الاستعارة " غاية الصورة فالانزياح التركيبي لم يحصل الا لأجل إثارة الانزياح الاستبدالي " ⁽²⁾ ومن هنا فالصورة الفنية لها الأثر الكبير في رسم ملامح النص لتجعله أكثر بهاءً وصفاءً في ذهنية المتلقي والأسلوبية اهتمت بموضوع الصورة فتعد " من الأسس المنهجية في الدراسة الأسلوبية اعطاء الأولوية للعلاقات المختلفة التي تربط بين الأشياء والتي تنتظم العناصر على تباعد الشقة بينها - كثيراً أحياناً - فتكون منها أنظمة متماسكة الأجزاء وإذا كانت مختلف مظاهر الارتباط بين أشات المكونات خفية عادة دورها فإنها بنية في الصور واضحة وهي المحور الرئيس الذي تدور عليه عملية التصوير " ⁽³⁾ وتتبع من الصورة مايسمى بالصورة الإيحائية وهي " وسيلة إحياء تلميحية غير مباشرة " ⁽⁴⁾ وعلى هذا الأساس تظهر "أهمية الصورة البيانية أنها تتيح جملة من الخيارات الأسلوبية، التي تؤدي المعنى الواحد بطريقة مختلفة، وتظهر القيمة الأسلوبية في اختيار الصورة الأليق بالغرض والسياق " ⁽⁵⁾ . ونرى الآراء مختلفة في الأخذ بمصطلح الصورة في العصر الحديث ، فالرأي الأول يلغي دراسة التشبيه والاستعارة والكناية في ضوء منهج البلاغة العربية بل يدخلها ضمن دراسة الصورة الأدبية أما الرأي الثاني فيرى أنّ دراسة التشبيه والمجاز والكناية ضمن مصطلح (الصورة والخيال) يطمس مادة علمية، كانت مُرتبطة بهذه الأبواب، فضلاً عن اغفاله الأثر القرآني فيها. أما الرأي الأخير فيساوي بين الدراستين، وأنّ حديث القدامى عن التشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية والمجاز مساو لحديثنا في الوقت الحاضر عن الخيال والصورة الشعرية ⁽⁶⁾ . بيد أنّ استثمار هذه المفاهيم في دراسة التصوير القرآني يواجه صعوبات كثيرة أساسها الاختلاف في المنطلق لهذه الدراسة، فمنطلق دراسة الصورة في العصر الحديث

(1) الشعرية/39.

(2) بنية اللغة الشعرية /205.

(3) خصائص الأسلوب في الشوقيات/141.

(4) دليل الدراسات الأسلوبية /69.

(5) النظم القرآني في تفسير القرطبي ، دراسة أسلوبية /41.

(6) ينظر : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم / 325.

يستمد جزئياته من تأثره بالدراسات الغربية وهي تعود في جذورها إلى الفلسفة الوضعية التي " تدرس الظواهر على أنها ذات منشأ وضعي إنساني ليس للأمور الدينية الغيبية دخل فيه ثم إنّ دراسات الصورة ترتبط بالتجربة الإنسانية وبقدرات الإنسان وثقافته وطبيعته ومعلوم أنّ هذه الأمور لا يمكن التطرق إليها في الدراسة القرآنية ؛ لأنّ منشيء القرآن لا يمكن أنّ يقاس بالمقاييس الإنسانية ، فكان كلامه ذا خصوصية تستتبع خصوصية في منهج البحث في دراسة الصورة القرآنية" ⁽¹⁾ ولهذا فالأولى السير على منوال بلاغينا القدامى في تعاملهم مع الصورة وكذلك الإفادة من إيجابيات قسم من الدراسات الحديثة في نظرية التصوير الفني للقرآن الكريم، ومن الواضح لدينا أنّ القرآن الكريم قد حفل بالصور الفنية الجميلة المستمدة من طبيعة الحياة العربية بمختلف أشكالها ، إنّ النص القرآني " يخاطب العقل وحده على نحو ما نعلم من طبيعة سائر أنواع الكلام ولكنه يخاطب العقل والشعور معا ؛ لأنّ القرآن لا يعتمد على التفكير وحده ليقنع ولكنه يتجه إلى إثارة الوجدان إثارة روحية رفيعة تحدث السرور في النفس فتقبل أو تحدث فيها الألم فتأبى وترفض والمعرفة وحدها ليست كافية للهداية إذ أنّ العلم شيء والسلوك الإنساني شيء آخر لذلك اتجه القرآن الى التأثير الوجداني بعد الحجة المقنعة ليهز النفوس ويحرك المشاعر " ⁽²⁾ ومن الآيات التي حملت في أثناءها سمات الصورة قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّنَّهُمْ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ⁽³⁾ ، فالصورة تمثلت في قوله (زلزلوا)، ويقول الرماني عن هذه اللفظة " زلزلوا أفضل من كل لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم من الانزعاج فيهما الا أنّ الزلزلة أبلغ وأشد" ⁽⁴⁾ .

(1) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم/ 325.

(2) المشاهد في القرآن الكريم / 301.

(3) البقرة/ 214.

(4) النكت في إعجاز القرآن / 83، وينظر: كتاب الصناعتين/280، كتاب الطراز 1/ 245 ، جماليات المفردة القرآنية /151.

ونرى لفظة (زلزلوا) قد تضمنت اختياراً أسلوبياً حمل تفرداً عن الألفاظ الأخرى، الأمر الذي جعل الرازي يعد لفظة (زلزلوا) من المجاز (1)، فالزلازل "تحرك الجسم من مكانه بشدة وفيه زلزال الأرض فوزن زلزل (فُعلل) والتضعيف فيه دال عن تكرار الفعل كما قال تعالى (فككبوا فيها) وقالوا لملم بالمكان إذا نزل به نزول إقامة" (2) فالتضعيف في الفعل أبرز قيمة أسلوبية واضحة تدل على مضاعفة الخوف والهلع؛ لأن صورة زلزلة عبرت عن الاضطراب النفسي الشديد والازعاج أبلغ تعبير (3). ويذهب الدكتور محمود السيد شيخون إلى أن لفظة (الزلزال) أفادت معنى الاستعارة التصريحية التبعية فيقول عنها "أنّ هذه الاستعارة القرآنية الفريدة قد صورت الاضطراب الشديد ذلك المعنى النفسي الخفي بصورة الزلزال العنيف المدمر فأبرزته في صورة حسية متحركة ملموسة مشاهدة تتخلع لهولها القلوب وتذهب من شدتها العقول وتزوغ من قوتها الأبصار" (4) ويضيف إلى قوله أيضاً فيقول: "أنّ هذه الصورة العجيبة البالغة التأثير قد استقلت برسمها كلمة واحدة هي اللفظة المستعارة (زلزلوا) إنّ هذه الكلمة بصوتها وجرسها وإيمائها هي التي جسمت هذا المعنى الخفي وأبرزته في تلك الصورة" (5)، وقال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ ﴾ (6) وقد فسر ابن عباس والفراء (النسف) بأنه القلع (7). وقريب من هذا الرأي ذهب الطبري (8) أي يذريها تذرية، وترى الدكتور ابتسام مرهون الصفار أنّ الآيات توحى بالخشوع والرهبة

(1) ينظر: التفسير الكبير 21/6.

(2) التحرير والتنوير 316/2.

(3) ينظر: إعجاز القرآن البياني، حفني محمد شرف / 343-344، التصوير البياني، حفني محمد شرف / 305، القرآن إعجازه وبلاغته، عبد القادر حسين / 191، القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين / 187، البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين / 170.

(4) الإعجاز في نظم القرآن / 107.

(5) نفسه / الصحيفة نفسها.

(6) طه / 105-107.

(7) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس الفيروز ابادي / 266، معاني القرآن 191/2.

(8) جامع البيان / 211.

والخوف والفرع⁽¹⁾ . ومن الملاحظ لدينا أنّ مفردات الآيات قد أُنْتُهت جميعها بالسكون وعلى النحو الآتي: فقلّ ينسفها ربّي نفساً فيزها قاعاً صفصفاً لأترى فيها عوجاً ولا أمتاً وهذه السكون التي تفردت بها الآيات المذكورة آنفاً نكاد نراها نادرة في الاستعمال القرآني وليشي هذا السكون بإيحاء دلالي تمثل بالسكون الحاصل في نهاية التدمير والنسف فالجبال بعد التدمير والنسف نجدها تصبح ساكنة وهذه العلامة (السكون) تعبيراً عن دلالة الموقف والله أعلم. وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ... ﴾⁽²⁾ ، فنرى الصورة تمثلت بقوله (يد الله فوق أيديهم) ومعناها الوفاء بالعهد كما يرى الفراء⁽³⁾ . في حين عدها البعض تعبيراً مجازياً ، فنرى الرازي يعدها كناية عن الحفظ⁽⁴⁾ في حين نجد الدكتور عبد الفتاح لاشين يخصصها بالمجاز المرسل وعلاقته السببية⁽⁵⁾ . فالمراد باليد القدرة ؛ إذ هي سبب فيها . فالصورة في التعبير الكريم تأسست على العدول باللفظ من معناه الحقيقي الى معناه المجازي، فكانت " صورة مبايعة بالأيدي ولتنسيق الجو كله جعل (يد الله فوق أيديهم) واستخدم هذا التجسيم في موضع التجريد المطلق والتنزيه الخالص"⁽⁶⁾ . فالصورة انبنت على أساس التناسق الفني بين أجزاءها، فحافظ على أجواء المشاهد وأظهرت الانسجام على مفردات التعبير . وقال تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾⁽⁷⁾ ، فالصورة في التعبير الكريم اعتمدت سمة أسلوبية باشمالها على

(1) ينظر: التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة /134.

(2) الفتح /10.

(3) ينظر: معاني القرآن 3/65.

(4) ينظر: التفسير الكبير 28/87.

(5) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن /141.

(6) التصوير الفني في القرآن /95.

(7) الفتح /29.

التشبيه التمثيلي، فالقرآن الكريم استعمل مفردات دالة على الحياة المعنوية للرسول ولصاحبه فقله " (يعجب الزراع) و ... وهو رسول الله - ﷺ - صاحب هذا الزرع النامي القوي المخصب البهيج " (1) والزرع " قيل إنه نبات كل شيء يحترث ، وقد غلب على البر والشعير وقال سبحانه وتعالى : (كزرع) ولم يقل كشجر أو كنخل مثلاً وذلك ؛ لأن النخل وغيره من الشجر تضعفه فسائله ؛ إذ تستمد منه القوة التي تحيا وتنمو بها. وأما الزرع فيقوى ويستحكم بشطئه ويزيد به بركة " (2) وعلى ضوء ذلك فإن التشبيه بالزرع " الذي هو (الحنطة والشعير) أهمية ومدلول عميق ذلك ؛ لأن الزرع مادة الخبز ، والخبز عماد الحياة وكذلك النبي - ﷺ - والمؤمنون معه الذين قووه وآزروه فاستغلظ بهم شأن الإسلام وعلت كلمة الحق كما علت سنابل البر على سوقها تعجب الزراع وتغيظ الكفار " (3) . فهي " تدل على تدرج الإسلام ونمائمه صعوداً نحوه القوة والعزة والمنعة " (4) وهو " مشهد متأنق يحمل الينا في أناة وتلبث أبرز الملامح لجماعة الرسول الأعظم - ﷺ - وقد ثبتت أصولها القويمة" (5). فالتشبيه في الآية الكريمة ورد أكثر من مرة ، وأن التشبيه إذا تكرر أكثر من مرة تحول إلى صورة ، فضلاً عن ذلك فالآية الكريمة تفردت بسمه أخرى ، وهي إنها الآية القرآنية الوحيدة في القرآن الكريم التي اشتملت على جميع الحروف في اللغة العربية وهذا قمة الإعجاز الفني القرآني . وقال تعالى ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (6) ، فالصورة في النص الكريم تأسست على اختيار (الانزلاق) والعدول باللفظ على غير ماوضع في حقيقته، فيقول ابن قتيبة "يريد أنهم ينظرون اليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يزلقك من شدته أي يسقطك" (7) فالانزلاق الحسي مرتبطاً في حقيقته بحركة العيون وماتحركه. وقد عدّ الشريف الرضي

(1) في ظلال القرآن 515/26 .

(2) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، واجدة مجيد الأطرجي / 140.

(3) نفسه / الصحيفة نفسها.

(4) المشاهد في القرآن الكريم / 337.

(5) الصورة الفنية في المثل القرآني ، محمد حسين علي الصغير / 270-271.

(6) القلم / 51.

(7) تأويل مشكل القرآن / 129.

الآية استعارة " والمراد بالازلاق ههنا ازلاق القدم حين لا يستقر على الارض ... " (1) ، وعن الصورة في هذه الآية يلاحظ القاريء أنها " مشهد تلتقطه الريشة المبدعة وتسجله من مشاهد الدعوة العامة في مكة. فهو لا يكون الا في حلقة عامة بين كبار المعاندين المجرمين، الذين ينبعث من قلوبهم وفي نظراتهم كل هذا الحقد الذميمة المحموم " (2) . ومن الآيات التي حوت مصطلح الصورة قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ (3) ، فالتعبير القرآني يصور في هذه الآية " لهفة هذا الاعمى الى تعلم الدين فليس وجود (يسعى) هنا الا لغاية جمالية فهي ترسم مشاعر من لا يعهد به الا المبني المتعثر ؛ لأنه أعمى الباصرة وقد أشرق الايمان في حنايا صدره وليس الأمر كما نرى موافقة لروى الفواصل " (4) ، فضلا عن ورود الفعل (يسعى) المضارع ليدل على التجدد .

(1) تلخيص البيان في مجازات القرآن / 256.

(2) في ظلال القرآن 243/29.

(3) عبس/8.

(4) جماليات المفردة القرآنية / 154-155.

المبحث الثالث

الدلالة التصويرية في صيغ البيان

أولاً :- التشبيه

لعل المبرد قد أصاب كبد الحقيقة وهو يتحدث عن التشبيه فيقول " لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد" ⁽¹⁾ فقد مثل قمة المباحث البيانية مما حدا بالدارسين قديماً وحديثاً إلى الوقوف عنده واستكناه أسراره . ولعل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) من أوائل الذين عنوا به ثم أتى بعده سيبويه (ت 180هـ) والفرّاء (ت 207هـ) وأبو عبيدة (ت 210هـ)، والمبرد (ت 285هـ) ⁽²⁾ . فاللغويون والنحاة سبقوا البلاغيين ⁽³⁾ في الحديث عن التشبيه، فنرى السكاكي ⁽⁴⁾ ومدرسته لاتعد التشبيه من المجاز وإن بحثته ؛ لأن دلالاته وضعية، وقد عدّ كثير من البلاغيين التشبيه ركناً أساسياً في بحوث البيان وذكر بعض من دار في فلك السكاكي أنّ الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه ولذلك فهو فن مستقل في علم البيان قصداً وإن توقف عليه بعض أبوابه ؛ لأن توقف بعض الأبواب على بعض لايجب كون المتوقف عليه مقدماً للفتن ⁽⁵⁾ . أما تعريف التشبيه فنرى السكاكي يعرفه " بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى" ⁽⁶⁾ وعرفه ابن الأثير فقال " أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به " ⁽⁷⁾ وتابع الرأي نفسه الزركشي ⁽⁸⁾ .

(1) الكامل 93/3، وينظر: الإنتقان 773/2.

(2) ينظر: فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي ، أحمد عبد السيد الصاوي / 195-196.

(3) كتاب الحيوان 576/5 ، تأويل مشكل القرآن / 54.

(4) ينظر: مفتاح العلوم/332.

(5) ينظر: مواهب الفتاح ، ابن يعقوب المغربي (ضمن شروح التلخيص) 290/3.

(6) الإنتقان 773/2 ، ولم يخرج تعريف الخطيب القزويني عن رأي السكاكي ، ينظر: التلخيص

في علوم البلاغة /238.

(7) الجامع الكبير /90.

(8) ينظر: البرهان 414/3.

وعرّف المحدثون التشبيه بقولهم "ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات" ⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس فإن التفكير البلاغي بقي على الرغم مما جد فيه من تطور لافقت بقي مشدودا إلى قسم من الأسس التي أقيم عليها منذ بدء نشأته الأولى كما يرى الدكتور حمادي صمود ⁽²⁾ . أما قضية التشبيه أهو من المجاز أم لا ؟ فقد تجاذبها الدارسون قدامى ومحدثون بين مد وجزر مختلفين فيها إلى حد التقاطع. وذهبت طائفة منهم إلى أنه ليس مجازا ولعل عبد القاهر الجرجاني ⁽³⁾ . كان من أوائل الذين صرحوا بذلك وقد نقل الامام ابن قيم الجوزية عن جمهور البلاغيين ان التشبيه من انواع المجاز ⁽⁴⁾ . وتابعه ابن رشيق مصرحاً بذلك ⁽⁵⁾ . ولانريد في هذا الأمر أن نسبط اراء الدارسين في هذه المسألة بيد أننا نطمئن إلى رأي الدكتور احمد مطلوب ؛ إذ يقول : "والحق أن التشبيه مجاز ؛ لأنه يعتمد على عقد الصلة بين شيئين أو أشياء لايمكن أن تفسر على الحقيقة ولو فسرت كذلك لأصبح كذبا، وهو الفن الكثير الاستعمال في كلام العرب. ويبدو أن عدم الانتقال فيه من معنى إلى آخر كما في الاستعارة دعاهم إلى إخراجهم من المجاز " ⁽⁶⁾ ومن الجدير بالذكر أن التشبيه يقوم على المخالفة ولهذا رفض قول الشاعر :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء ⁽⁷⁾

فالمشبه هو نفسه المشبه به وقام هذا التشبيه على المماثلة ولذلك رفضوه ولكي تكون الصورة المشابهة الجديدة أكثر توكيدا للمعنى في النفس لابد من أن تكون عناصرها أقوى تمكنا في الوصف وأظهر في الوجه المشترك ولهذا ينبغي "أن يكون المشبه به أعلى

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 170/2 ، وينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي

وباللاغي عند العرب، جابر عصفور /172 ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي /

274القرآن والصورة البيانية /45 ، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع

الهجري ، محمد زغلول سلام /57، التعبير الفني في القرآن الكريم /197.

(2) ينظر:التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)/593.

(3) كتاب أسرار البلاغة /221،وينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 170/2-171.

(4) ينظر: الفوائد المشوق / 54.

(5) ينظر: العمدة 268/1.

(6) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 172/2.

(7) لم نعثر على قائله في المصادر المتوافرة لدينا .

حالا من المشبه لتحصل المبالغة هناك" (1) وذلك كما يقول عبد القاهر الجرجاني "لأن الواجب أن يثبت المشكوك فيه بالقياس على المعروف" (2) كما عدّه ابن الأثير شرط البلاغة التشبيه فيقول "إن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم" (3). وإلى المنحى نفسه ذهب السيوطي إلى القول "القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى، وفي الذم تشبيه الأعلى بالأدنى؛ لأن الذم مقام الأدنى، والأعلى طارئ عليه" (4)، وهذا الأمر غير مطرد فقد جاءت طائفة من التشبيهات القرآنية عكس ذلك ولكنها الأكثر، وقد قسم عبد القاهر الجرجاني التشبيه على ضربين "أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول، والآخر: أن يكون التشبيه محصلاً بضرب من التأول" (5) فالجرجاني عبر عن الدلالة الوضعية والعقلية بعبارة مختصرة "وهي أن تقول: (المعنى) و(معنى المعنى)، تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة (وبمعنى المعنى): أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (6)؛ إن رؤية عبد القاهر الجرجاني قد لاقت صدقاً واسعاً لدى الزمخشري فيما يتعلق بالتشبيه، فكان "يردد كلام عبد القاهر في (أسرار البلاغة) وكل ما يلاحظ في التشبيه عنده أنه لم يفرق بينه وبين التمثيل بل جعلهما شيئاً واحداً ولعل مرجع ذلك أن وجه الشبه في التشبيهات القرآنية يغلب أن يكون عقلياً. وكأنه جعل التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه عقلياً تمثيلاً سواء أكان مركباً كما قال عبد القاهر أو كان متعدداً أو مفرداً" (7) ومن فائدة التشبيه إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، أو فيما معناه (8). فالنفس تتشوق إلى الجمال والحسن والتشبيه يشتمل على ذلك فهو يرسم في الذهن صوراً خلابة ولهذا اكتسب المكانة السامية بين فنون البلاغة لما يحدثه من أثر في النفس وما يحويه من

(1) كتاب الطراز 266/1، وينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي /237.

(2) كتاب أسرار البلاغة /202.

(3) المثل السائر 126/2.

(4) الإيقان 779/2.

(5) كتاب أسرار البلاغة /80-81.

(6) كتاب دلائل الإعجاز /263، وينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن /15.

(7) البلاغة تطور وتاريخ /241.

(8) ينظر: المثل السائر 124/2.

عناصر للصورة التي تخاطب الوجدان التي تقوم مقام البرهان العقلي والحجة المنطقية (1) . إنَّ الدراسة الأسلوبية للتشبيه تقوم على أساس قيمة البنية التحويلية في إبراز قيمة الإبداع عن طريق تشكيل صور تشبيهية تنبني على العدول في استعمال اللغة والتصرف في دلالاتها، منطلقين من أصل وقاعدة فيكون العدول عن هذا الأصل هو الإبداع على وفق الرؤية الأسلوبية فالتشبيه يتأسس في الأصل على المشبه والمشبه به وكذلك على الاداة ووجه الشبه فحذف الاداة ، أو وجه الشبه، يكون هنالك عدولاً عن الأصل وهنا يحدث التشبيه النشوة لدى المتلقي فيقف إزاءها مبهوراً متأملاً. وسنشرع في الحديث عن أنواع التشبيه وماتحويه من قيم وخصائص أسلوبية يمكن أن تؤثر تفرد أسلوب دلالي ولنبدأ بالتشبيه البليغ .

1 - **التشبيه البليغ** : هو " التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه واداة التشبيه ، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من اختصار من جهة ومافيه من تصور وتخيل من جهة أخرى ، لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح باب التأول ، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً" (2) كما يعرف التشبيه البليغ بأنه " التشبيه الذي تجرد من الاداة ومن وجه الشبه معا وقام على العنصرين الجوهريين فحسب فهذا الأسلوب بخلوه من الاداة يتميز بالمطابقة التامة بين المشبه والمشبه به وبتجرده من وجه الشبه يتميز بإجمال التقريب بينهما مما يسمح باعتبار التشبيه البليغ أسمى درجة في التشبيه الصريح من حيث هو يسوي بين المشبه به والمشبه تسوية تامة " (3) وقد بدا لنا واضحاً أن التشبيه البليغ أكثر الأنواع شيوعاً في بحثنا ، قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ أَصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ... ﴾ (4).

ويبدو التشبيه البليغ في قول الحق (وان تخالطوهم فاخوانكم) فنرى حذف الاداة ووجه الشبه وهو على معنى التشبيه البليغ (5) . فقد رسم التعبير القرآني صورة تشبيهية

(1) ينظر: التصوير البياني، حفني محمد شرف /156.

(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 2/180.

(3) خصائص الأسلوب في الشوقيات/150.

(4) البقرة/ 220.

(5) ينظر: التحرير والتوير 2/357.

شبه فيها اليتامى بالاخوان وكذلك حث المؤمنين بمخالطة اليتامى وعدهم أخواناً لهم وقد حذف وجه الشبه وأراد به التقارب والتراحم والتآلف فيما بينهم، فالتشبيه البليغ في الآية مثل قيمة أسلوبية في العدول عن الأصل بحذف الأداة ووجه الشبه ليشرع المتلقي بالأمر المحذوف ويأخذ في تدبر قول الباري - عَزَّ وَجَلَّ - .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (1) فالخصيصة الأسلوبية لهذا التعبير في لفظة (بصائر) ، وقد تعرض القاسمي لهذا النص ووجدناه متحيراً في تفسيره فمرة يعده من التشبيه البليغ وأخرى من المجاز المرسل وأخرى استعارة فيقول: " فقال سبحانه (هذا) أي القرآن (بصائر من ربكم) أي بمنزلة البصائر للقلوب، بها يبصر الحق، ويدرك الصواب فالكلام على طريقة التشبيه البليغ ، أو سبب البصائر فهو مجاز مرسل أو استعارة لإرشاده" (2) ويرى أحد الباحثين أن التجوز بلفظ (البصائر) هو استعارة تصريحية تبعية، من تشبيه المحسوس بالمعقول (3). ونحن نرى ان التشبيه البليغ هو الأنسب لمعنى الآية ودلالاتها، فجاء هذا التشبيه الذي حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه ليرك للقارئ استكناه المزايا الجمالية الموحية التي عبر عنها التعبير الكريم .

وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ... ﴾ (4) فالناظر إلى هذا التعبير يطالع قوله (الأذن) وقد اختلف المفسرون في توجيه هذه الآية فالقاسمي يعدها من المجاز المرسل فيقول " سموه باسم العضو تهويلاً وتشنيعاً ، فهو مجاز مرسل ، أطلق فيه الجزء على الكل مبالغة بجعل جملته، لفرط استماعه ، آلة السماع، كما سمي الجاسوس عينا لذلك ونحوه :

إذا مابت ليلى فكلي أعين وإن حدثوا عنها فكلي مسمع

(1) الأعراف / 203.

(2) محاسن التأويل / 2932/7.

(3) ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم ، أحمد حمد محسن (أطروحة دكتوراه) / 262.

(4) التوبة/ 61.

وجعله بعضهم من قبيل التشبيه بـ (الأذن) في أنه ليس فيه وراء الاستماع تمييز حق عن باطل " (1) ونحن نرى أنه من التشبيه البليغ ويؤيد ذلك ما صرح به الطاهر بن عاشور فقال " والإخبار بـ (هو أذن) من صيغ التشبيه البليغ، أي كالأذن في تلقي المسموعات لا يرد منها شيئاً، وهو كناية عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود " (2) فالتشبيه البليغ جعل النص يعدل عن الأصل بحذف الأداة ووجه الشبه وفي هذا الحذف ما أضاف إليه إحياء خاصاً . وقال تعالى ﴿ لَعَلَّكَ بَخِغٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ... ﴾ (3) فالناظر إلى قوله (بأخ) يجده مليء بالإحياء، أي بمعنى قاتل، فقد جاءت الآية متضمنة التشبيه البليغ (4) . وتقدير الكلام أنت كالبأخ نفسك فحذف الأداة ووجه الشبه ليترك للمتلقى ملء الكلام بما يناسبه من التعبير وهو عدول عن الأصل كما نرى . وقال تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (5) فالتعبير الكريم تضمن التشبيه كما يرى الزمخشري (6) . بيد أنه لم يخصص كلامه بالتشبيه البليغ وعبر عنه بلفظ العموم . وإلى المعنى نفسه ذهب ابن أبي الإصبع المصري والسيوطي (7) . ولكن لو استحضرننا رأي ابن عاشور لوجدناه أكثر تحديداً لنوع التشبيه فقال " التشبيه البليغ للمبالغة في شبههن بالامهات للمؤمنين مثل الإرث وتزوج بناتهن " (8) فالتعبير في قوله (وأزواجه امهاتهم) تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ؛ لأن كلمة (الأم) تطلق مضافة إلى من ولدته (9) . ولم يخرج رأي الدكتور عبد القادر حسين عن هذا المعنى (1) . وقال تعالى

(1) محاسن التأويل 3186/8-3187.

(2) التحرير والتنوير 242/10.

(3) الشعراء/3.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 93/19 .

(5) الأحزاب/6.

(6) الكشف 251/3، وينظر : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان ، محمد رمضان الجربي / 69.

(7) ينظر: بديع القرآن / 60، الإتيان 778/2 .

(8) التحرير والتنوير 268/21.

(9) ينظر: دراسات لغوية في القرآن ، أحمد ماهر البقري / 44.

﴿وَأَذِ يَقُولُ الْمُتَفَقُّونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (2) ،
فالملاحظ ان نسبة " الغرور إلى الله ورسوله إما على معنى التشبيه البليغ وإما لأنهم
بجهلهم يجوزون عن الله أن يغير عبادته، ويحتمل أنهم قالوا ذلك بين أهل ملتهم فيكون نسبة
الوعد إلى الله ورسوله تهكما" (3) وهكذا وجدنا النص الكريم يمكن أن يقرأ أكثر من قراءة
أسلوبية بفضل تعدد المعاني والدلالات المحتملة في بنيته، ولكن - في رأينا - يندرج
ضمن التشبيه البليغ المحذوف الاداة ووجه الشبه ليضفي قيمة أسلوبية تتأتى من التخيل
لحال العلاقة بين المشبه والمشبه به . وقال تعالى ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
(4) فالتشبيه ورد في قوله (وسراجاً منيراً) وعن دلالة (السراج المنير) يقول الماوردي:

1- الأول أنه القرآن سراج منير أي مضيء ؛ لأنه يهتدى به.

2- الآخر أن الرسول كالسراج المنير في الهداية (5) .

وقد ذهب جل العلماء والدارسين إلى ان لفظة السراج هو مستعار وحقيقته (منيرا)
وهنا السراج هو الرسول محمد - ﷺ - يستنار به في ظلال الكفر والظلام كالشهاب (6)
. غير أن الذي يصح في وصف لفظة (وسراجاً منيراً) كونه تشبيهاً بليغاً بطريق الحالية ،
أي أرسلناك كالسراج المنير (7) فحذف الاداة ووجه الشبه ليضفي سلاسة وعذوبة إلى
التعبير فهو عدول عن الأصل أبرز قيمة ابداعية في هذا الاستعمال. وقال تعالى ﴿فَازْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (8) ، ففي قوله تعالى (بدخان مبين) نلاحظ ورود

(1) ينظر: القرآن إعجازه وبلاغته/143 ، والاقتباس نفسه في كتابه الآخر : القرآن والصورة
البيانية / 83.

(2) الأحزاب /12.

(3) التحرير والتنوير 284/21.

(4) الأحزاب/ 46.

(5) ينظر: النكت والعيون 330/3.

(6) ينظر: النكت في إعجاز القرآن /88-93 ، تلخيص البيان في مجازات القرآن /192، كتاب
التسهيل 140/3، المشاهد في القرآن الكريم /357 ، البيان في ضوء أساليب القرآن/166-
167.

(7) التحرير والتنوير 54/22.

(8) الدخان /10.

التشبيه، والدخان: ما يتصاعد عند إيقاد الحطب، ونلاحظ أنَّ هذا التشبيه بليغاً، والتقدير :
 بمثل دخان (1) . فحذف الأداة ووجه الشبه فكان هذا الاستعمال قائماً على العلاقة الوثيقة
 بين المشبه والمشبه به ليظهر التعبير بصورة جديدة كانت مليئة بالتألق والقيم الأسلوبية .
 التي طرزت النص وأضافت له أبعاداً دلالية كثيرة. وقال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
 هَوَاهُ هَوِيَهُ ﴾ (2) فالدارسون لمحو التشبيه في قوله (اللهه) ؛ لأن " (اللهه) يجوز أن يكون
 أطلق على ما يلزم طاعته حتى كأنه معبود فيكون هذا الاطلاق بطريقة التشبيه البليغ،
 أي اتخذه هوام كإله له لا يخالف له أمراً " (3) فالتشبيه حمل شحنة دلالية بفضل الإيجاز
 وتكثيف العبارة المتأني من الأشياء المحذوفة فيه ليترك للمتلقي تصور الجمال والرقى الذي
 حمله والإحياء المنبعث منه . وقال تعالى ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ ﴾ (4) فنلمس التعبير في قوله (ينظرون اليك) وهو على معنى التشبيه
 البليغ. فحذف الاداة وكذلك وجه الشبه الذي تقديره ثبات الحدة وعدم التحريك (5) . فعمل
 هذا التشبيه على اضعاف مسحة جمالية على التعبير بأوجز عبارة وكذلك التناسق الفريد في
 الاطار الدلالي الذي عبرت عنه، إنَّ التعبير بالتشبيه البليغ في الآيات المذكورة آنفاً
 والآيات الأخرى (6) . يظهر لنا ميل القرآن الكريم إلى استعمال هذه الظاهرة الأسلوبية
 لاثر النص بأطر وملاحم جمالية تجعل التعبير أكثر طراوة وسلاسة فضلاً عن تكثيف
 دلالة التعبير واضفاء شحنة وإحياء كبيرين عليها.

2- التشبيه التمثيلي

- (1) التحرير والتنوير 286/25.
- (2) الجاثية/23.
- (3) التحرير والتنوير 358/25.
- (4) محمد/20.
- (5) ينظر: التحرير والتنوير 108/26.
- (6) للاستزادة من الآيات التي حملت التشبيه البليغ ينظر : التوبة/103 ، الكهف/51، النور/43،
 الأحزاب/33، فصلت/44.

قال تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ... ﴾ (1) فالتشبيه ظهر في قوله (كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ) وهو تشبيه بجنس الوحي على الرغم من اختلاف أنواعه (2) . فالتشبيه "لا يؤدي شيئاً ولا يوضح معنى ولا يخرج الخفي إلى الوضوح والجلاء وإنما الذي نلمحه هو إزالة الغرابة من نفوس السامعين واستبعادهم نزول الوحي على الرسول - ﷺ - بما لا يشكون في رسالته ليأنس المستغرب إلى الدعوة وليطمئن المضطرب في أمره إلى حقيقة الرسالة وقد يكون هذا التساوي" (3) فالتشبيه التمثيلي حمل في النص دلالة على الوعظ والارشاد في تصوير حال الوحي الذي ارسل على نوح من قبل وكذلك جاء متوازناً ما بين دلالة اللفظ ودلالة المعنى .

ونجد أيضاً التشبيه التمثيلي في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ... ﴾ (4) فالتعبير يشي بالتشبيه التمثيلي وذلك في قوله (ونرد على أعقابنا) " أي نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب في المشي، ثم استعير في المعاني" (5) فنلاحظ أن التعبير تمثيل لحال المرتد إلى الشرك بالله بعد أن أسلم وهو يشبه حال من خرج في مهم فنلاحظ رجوعه على عقبيه ولم يقض ما خرج له ، وهذا التشبيه أبلغ في تمثيل سوء حالهم، عندما يقول ونرجع إلى الكفر بعد أن دخل الإيمان في صدورنا. (6)

3- التشبيه المرسل

وهو " التشبيه الذي تذكر فيه أدواته" (7) وقد ورد في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (8)، فالملاحظ على النص الكريم ورود التشبيه في قوله تعالى (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) وهو "

(1) النساء / 163 .

(2) ينظر: التحرير والتنوير 31/6.

(3) إعجاز القرآن البياني/ 332.

(4) الأنعام/71.

(5) كتاب التسهيل 13/2.

(6) التحرير والتنوير 300/7.

(7) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 201/2.

(8) الأنعام /20.

تشبيه المعرفة بالمعرفة. فوجه الشبه هو التحقق والجزم بأنه هو الكتاب الموعود به، وانما جعلت المعرفة المشبه به هي معرفة أبنائهم ؛ لأن المرء لا يضل عن معرفة شخص ابنه وذاته إذا لقيه وانه هو ابنه المعروف، وذلك لكثرة ملازمة الأبناء أباهم عرفاً" (1) فالتشبيه حمل في دلالاته قيمة أسلوبية في توليد معاني متجددة أضفت على النص سمة الكثافة والشحن الأسلوبية بفضل إيراد التعبير بصيغة التشبيه المرسل.

وقال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (2) وقد حلل أبو حيان هذه الآية ووقف عند التشبيه فيها، فقال التشبيه في العدد أي اليوم عند الله ألف سنة من عددكم، وربما قيل إن التشبيه وقع في الطول للعذاب فيه والشدة، لأن أيام الشدة طويلة وأيام الفرح قصيرة فيكون اليوم الواحد كألف سنة من سني العذاب، وربما كان التشبيه بالنسبة إلى علمه تعالى وقدرته وقد استعمل التعبير كالف سنة لكون الألف منتهى العدد (3). فالناظر للاحتتمالات التي أوردها أبو حيان ان التشبيه المرسل في الآية حمل اثناء كبيراً في الدلالة يمكن للمتلقي أن يخرج بخياله إلى آفاق أرحب من التطور الدلالي الذي حملته التشبيه. أي بمعنى آخر "وإنَّ يوماً عند ربك من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة مما يعد البشر فكيف يستعجلونك بالعذاب لولا أنهم جهال وهذا كقولهم أيام الحزن طوال وأيام السرور قصار فمقدار العذاب في ذلك اليوم لشدته وعظمه كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا" (4) فضلاً عن ذلك فهناك آيات أخرى حملت التشبيه المرسل (5).

4- التشبيه المقلوب

- (1) التحرير والتنوير 171/7.
- (2) الحج /47.
- (3) ينظر: البحر المحيط 379/6.
- (4) القرآن والصورة البيانية /46-47.
- (5) ينظر: النساء 77، 163 ، الأعراف/187 ، إبراهيم/24، الرعد/ 37 ، الكهف /29، العنكبوت 10/، لقمان /7.

ويسمى المعكوس " وذلك بان يجعل فيه المشبه مشبها به ويجعل المشبه به مشبها" (1) ، وقد انحسر هذا النوع من التشبيه في مجال بحثنا فلاحظناه فقط في قوله تعالى : ﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقَيْنَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (2) فالناظر إلى قوله (نساء النبي) مشبهه و(أحد) مشبه به " ونساء النبي - ﷺ - في مكان القدوة لسائر النساء أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ولا توجد جماعة ممكن تعدلكن في الفضل والسابقة إذا دمتن على ما انتن عليه من التقوى فالتشبيه على القلب والأصل ليس أحد من النساء مثلكن أما إذا كان المعنى لستن كأحد من النساء في النزول فلا قلب في التشبيه " (3) فالتشبيه في هذا النص الكريم له أكثر من قراءة أسلوبية تزيد من ثرائه وتمنحه شحنة دلالية كبيرة، هذا الإيحاء يتأتى من جعل المشبه مشبها به هذا التداخل في اركان التشبيه يزيد من حلاوة التعبير لدى المتلقي ويوحي بمعانٍ متجددة.

ثانياً : - المجاز

يعمل المجاز على إثراء الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة وتنجيرها ذلك؛ لأنه عدول باللفظ عن معناه إلى معنى آخر غير مصطلح عليه ، وقبل التحدث عن المجاز لابد أن نعرّف الحقيقة، لأن الحقيقة والمجاز ثنائية ضدية، ولعلّ أقدم تعريف متكامل للحقيقة وجدناه لدى عبد القاهر الجرجاني ؛ إذ يقول : " كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح - وإن شئت قلت في مواضعه - وقوعاً لاتستند فيه إلى غيره فهي حقيقة" (4) . أما ابن جني فيعرّف الحقيقة والمجاز في كتابه الخصائص بالقول : " الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك " (5) والمجاز يعرّف أيضاً " كل كلمة أريد لها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 207/2.

(2) الأحزاب/32.

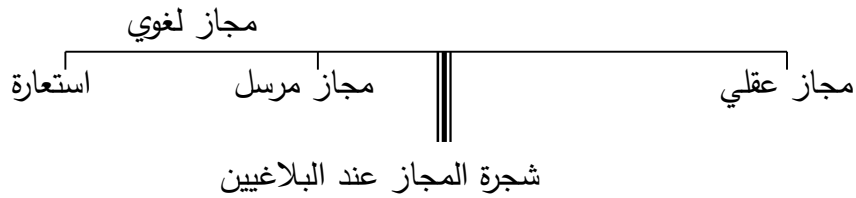
(3) القرآن إعجازه وبلاغته/154 ، وينظر الاقتباس نفسه في كتابه الآخر : القرآن والصورة البيانية ، للمؤلف نفسه/106.

(4) كتاب أسرار البلاغة /324.

(5) الخصائص 444/2.

الثاني والأول فهي مجاز" (1) . ويقول ابن قتيبة عن المجاز " وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه " (2) والملاحظة التي تجمل آراء العرب القدامى في المجاز انها عندهم " بمعنى الأسلوب وطريقة الاداء " (3) . ولم يخرج رأي المحدثين في رؤيتهم للحقيقة والمجاز في كون الحقيقة استعمال الكلام فيما وضع له في حين يكون المجاز عكسها أي بمعنى استعمال الكلام في غير ماوضع له (4) .

ولابد لنا أن نتساءل عن الذي تحدث عن المجاز أول مرة ؟ وربما نجد في آراء شيخ الإسلام ابن تيمية ما يضع النقاط على الحروف فيقول "أول من عرف انه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية مايعبر به عن الآية ولهذا قال من قال من الاصوليين كأبي الحسن البصري وأمثاله : إنما تعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص أهل اللغة على ذلك " (5) ويمكن أن نوضح شجرة المجاز عند البلاغيين كما تمثلها بعضهم (6) :-



وعلى أساس هذا الرسم التوضيحي يكون " المجاز اللغوي أو المفرد قُسم باعتبار العلاقة إلى قسمين : فما كانت علاقته المشابهة فهو الاستعارة كالأسد في الشجاع والا فهو مجاز مرسل وتكون علاقته غير المشابهة كاليد في القدرة والنعمة وأما المجاز العقلي

(1) كتاب أسرار البلاغة / 325.

(2) تأويل مشكل القرآن / 15.

(3) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب / 59.

(4) ينظر: نفسه / 57-58.

(5) الايمان / 84، وينظر: مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية 88/7 ، منهج ابن تيمية في

تفسير القرآن الكريم / 127-128، فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ، لطفي

عبد البديع / 15 ، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي / 16.

(6) ينظر: ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة / 253.

فيعتمد على إسناد الفعل إلى ما في معناه كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل وهي مشتقات تعمل عمل الفعل " (1) ، فالمجاز من مزاياه التوسع في المعنى وتوليده ولهذا " فالتوسع هو الإطار الكبير الذي تدور في فلكه كل عمليات التوليد في اللغة ومنها المجاز " (2) ونحن عندما أطلنا الوقوف مع تعريف المجاز وتطوره لكي ندلل على أثره الفني في النص القرآني ولهذا "تأتي غاية أسلوب القرآن الكريم في تملك مشاعر العرب وأحاسيسهم منبعاً للطائفة الأخرى من دواعي المجاز القرآني فمن المسلم به في الدراسات النقدية أن الأسلوب لكي يحقق هدفه في التأثير يتجنب تقرير المعاني مجردة ، ويتحاشى أداء الأفكار مباشرة ، فيتخذ من تنوع التعبيرات سبيلاً إلى تجسيم المعاني وتصوير الأفكار ، والمجاز بمختلف ألوانه هو محور هذا النوع ومصدره " (3) .

1-المجاز العقلي

يعد المجاز العقلي من أنواع المجاز المهمة ؛ إذ يعتمد على التأويل العقلي ، والمجاز العقلي كما عرّفه عبد القاهر الجرجاني هو " كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل " (4) وعليه فهو "يمثل استجابة واضحة لمنطق العقل وتصوراتهما فيما وافق تصورات العقل فهو حقيقة ومالم يوافقها إلا بتأويل فهو مجاز " (5) ، ويعرفه الخطيب القزويني بقوله " هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك انبت الربيع البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة " (6) فالعرب قد عرفوا المجاز العقلي بأنه " إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد

(1) ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة / 253 .

(2) التفكير البلاغي عند العرب اسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) / 108.

(3) المجازات القرآنية ومناهج بحثها دراسة بلاغية نقدية ، كامل حسن عزيز البصير (أطروحة دكتوراه) 616/2.

(4) كتاب أسرار البلاغة / 356.

(5) المجاز في البلاغة العربية، مهدي صالح السامرائي / 113.

(6) الإيضاح / 17.

الحقيقي فالذي يتميز به هذا الأسلوب هو أن مقومه هو الفعل أو مشتقاته⁽¹⁾ . وقد "سمي عقليا لرجوعه إلى العقل دون الوضع " ⁽²⁾ وقد تحدث العلماء العرب عن المجاز العقلي من أمثال سيبويه⁽³⁾ ، والمبرد⁽⁴⁾ ، وإمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني⁽⁵⁾ ، الذي ذكر له أسماء متعددة وعدّه كنزاً من كنوز البلاغة.

أما السكاكي فقد أنكر المجاز العقلي ونظمه في سلك الاستعارة المكنية وبذلك يخرج من علم المعاني ويدخله في علم البيان⁽⁶⁾ . ويرى الدكتور لطفي عبد البديع أن النحويين كانوا أصح نظراً وأكثر اهتماماً بالظاهرة اللغوية من علماء البلاغة فلم ينساقوا وراء العلاقات العقلية كما انساق البلاغيون إليها ولم يخدعهم الفاعل الحقيقي عن الفاعل اللغوي، وأيد الدكتور عبد البديع خطوة السكاكي في إنكاره للمجاز العقلي؛ لأنها الأقرب إلى روح اللغة⁽⁷⁾ .

علاقة المجاز العقلي

أ - السببية

وتعدّ هذه العلاقة من أولويات ظهور المجاز العقلي ، فهي العدول عن اسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي إلى سببه وذلك لأثره الكبير في تحقيق الفعل وإحداثه⁽⁸⁾ . ومن هذا النوع قوله تعالى ﴿ ... وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ... ﴾⁽⁹⁾ فالنص القرآني اشتمل المجاز وعلاقته السببية وعن ذلك يقول الزجاج : " وما رميت إذ رميت: أي لم

(1) خصائص الأسلوب في الشوقيات/210.

(2) التبيان في البيان /209.

(3) ينظر: الكتاب 1/169.

(4) ينظر: الكامل 4/127.

(5) ينظر : كتاب دلائل الإعجاز/227 ، وكتاب أسرار البلاغة/ 376.

(6) ينظر: فن البلاغة /88.

(7) ينظر: التركيب اللغوي للأدب /21.

(8) ينظر: لمحات بلاغية في معاني القرآن للأخفش الأوسط المتوفى سنة 215هـ ، فتحي عبد

القادر فريد/71 ، ومناهج وآراء في لغة القرآن ، محمد بركات حمدي أبو علي /48.

(9) الأنفال /17.

يصب رميك ذاك ويبلغ ذلك المبلغ بك إنما الله - ﷻ - متولى ذلك فهذا مجاز" (1) ، فالزجاج يصرح بمصطلح " المجاز وأثره في خلق توتر في علاقات النص او الآية بما يحمل من شحنات دلالية وقيم أسلوبية" (2) . وفي صدد حديثه عن رمي الرسول - ﷺ - وإثباته لله يقول الأخفش الأوسط : " تقول العرب : والله ماضرت غيري ، وإنما ضربت أخاه ، كما تقول ضربه الأمير ، والأمير لم يل ضربه، ومثل هذا في كلام العرب كثير " (3) وقريب من المعنى نفسه ذهب ابن جني فقال " فظاهر هذا تناف بين الحالتين ؛ لأنه أثبت في أحد القولين مانفاه قبله : وهو قوله (مارميت اذ رميت) ووجه الجمع بينهما أنه لما كان الله أقدره على الرمي ومكنه منه وسدده له وأمره به فأطاعه في فعله نسب الرمي إلى الله ، وإن كان مكتسبا للنبي - ﷺ - مشاهدا منه " (4) ورأى الدكتور أحمد سليمان ياقوت وهو يعلق على رأي ابن جني ان في النص معنى ظاهراً ومعنى خفياً وهو قائم على التضاد (5) . فالقيمة الإيحائية للتعبير متأتية من نقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، وقد أضاف عنصر المفاجأة أو عدم التوقع قيمة أسلوبية أوحى بها التعبير . فالمجاز في النص الكريم واضح فقد حكى ان الرسول محمد - ﷺ - قبض يوم بدر قبضة من تراب ورمى بها الكافرين قال - ﷺ - : شأهت الوجوه، أي بمعنى قبحت. فالقى الباري - ﷻ - القبضة في أبصارهم حتى شغلوا بها فانتصر المسلمون عليهم (6) . وقد شاطر المفسرون علماء اللغة في رأيهم بهذا النص فقال عنها الزمخشري : " يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فأثبت الرمية لرسول الله - ﷺ - ؛ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه، لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر

(1) معاني القرآن وإعرابه 449/2.

(2) الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري / 255.

(3) معاني القرآن 319/2.

(4) الخصائص 205/1، وينظر الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، أحمد سليمان ياقوت / 25.

(5) ينظر: الدرس الدلالي في خصائص ابن جني / 26.

(6) ينظر: النكت والعيون 91/2.

فعل الله - وَجَّزَ - فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة والسلام أصلاً⁽¹⁾ وقد ذهب إلى الرأي نفسه طائفة من المفسرين والدارسين ولم يخرجوا عنه⁽²⁾. إن القيمة الأسلوبية والشحنة الدلالية لاستعمال المجاز في هذا التعبير هو ما اتسم به النص من عنصر الدهشة والمفاجأة لدى المتلقي الذي أخذ يعطي افتراضات واحتمالات شتى لمجيء هذه الدلالة. وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ... ﴾⁽³⁾ والتعبير الكريم تضمن المجاز العقلي وعلاقته السببية ؛ لأنه " اسند المس إلى الضراء والبأساء وهو إسناد مجازي ؛ لأن ما يصيب الإنسان من أنواع الشدائد فهي من الله - سبحانه - ولكن أسندت ههنا إلى غير ما هي له لغرض الاختصار والإيجاز والمبالغة"⁽⁴⁾ فالمجاز عبر عن طاقات إيحائية في اللغة عن طريق التكتيف الدلالي والإيجاز الذي تضمنه. وقال تعالى ﴿ ... فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ... ﴾⁽⁵⁾ يقول القاضي عبد الجبار وهو يقف عند المجاز في هذه الآية " فالتعلق به في أن العقد من فعله تعالى بعيد ، لأن المزوج في الشاهد ليس هو الفاعل لعقد التزويج ؛ لأن العقد لا يتم به ، وإنما يوصف بذلك ؛ لأه فعل ماعنده يصح من الزوج الفعل الذي به يستبيح الاستمتاع ، والله تعالى قد فعل ذلك وسهله للرسول - ﷺ - بوجه كثيرة لولاها لما حلت له - ﷺ - فعلى هذا يحمل الكلام " ⁽⁶⁾ فالتعبير حمل في طياته المجاز العقلي وعلاقته السببية ؛ لأن " التزويج لم يكن من الله حقيقة وإنما أسند إليه تعالى من حيث فعل ماعنده يصح من الزوج الفعل الذي به يستبيح الاستمتاع، وقد فعل ذلك للرسول - ﷺ - وسهله بوجه كثيرة ويكون من إسناد الفعل

(1) الكشف 149/2-150.

(2) ينظر: التفسير الكبير 139/15-140 ، مدارك التنزيل 607/1 ، البرهان ، الزركشي 155/2-156 ، ظاهرة التأويل وصلتها باللغة ، السيد أحمد عبد الغفار / 98 ، من بلاغة

النظم العربي / 85.

(3) البقرة / 214.

(4) أساليب المجاز في القرآن الكريم / 175.

(5) الأحزاب / 37.

(6) المتشابه / 565-566.

إلى السبب ، وهو ما عرف بالمجاز العقلي لعلاقة السببية⁽¹⁾ . فالمجاز في هذا النص يعد عدولا باللفظ من حقيقته إلى معناه المجازي وخروجه من عالمه المثالي (العرفي) إلى عالم آخر مليء بالإحياء والثراء الدلالي. وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا ... ﴾ ⁽²⁾ فقولهُ (جامع) هو الأمر الموجب للاجتماع عليه على سبيل المجاز كما يرى الزمخشري؛ إذ يقول " والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو أو تشاور في خطب مهم أو تضام لإرهاب مخالف أو تماسح في حلف وغير ذلك ، أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه"⁽³⁾ فالزمخشري اكتفى بوصف الآية بالمجاز ولم يحدد نوعه في كونه من المجاز العقلي وهذا ما لمسنه عند الرازي أيضاً ⁽⁴⁾ . فأسند الجمع إلى الأمر ؛ لأنه سبب فيه⁽⁵⁾. في حين كان الطاهر بن عاشور أكثر دقة وتحديداً في وصفه فقال : " ووصف الأمر بـ (جامع) على سبيل المجاز العقلي ؛ لأنه سبب الجمع " ⁽⁶⁾ . فأسند الفعل إلى سببه إيجازاً واختصاراً لكونه أبلغ وأهم . وقال تعالى ﴿ ائْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ ⁽⁷⁾ فالتعبير تضمن العدول بنقل اللفظ من معناه الظاهر إلى معناه الباطن المجازي، مما يؤكد على القيمة الإيحائية له والشحنات الدلالية التي يتضمنها في الظاهر والباطن، فقد اسند الفعل إلى الأمر به أو الداعي إليه وهو مجاز عقلي علاقته السببية، فاللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر، فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه

(1) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /361.

(2) النور /62.

(3) الكشف /78/3.

(4) ينظر: التفسير الكبير 39/24.

(5) ينظر: كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام /61.

(6) التحرير والتنوير 307/18.

(7) العنكبوت/45.

وحأصلة منه من غير اقتضاء للعموم ⁽¹⁾ . ولهذا نرى أن " فعل (تتهى) على المجاز الأقرب إلى الحقيقة وهو تشبيهه ما تشتمل عليه الصلاة بالنهاي وتشبيه الصلاة في اشتغالها عليه بالنهاي ووجه الشبه أن الصلاة تشتمل على مذكرات بالله من أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي " ⁽²⁾ . فالأسلوب القرآني عمد عن طريق المجاز العقلي وعلاقته السببية إلى إبراز المظاهر الفنية بإسناد الأمر إلى السبب والفضل في ذلك يعود إلى الخصائص الصياغية وما تحمله من كثافة خلقة. وقال تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ⁽³⁾ فالزمخشري في هذا النص نبه على وجود المجاز بيد أنه لم يخصصه فقال " (مازادهم) إسناد مجازي ؛ لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعاد عنه كقوله تعالى ﴿ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ ⁽⁴⁾ وقريب من رأي الزمخشري وجدنا قول الدكتور عبد القادر حسين إذ لم يخصصه هو الآخر ⁽⁵⁾ . أما ابن عاشور فقد خصصه بالمجاز العقلي ؛ إذ يقول " وضمير (زادهم) عائد إلى رسول أو إلى المجيء المأخوذ (من جاءهم) وإسناد الزيادة إليه على كلا الاعتبارين مجاز عقلي ؛ لأن الرسول أو مجيئه ليس هو يزيدهم ولكنه سبب تقوية نفورهم أو استمرار نفورهم " ⁽⁶⁾ .

ب - علاقة الفاعلية :

قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ⁽⁷⁾ ، فالآية الكريمة تضمنت المجاز العقلي وعلاقته الفاعلية في قوله (البصيرة) و " البصيرة: فعلية بمعنى فاعلة وهي الحجة الواضحة، والمعنى :

- (1) ينظر: الكشاف 207/3.
- (2) التحرير والتنوير 259/20.
- (3) فاطر/42.
- (4) الكشاف 312/3.
- (5) ينظر: فن البلاغة /90.
- (6) التحرير والتنوير 334/22 وللاستزادة من الآيات التي حملت المجاز العقلي وعلاقته السببية ينظر: الفتح /3.
- (7) يوسف /108.

أدعوا إلى الله ببصيرة متمكنا منها . ووصف الحجة ببصيرة مجاز عقلي⁽¹⁾ فالمجاز ورد بعدول اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي لغرض الدلالة أو لغرض استدعاء المقام أو السياق، وهو يحمل شحنة أسلوبية تمثلت بعلاقة الفاعلية وهكذا رأيناه أن المجاز في التعبير قد أضفى على الاستعمال القرآني سمة الإيحاء . وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾⁽²⁾ ، فوردت لفظة (مستور) بمعنى (الساتر) أي استعمال اسم المفعول بدلا من اسم الفاعل وهذا إسناد من المجاز العقلي وعلاقته الفاعلية⁽³⁾ . والقريظة " الاستحالة العقلية أن يكون الحجاب مستورا والقيمة الفنية: المبالغة في ستر رسوله وحفظه من كيد الأعداء فهو مصان في حصن حصين لدرجة انه يخيل اليك ان الحجاب نفسه مصان ومستور فما بالك بمن هو مستور فيه"⁽⁴⁾ ، فالقيمة الأسلوبية للمجاز تتأتى بخروج اللفظ عن عالمه المثالي (العرفي) . إلى عالم آخر يحمل في طياته الإيحاء والتكثيف الدلالي. ويعضد رأينا هذا أن العرب " تعدل من صيغة إلى صيغة لغرضين دلاليين: أحدهما : الاستئناس بالموقع . وثانيهما : زيادة في الدلالة فلو قال (حجاباً ساتراً) لكان المعنى : كان ذا ستر ، فالدلالة واضحة حسب متطلبات سياق الخطاب، أما العدول إلى قوله (مستورا) فلفظة مستور أكثر دلالة على الستر والخفاء"⁽⁵⁾. وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمَلُونَ ﴾⁽⁶⁾ . وقد اختلف المفسرون والدارسون في وصف هذا المجاز فبعضهم يعدها استعارة وبعضهم كناية والقسم الآخر مجاز عقلي،

(1) التحرير والتنوير 65/13.

(2) الإسراء/45.

(3) ينظر: البرهان في وجوه البيان 142-143 ، الكشف 451/2، الإتيان 761/2 ، القرآن والصورة البيانية/120 ، فن البلاغة/93 ، القرآن إعجازه وبلاغته /158 ، المعاني في ضوء أساليب القرآن/151 ، علم أساليب البيان، غازي يموت/210 ، من بلاغة النظم العربي/107 ، المجاز العقلي في القرآن الكريم ، أحمد محمد علي (رسالة ماجستير)/14، أساليب المجاز في القرآن الكريم /161.

(4) البلاغة التطبيقية/194.

(5) التنوع في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية / 69-70.

(6) فصلت/5.

فالقاضي عبد الجبار خرج المعنى بخروج الكلام عن حقيقته ⁽¹⁾ ، وذهب قسم من الدارسين في تعليقه على رأي القاضي عبد الجبار أنه أراد معنى الاستعارة التمثيلية ⁽²⁾ . واكتفى الرازي بالقول "استعارات كاملة في إفادة المعنى المراد" ⁽³⁾ في حين عدّها الطاهر بن عاشور من الاستعارة المكنية فقال "والأكنة جمع كنان مثل : غطاء وأغطية وزنا ومعنى، أثبتت قلوبهم أغطية على طريقة التخيل، وشبهت القلوب بالأشياء المغطاة على طريقة الاستعارة المكنية ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى عقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ماتحته" ⁽⁴⁾ وقد عدّ قسم من الدارسين أن الآية متضمنة ثلاث كنيات وصفية متواشجة هي (قلوبنا في اكنة مما تدعوننا اليه) و(في اذاننا وقر) و(من بيننا وبينك حجاب) وهي كناية عن صفة ⁽⁵⁾ . والرأي الذي نميل إليه ان التعبير الكريم تضمن المجاز العقلي وعلاقته الفاعلية في قوله (حجاب) ؛ لأن "الإنسان إذا حيل بينه وبين شيء بحجاب فمن البديهي أنه يجهل ما وراء ذلك الحجاب تماماً فكيف الأمر إذا كان الحجاب نفسه مستوراً لا يراه ذلك الانسان وفي هذا بعد نفسي ؛ إذ صور لنا طبيعة النفس الكافرة التي تلبسها العمى فلم تعد تبصر أبصار تيقن وإدراك" ⁽⁶⁾ والسبب الآخر الذي " حدا بالقرآن الكريم إلى التعبير بأسلوب المجاز العقلي في القرآن في هذه الآية ذكر الإيمان بالآخرة مع العلم أن الإيمان بالآخرة يمثل جزءاً من عدة أشياء على المسلم أن يؤمن بها والآخرة حجت لانعلم عنها الأشياء أخبرنا القرآن الكريم والرسول ﷺ - فهي على هذا الاعتبار مستورة عنا وحالنا كحال الواقف وراء الحجاب الساتر الذي لا يعلم ما وراءه الا إذا أخبره أحد عنه فاقتضت البلاغة القرآنية أن تعبر عن معنى (الساتر) بالمستور ليحصل تناسب بين أجزاء الآية " ⁽⁷⁾ ، فالتعبير ركز على القيمة الياحائية بنقل اللفظ إلى معانٍ

(1) ينظر: المتشابه/602.

(2) ينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار /559.

(3) التفسير الكبير 98/27.

(4) التحرير والتنوير 233/24.

(5) ينظر: الكناية في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان (أطروحة دكتوراه) /224-222.

(6) المجاز العقلي في القرآن الكريم /63.

(7) المجاز العقلي في القرآن الكريم /63.

مختلفة لتسجل القيمة الأسلوبية للتعبير وهو يبتعد عن نمط الأسلوب التقريري المباشر . وقال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ⁽¹⁾ ، فالنص القرآني الكريم حوى المجاز العقلي وعلاقته الفاعلية " والأصل فان الذكرى ينفع الله بسببها المؤمنين " ⁽²⁾ ، فحمل التعبير شحنات أسلوبية زاخرة بالإيحاء وخرجت عن مألوفا وتم من خلال هذا الاستعمال قبول مالم يكن مقبولا وتوقع غير المتوقع وكل هذا الإثراء قد تأتى بفضل الاستعمال المجازي للتعبير الكريم.

ج - العلاقة المكانية :

قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ⁽³⁾ ويقول الزمخشري " أعينهم كأنها تفيض بأنفسها " ⁽⁴⁾ من غير أن يصفها بلفظ المجاز ، في حين وجدنا أبا السعود يخصصها بالاستعارة فقال " أي تمتلي بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة " ⁽⁵⁾ فالتعبير حمل معنى المجاز وقد أخبرنا الطاهر بن عاشور بنوعيته فقال: " وقد يسند الفيض إلى الطرف على طريقة المجاز العقلي، فيقال: فاض الوادي، أي فاض ماؤه ، كما يقال: جرى الوادي، أي جرى ماؤه " ⁽⁶⁾ فنرى بوضوح أن " التعبير القرآني عدل عن هذا الأسلوب أعني التعبير الحقيقي إلى أسلوب المجاز العقلي فأسند الفيضان إلى العين مما يصور مبلغ تأثرهم بالقرآن الكريم فالإنسان كلما كان حزنه شديداً وألمه عميقاً وتأثره بالغاً. كان انهمار دمه أشد فهؤلاء الموصوفون بهذه الآية انهمرت دموع عيونهم حتى كادت الأعين نفسها تفيض من شدة ذلك الانهمار فلما قصدت المبالغة في وصف تأثرهم بالقرآن وتصوير حالهم عند سماعه " ⁽⁷⁾ فالمجاز العقلي حمل آفاق من

(1) الذاريات / 55.

(2) من بلاغة النظم العربي/105.

(3) المائدة/83.

(4) الكشاف / 638/1 ، وينظر : التفسير الكبير 68/12.

(5) إرشاد العقل السليم 81/2.

(6) التحرير والتنوير 10/7.

(7) المجاز العقلي في القرآن الكريم / 101- 102 .

البحث لدى المتلقي على تصور المعنى الخفي الذي تضمنه العدول. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ...﴾⁽¹⁾ فقد جاء المجاز العقلي في قوله (تجري من تحتها الأنهار) وقد خرج اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى باطن وذلك انه اسند الجري إلى النهر ، أي إلى غير فاعله الحقيقي ؛ لأن النهر مكان جري الماء، وهو لايجري، وإنما يجري مافيه وهو الماء فإسناد الجري إلى النهر إسناد مجازي غير حقيقي وهو مجاز عقلي علاقته المكانية⁽²⁾ . وهذا المجاز من المجازات التي يكثر دورانه في اللغة بحيث تكون حقيقة. وهكذا تتجسد مظاهر المجاز الفنية في اسناد الأمر إلى غير فاعله، مما حمل خصيصة أسلوبية جمالية ،وقال تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾⁽³⁾ والناظر لهذه الآية ان العلماء والمفسرين اختلفوا في الحكم عليها أهى مجاز عقلي أم استعارة؟ ، فالقراء يرى ان الآية تضمنت المجاز ولكنه لم يصرح به فقال " يريد التي أخرجك أهلها إلى المدينة، ولو كان من قريتك التي أخرجوك كان وجهها"⁽⁴⁾ وإلى الرأي نفسه كان قول الأخفش، ويرى الدكتور فتحي عبد القادر فريد أن تعليق "الأخفش من الوضوح بمكان، ... قد استشهد بالآية السابقة بإسناد الإخراج إلى القرية وإنما هو لأهلها ؛ لأن القرية مكان لهم وتعرف تلك العلاقة بالمكانية"⁽⁵⁾ . فالرأي الذي يذهب إلى أنها من المجاز العقلي تبناه عبد القاهر الجرجاني وأورده في شواهد المجاز الحكمي (المجاز العقلي)⁽⁶⁾ . وأشار إلى الرأي نفسه الزمخشري وإن لم يصرح به فقال " وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم

(1) التحريم/ 8.

(2) ينظر: علم البيان ، بدوي طبانة/145 ، علم البيان، عبد العزيز عتيق /151 .

(3) محمد/13.

(4) معاني القرآن 59/3 ، وينظر: المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم 27/1.

(5) لمحات بلاغية في معاني القرآن للأخفش الأوسط/74.

(6) ينظر : كتاب دلائل الإعجاز /301.

ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك" (1) وإلى الرأي نفسه ذهب العز بن عبد السلام (2) ، والآلوسي (3) من القدامى والدكتور عبد الغني محمد سعد من المحدثين، إذ يقول " فقد أسند الإخراج إلى القرية على سبيل المجاز العقلي ؛ لأن القرية لايتأتى منها إخراج وإنما يتأتى من أهلها ولكن أسند الإخراج إلى القرية لتصويرها بصورة الفاعل وذلك مبالغة في تصوير شناعة الجرم الذي أرتكبه المشركون في إخراج الرسول - ﷺ - من مكة كأن القرية ذاتها أخرجته فهي بكل مافيهما من فيها مسؤولة عن هذه الجريمة مستحقة للعقاب عليها وذلك أكد للمعنى وأنسب للمقام " (4) . والرأي الآخر الذي رفض كون الآية من المجاز العقلي بل عدها من الاستعارة قد تبناه الطاهر بن عاشور فقال " والمراد بالقرية: أهلها بقرينة قولهم (أهلكناهم) وإنما أجري الإخبار على القرية وضميرها لإفادة الإحاطة لجميع أهلها وجميع أحوالهم وليكون لإسناد إخراج الرسول إلى القرية كلها وقع من التبعة على جميع أهلها سواء منهم من تولى أسباب الخروج ومن كان ينظر ولاينهى قال تعالى (وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) فقوله (أخرجتك) من باب قولك : أقدمني بلدك حق لي على فلان وهو استعارة على التحقيق وليس مجازاً عقلياً إذ ليس ثمة إخراج حتى يدعى ان سببه بمنزلة فاعل الإخراج ولاهو من الكناية وإن كان قد مثل به الشيخ في دلائل الإعجاز للمجاز العقلي والمثال يكفي فيه الغرض والاحتمال" (5) ونحن نرى أن رأي ابن عاشور كان متأرجحاً وغير مستند إلى أساس علمي ولم يقنعنا على الوجه الأكمل ، والرأي الصحيح - كما أعتقد - هو أن الآية مجاز عقلي علاقته المكانية. فالمجاز فجر اللفظ وأخرجه من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي فحمل شحنة أسلوبية هي علاقة المكانية .

د - الزمانية :

(1) الكشف 533/3.

(2) ينظر: كتاب الإشارة إلى الإيجاز/60.

(3) ينظر: روح المعاني 46/26.

(4) أسلوب الدعوة القرآنية ، بلاغة ومنهاجا/ 298.

(5) التحرير والتنوير 90-91/26.

قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ ⁽¹⁾ فقد بني التعبير للفاعل وأُسند إلى الزمان، فقد جاء التجوز في الاسناد في قوله تعالى (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقد " وصف الساعة بالثقل باعتبار ما هو مظروف في وقتها من الحوادث، فوصفها بذلك مجاز عقلي والقرينة واضحة، وهي كون الثقل بمعنى الشدة لا يكون وصفا للزمان ، ولكنه وصف للإحداث فإذا أُسند إلى الزمان ، فإسناده إليه يكون باعتباره ظرفاً للأحداث " ⁽²⁾ . فالقيمة الإيحائية للمجاز العقلي بخروج اللفظ عن الوضع العرفي له في أصل التعبير إلى معانٍ تحمل الإيحاء والثناء الأسلوبية.

هـ - علاقة المصدرية:

قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ⁽³⁾ ، فقوله تعالى (الليم) لفظة أفادت المجاز العقلي وعلاقته المصدرية "لأن (أليم) على وزن (فعل) من (ألم يألم فهو أليم) ووصف العذاب بـ(أليم) وهو لا يكون أليما وإنما الألم والوجع حقيقة للمؤلم -بفتح اللام - وهو المضروب ووصف العذاب بـ (الأليم) فيه نسبة الألم للعذاب نفسه لبيان أن الألم بلغ الغاية حتى سرى من المعذب بفتح الدال - إلى العذاب المتعلق به " ⁽⁴⁾ .

فالمجاز العقلي حمل قيمة أسلوبية ودلالية وذلك ان عدم التوقع والمفاجأة الذي يمارسه النص على المتلقي تجعله يتميز بالتكثيف الدلالي . وقال تعالى ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ ⁽⁵⁾ فقوله تعالى (طويل) مجاز عقلي ؛ علاقته المصدرية " واما وصف السبح بـ (طويل) في هذه الآية مجاز عقلي لأن الطويل هو مكان السبح وهو الماء

(1) الأعراف /187.

(2) التحرير والتنوير 202/9.

(3) الفتح /16.

(4) لغة المنافقين في القرآن 172/2.

(5) المزمّل/7.

المسبوح فيه ، وبعد هذا ففي قوله (طويلاً) ترشيح لاستعارة السبح للعمل في النهار " (1) . فخرج المجاز العقلي باللفظ من عالمه المثالي (العرفي) إلى عالم آخر يستطيع المتلقي أن يفصح عن مكنونه بمعرفة معناه الباطن.

و - علاقة المفعولية

قال تعالى ﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (2) فالمجاز العقلي تمثل في قوله (الحكيم) والحكيم جاء بمعنى المحكم وهو مجاز عقلي (3) . وعلاقته المفعولية فالخصيصة الأسلوبية لهذا التعبير تمثلت بالعدول المجازي للآية .

ز - علاقة الآلية

قال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (4) . فقولته تعالى (النزغ) مجاز عقلي علاقته الآلية، وقد أورد القاسمي رأي الزمخشري فقال " قال الزمخشري: النزغ والنسغ : الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي أي فشبهت وسوسته وإغراؤه بالغرز ، وهو إدخال الأبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد كما يفعله السائق لحث الدواب، وجعل النزغ نازغاً مجاز بالإسناد ، لجعل المصدر فاعلاً ، كجد جده" (5) في حين وجدنا الطاهر بن عاشور يعد الآلية من الاستعارة فيقول "وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان استعارة: شبه حدوث الوسوسة الشيطانية في النفس بنزغ الإبرة ونحوها في الجسم بجامع التأثير الخفي ، وشاعت هذه الاستعارة بعد نزول القرآن حتى صارت كالحقيقة" (6) . ويبدو لنا أن ماذهب إليه ابن عاشور بعيد التأويل ولم يصب كبد الحقيقة والصواب أن الآلية مجاز عقلي علاقته الآلية بدليل أن ابن عاشور نفسه قد وصف آية أخرى شبيهة بانها مجاز عقلي وهي (فصلت/36) وسنوردها لنتبين الحقيقة. قال تعالى ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

(1) التحرير والتتوير 265/29.

(2) آل عمران /58.

(3) ينظر: التحرير والتتوير 262/3.

(4) الأعراف/200.

(5) محاسن التأويل 2930/7-2931 ، وينظر الكشاف 139/2.

(6) التحرير والتتوير 230-229/9.

الْعَلِيمُ⁽¹⁾ ، يقول الزمخشري عن هذا الاستعمال " النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس ، والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي ، وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده ، أو أريد وإما ينزغك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أو لتسويله ، والمعنى: وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع"⁽²⁾ ، ويخصص الطاهر بن عاشور الآية بالمجاز العقلي فيقول " وإسناد (ينزغك) إلى (نزغ) مجاز عقلي من باب جد جده ، و(من) ابتدائية"⁽³⁾ . فأيراد ابن عاشور الآية الأعراف والتذكر بها يؤيد ما ذهبنا إليه وعلى أية حال فالمجاز في هذه الآية زاد من القيمة الأسلوبية للنص ومثل بؤرة فنية منحت المتلقي ذائقة جمالية تعبيرية في تدبر المعنى الخفي الذي يروم الإفصاح عنه .

2 - المجاز المرسل

يعد المجاز المرسل نوعاً مهماً في المجاز الذي تضمنه التعبير القرآني لما له من أثر بارز في توسع المعنى لدى المتلقي وصولاً إلى تحريك مدركاته . والمجاز المرسل "أسلوب من الكلام قوامه الاستغناء عن اللفظ الأصلي والتعبير عن المعنى بلفظ يدل على معنى آخر في أصل اللغة، ولكنهما متداعيان ملتحمان فمقومات المجاز المرسل إذن ثلاثة التعبير عن لفظ بلفظ آخر والارتباط بمقتضى التداعي واعتماد المجاز"⁽⁴⁾ . وعليه فالمجاز المرسل "ككل مجاز يوسع اللغة كما يساعد على الافتتان في التعبير وتدعو إليه المبالغة في المعنى والإيجاز في العبارة"⁽⁵⁾ وسمي "مجازاً مرسلًا ؛ لأنه أرسل أي اطلق عن التقييد بعلاقة واحدة؛ إذله عدة علاقات أو ؛ لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المطلوبة في الاستعارة ؛ إذ ليس العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما"⁽⁶⁾ . وقد تعددت علاقات المجاز المرسل وتصنيفاته طبقاً لذلك حتى بلغت عند الغزالي أربع عشرة علاقة أو تصنيف وقد اعترض عليه ابن الأثير وناقشه فيها⁽⁷⁾ .

(1) فصلت /36.

(2) الكشف /454/3.

(3) التحرير والتنوير /297/24.

(4) خصائص الأسلوب في الشوقيات /208.

(5) البيان في ضوء أساليب القرآن /155.

(6) البيان في ضوء أساليب القرآن /152.

(7) ينظر: المثل السائر 88/2 - 96 ، كتاب الطراز 69/1 - 73.

وقد حاول ابن الأثير اختزال أقسام المجاز إلى "ثلاثة أقسام هي : التوسع والتشبيه والاستعارة" (1) . ويمكن لمفهوم التوسع أن يشمل أقسام المجاز اللغوي (المرسل) وأن يشمل المجاز العقلي أيضا . " وتكشف الأسلوبية عن جوانب أخرى من قيمة المجاز المرسل تتمثل في قدرته على تلخيص خواص الأشياء في وجدان المتحدث واختزالها إلى خاصية فريدة يتركز عليها انتباهه وهكذا يصبح وسيلة من وسائل الحذف والإيجاز" (2) . وسنشرع في الحديث عن أهم العلاقات وأكثرها دورانا في بحثنا:-

علاقات المجاز المرسل

أ - **علاقة الجزئية:** قال تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... ﴾ (3) فهذا يبدو التناغم بين اللفظ وما يحمله من ظلال أسلوبية كشفت عنها دلالة التعبير ، فالآية تتأسس بنيتها على إيراد لفظة الوجه وهي الجزء من الرأس لتعبر عن الذات الانسانية أي مجاز مرسل علاقته الجزئية (4) . فالقيمة الأسلوبية لهذا النص تتمثل في الهزة والمفاجأة التي يحدثها في نفسية المتلقي وذلك بالخروج من نطاق الجملة العرفية إلى نطاق أكثر حرية يتسم بالإبداع وهو معنى واسع يتخيله المتلقي ويتدبر صوره . وقال تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ... ﴾ (5) فهذا النص يحمل في أثناءه قوله تعالى (من بيتك) وهي المدينة أو المدينة نفسها لأنها مثواه ومسكنه (6) . ولهذا القول من المجاز المرسل وعلاقته الجزئية؛ لأنه أطلق الجزء وأراد الكل (7) . وهذا القول يحتمل أكثر من قراءة أسلوبية من ناحية القصد هما : " أحدهما : كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق مع كراهة فريق من المؤمنين كذلك ينجز وعدك في نصرتك على أعدائك بالحق (والثاني) كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلى بدر بالحق كذلك جعل لك

(1) المثل السائر 96/2.

(2) النظم القرآني في تفسير القرطبي دراسة أسلوبية 31-32، وينظر: علم الأسلوب ، صلاح فضل / 208.

(3) الأنعام/52.

(4) ينظر: الكشف 21/2، التحرير والتنوير 247/7.

(5) الأنفال /5.

(6) ينظر: الكشف 143/2 ، محاسن التأويل 2954/8.

(7) ينظر: مع بلاغة القرآن /43.

غنيمة بدر بالحق " (1) فالتعبير الكريم احتوى على سلسلة من الاحتمالات الأسلوبية والشحنات الدلالية التي حملها لنا المجاز المرسل ومكن المتلقي أن يتخيل مايشاء من القصد الذي أدته الآية الكريمة لتفتح افقه على مجالات أوسع وأرحب. وقال تعالى ﴿...فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (2) فالمجاز المرسل تضمنه قوله (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) فأريد بالبنان، مطلق الأطراف وهو مجاز مرسل من تسميته لكل بالجزء، وذلك لأنها وقعت في مقابلة الأعناق والمقاتل ، والتقدير للآية : اضربوهم كيفما اتفق من المقاتل وغيرها (3) . فنرى عند تحسس الشحنات الدلالية للفظ أنه يخرج عن معناه العرفي إلى معاني ودلالات أخرى تفهم من السياق فالنص الكريم مجاز مرسل علاقته الجزئية. وقال تعالى ﴿أَنْ يَخْذَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبُصْرِهِ وَإِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ...﴾ (4)، فنلمس المجاز المرسل في قوله (وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) وعلاقته الجزئية بإطلاق القلب وإرادة القبائل، يقول القاضي عبد الجبار في هذا الاستعمال "ان التأليف بين القلوب حقيقة أن ينضم بعضها إلى بعض وذلك مما لا يصح أن يكون مرادا والتأليف إنما يكون فيما يرجع إلى الفاعلين بينهم لابين قلوبهم ومتى ذكر القلب في ذلك فهو مجاز" (5) فالقاضي عبد الجبار لم يحدد المجاز بوصفه مرسلا ولكن ظاهر كلامه يدل على ذلك فالنص القرآني أطلق " القلب وأراد قبيلة الأوس والخزرج" (6) فالمجاز عمل على استكناه اللفظ عن طريق الثراء الدلالي الذي تضمنه وأضاف خصيصة أسلوبية جمالية إلى التعبير. وقال تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى الثَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (7) فالقيام جزء من الصلاة فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية، لأن قوله

(1) النكت والعيون 82/2.

(2) الأنفال /12.

(3) ينظر: محاسن التأويل 2961/8.

(4) الأنفال /62-63.

(5) المتشابه 324-325، وينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار 320.

(6) البيان في ضوء أساليب القرآن /145.

(7) التوبة/108.

تعالى (لاتقم فيه أبداً) يريد بها الصلاة مجازاً ، القيام في هذه الآية أريد بها الصلاة ومثله قوله تعالى (قم الليل الا قليلاً) ⁽¹⁾ ، وحمل المعنى نفسه قسم من الدارسين ⁽²⁾ . فجاء النص الكريم مشتملاً على المجاز المرسل من باب التجوز بلفظ بعض عن كل وفي هذا العدول ملمح أسلوبى وقيمة أسلوبية تدل على شمولية لفظة الإقامة وماتوحي به من ثراء دلالي ومقاصد عدة. وقريب إلى هذا المعنى أيضاً قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ⁽³⁾ فالقيام ببعض الصلاة كما يرى الزركشي ⁽⁴⁾ . وتابعه في هذا الرأي من المحدثين الدكتور فتحي أحمد عامر ⁽⁵⁾ ، والدكتور عبد القادر حسين ⁽⁶⁾ ، فعبر بالجزء وأراد الكل وهو الصلاة من أنواع المجاز المرسل. وهناك من يرى أن إيراد لفظ الإقامة لأن القيام من أكثر أركان الصلاة مكابدة من قبل الإنسان، فضلاً عن محل تلاوة القرآن الكريم وليبين صورة المشقة التي كان يتحملها الرسول محمد - ﷺ - في اثناء اقامته في

الليل ⁽⁷⁾ ولذلك عبر التنزيل الكريم عن هذا الأمر بصيغة المجاز المرسل وعلاقته الجزئية ⁽⁸⁾ . وهناك آية أخرى حملت الدلالة نفسها قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ⁽⁹⁾ .

ب - اعتبار ماسيكون

- (1) ينظر: لغة المنافقين في القرآن 259/1.
- (2) ينظر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني /130 ، وأساليب المجاز في القرآن الكريم/286.
- (3) المزمّل /1-2.
- (4) البرهان 65/2 ، وينظر الإنتقان 756/2 ، إرشاد العقل السليم 783/5 ، روح المعاني 102/29.
- (5) ينظر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني /130.
- (6) ينظر: القرآن إعجازه وبلاغته/173.
- (7) ينظر : التفسير الكبير 172/30.
- (8) ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم /286.
- (9) الإسراء /78.

قال تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾⁽¹⁾ ، والعرب تقول لمن لم يميت : إنك ميت عن قليل ومائت . ولا يقولون للميت الذي قد مات هذا مائت؛ انما يقال في الاستقبال، ولا يجاوز به الاستقبال، وكذلك يقال: هذا سيد قومه اليوم ، فاذا أخبرت أنه يكون سيدهم عن قليل قلت هذا سائد قومه عن قليل وسيد⁽²⁾ وبالمعنى نفسه عبّر الزمخشري بقوله " والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد، وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غداً. أي سيموت وسيسود ، وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت، والمعنى في قوله (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) إِنَّكَ وَإِيَّاهُمْ وَإِنْ كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى ؛ لأن ما هو كائن فكأن قد كان"⁽³⁾ والآية مجاز مرسل علاقته اعتبار ماسيكون، وظاهر الآية يشي " أنك ستموت وأنهم سيموتون ولابد من المصير المحتوم مستقبلاً بدليل مقام الخطاب ؛ لأن من مات فعلاً لا يخاطب، وفي كل ذلك صور غير الكائن كائناً وسمى ما كان باسم ما سيكون استعمالاً للإحداث"⁽⁴⁾ فضلاً عن ذلك فالنص القرآني اشتمل على عدة تأويلات في دلالاته أخبرنا عنها الماوردي فيقول " هذا خطاب للنبي - ﷺ - أخبر بموته وموتهم ، فاحتمل خمسة أوجه (أحدها) أن يذكر ذلك تحذيراً من الآخرة. (الثاني) أن يذكره حثاً على العمل (الثالث) أن يذكره توطئة للموت. (الرابع) لئلا يختلفوا في موته كما اختلف الأمم في غيره ..."⁽⁵⁾ . إن المجاز في هذا النص حمل جملة من الاحتمالات الأسلوبية والشحنات الدلالية الظاهرة والباطنة، فهو يزخر بالمعاني المتعددة وليس محددًا باحتمال معين، وذلك لما يحتويه التعبير من خصائص فنية في صياغته وكثافة خلاقة في دلالاته . وهذه سمة أسلوبية يتميز بها التعبير القرآني في تعدد قراءاته الأسلوبية. وقريب من هذا القول قوله تعالى ﴿رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾⁽⁶⁾ فالنص الكريم حمل لنا المجاز المرسل في قوله

(1) الزمر/30.

(2) معاني القرآن 2/232.

(3) الكشف 3/397.

(4) البيان في ضوء أساليب القرآن /146.

(5) النكت والعيون 3/468.

(6) البينة /2.

(يتلوا صحفا) وهو إطلاق اسم الشيء على مايؤول إليه ⁽¹⁾ . فالمجاز كان متدفقا بإحياء واضح وتكثيف دلالي ومحملاً بشحنات أسلوبية خرجت عن مألوف التعبير إلى سمة إبداعية واضحة تزرع المفاجأة والهزة لدى المتلقي لكي يستذوق عظمة الباري - ﷻ - وقدرته.

ج - الخصوص :

قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ... ﴾ ⁽²⁾ فالآية الكريمة زخرت بالإحياء المتأاتي من استعمال المجاز المرسل وعلاقته الخصوص، وهو خطاب للرسول محمد - ﷺ - والمراد الناس جميعا ⁽³⁾ ولهذا خرج المجاز من دلالاته العرفية إلى دلالة إبداعية تتسم بالشمول ولكي تفتح الآية أمام المتلقي آفاقا رحبة من وضع التأويل الأكثر ملاءمة لطبيعة السياق. وقال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفَّقُونَ﴾ ⁽⁴⁾ فالآية الكريمة اشتملت على المجاز المرسل وعلاقته الخصوص بقوله (بالعدو) وهي من إطلاق الخاص وإرادة العام، وإن بلاغة المجاز المرسل تتأتى من هؤلاء الأعداء عداوتهم للإسلام وللرسول - ﷺ - كاملة غير مختلفة من شخص لآخر، فهذا المجاز حمل تحذيرا للمسلمين للانتباه وعدم الاغترار بما يفعله الأعداء من المودة في الظاهر ؛ لأنهم يضمرون عكس ذلك في الخفاء ⁽⁵⁾ .

د - العموم :

قال تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ ... ﴾ ⁽¹⁾ فالمراد بالناس هو الرسول ومن معه من المؤمنين ⁽²⁾ . وهو من المجاز المرسل وعلاقته العموم ⁽³⁾ .

(1) ينظر: التحرير والتنوير 477/30.

(2) الأحزاب/1.

(3) ينظر: البرهان ، الزركشي 271/2 ، التصوير البياني / حفني محمد شرف /232.

(4) المنافقون /4.

(5) فنون التصوير البياني ، توفيق الفيل / 64-65.

فالمجاز في النص منحنا انطباعاً جديداً في إثارة هزة انفعالية مشحونة بالسّمات الأسلوبية . وهي العدول عن مخاطبة الرسول مباشرة إلى مخاطبة العموم وذلك عبر لفظة (الناس) ولهذا العدول ميزته في ابراز الدلالة بالشكل الأمثل.

هـ - الآلية :

قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾⁽⁴⁾ فالتعبير تضمن المجاز المرسل وعلاقته الآلية، يقول الزمخشري: "(بلسانك) أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهّلناه وفضّلناه"⁽⁵⁾ فهنا العلاقة الآلية⁽⁶⁾. فاللسان عبر بطريقة المجاز عن اللغة وهكذا جاء العدول لاعطاء النص إحياء وحمل شحنة أسلوبية هي الآلية ، وشبيه بهذا النص قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽⁷⁾ ، فالزمخشري يرى أن قوله (يسرناه) " أي سهّلناه حيث انزلناه عربياً بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا"⁽⁸⁾ ، وهنا نرى أن "اطلاق اللسان وهو اسم الجارحة المعروفة في الفم على اللغة مجاز شائع ؛ لأنّ أهم ما يستعمل فيه اللسان الكلام قال تعالى ﴿بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽⁹⁾ " فالآلية مجاز مرسل وعلاقته الآلية، ويمكن أن يقرأ لفظ اللسان على الحقيقة ويراد به العضو المعروف في جوف الإنسان والله أعلم . فالمجاز عمل على تفجير الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة وذلك بالعدول عن اللفظ الظاهر إلى معنى مجازي . وقال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ

(1) النساء /54.

(2) ينظر: التفسير الكبير 10/132.

(3) ينظر: التصوير البياني ، حفني محمد شرف /232.

(4) مريم/97.

(5) الكشف 2/527.

(6) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن / 150.

(7) الدخان/58.

(8) الكشف 3/508.

(9) التحرير والتنوير 25/321.

لَكُمْ ... ﴿⁽¹⁾ فيقول الزمخشري " الأذن : الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملة أذن سامعة" ⁽²⁾ .

فالنص حمل معنى المجاز المرسل وعلاقته الآلية فقد " عبر بالأذن وأريد ذات النبي ؛ إذ بالأذن يقع السمع وفي التعبير بذلك ما يدل على أن جملة المقبل آلة للاستماع مبالغة في ولعه بالأصغاء للوشاة" ⁽³⁾ . فالعدول المجازي إلى لفظة الأذن كان متواشجاً مع طبيعة السياق فالنص حمل سمة أسلوبية تظهر عن طريق التخييل الذي يشتمل عليه التعبير فعمل المجاز على التكتيف والدقة في إيراد الدلالة.

و - علاقة الإطلاق :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ⁽⁴⁾ ، فالنص الكريم تضمن المجاز المرسل وعلاقته الإطلاق في قوله (مقاعد) ونرى ان معنى (مقاعد للقتال) " مواطن ومواقف، وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق" ⁽⁵⁾ . وقد تأرجح الطاهر بن عاشور في تأويل هذه الآية مرة يقول عنها كناية أو مجازاً مرسلأً علاقته الإطلاق. وحجته في ذلك شيوع هذا الكلام إلى الحد الذي يتساوى المقر والمكان فيه ومنه قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ ⁽⁶⁾ والذي نطمئن إليه أنها مجاز مرسل علاقته الإطلاق وليست كناية. فدعامة المجاز ومرجعه يقوم على أساس عدوله عن المعنى الظاهر إلى معنى خفي يفهم من السياق وبذلك يتخلص الكلام من تقريريته وتظهر ملامح الإيحاء والثراء الدلالي عليه. وقال تعالى ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ... ﴾ ⁽⁷⁾ فالنص يشي بالمجاز المرسل وعلاقته الإطلاق؛ لأن " إطلاق الملك بمعنى

(1) التوبة/61.

(2) الكشاف 199/2.

(3) البيان في ضوء أساليب القرآن /144.

(4) آل عمران /121.

(5) الكشاف 460/1.

(6) ينظر: التحرير والتنوير 71/4.

(7) المائدة/76.

الاستطاعة القوية الثابتة على سبيل المجاز المرسل⁽¹⁾ للمجاز المرسل هنا وقع مهم فهو يضيف ظلال أسلوبية على النص وذلك عن طريق التخييل الذي اشتمل عليه التعبير، فهو يمثل عملاً إبداعياً يعطي المتلقي انطباعاً أو هزة انفعالية.

ز - علاقة السببية / اطلاق المسبب وأريد السبب:

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾⁽²⁾ فالآية الكريمة قد اختلف فيها المفسرون والدارسون بين كناية أو استعارة أو مجاز عقلي أو مجاز مرسل، فنرى ان الشريف المرتضى في أماليه وصف قوله تعالى (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) و(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) كنايةتين بارعتين⁽³⁾.

أما القرطبي فقال عن (الإحياء) في الآية " إحياء مستعار ؛ لأنه من موت الكفر والجهل"⁽⁴⁾ في حين قال الألوسي "واطلاق ما ذكر على العقائد والأعمال وكذا على الجهاد إما استعارة أو مجاز مرسل باطلاق السبب على المسبب"⁽⁵⁾ وقريب من هذا التصور قول القاسمي "أي الحياة الدائمة، فيكون مجازاً مرسلًا، بإطلاق السبب على المسبب أو استعارة. وقيل (لما يحييكم) أي من العلوم الدينية التي هي مناط حياة القلب، كما أن الجهل موته"⁽⁶⁾ ويذهب أحد الباحثين إلى أن قوله (لما يحييكم) مجازين عقلي ولغوي، تمثل اللغوي في الاستعارة التصريحية باستعارة معنى الحياة للتعبير عن الهداية وكذلك في إقامة شرع الله وهو هنا مجاز في المثبت . أما فيما يخص المجاز العقلي فتمثل في إسناد الإحياء إلى ما جاء به الرسول محمد ﷺ - من القرآن والسنة وهو هنا إسناد مجازي وقد كانت الغاية

(1) التحرير والتنوير 289/6.

(2) الأنفال/24.

(3) الأمالي 526/1، وينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم /161.

(4) الجامع لأحكام القرآن 389/7.

(5) روح المعاني 190/9.

(6) محاسن التأويل 2973-2974/8.

من هذين المجازين بعث الحياة والإحياء في النفس الإنسانية لكي تقاوم الموت وما يؤدي إليه بحركة متوثبة قائمة على التفاؤل (1) .

وبعد عرض هذه الآراء نرى أن النص الكريم هو مجاز مرسل علاقته السببية باطلاق المسبب وأريد السبب وفي هذا المجاز من الشحنات الأسلوبية المهمة التي أفصح عنها دلالة اللفظ والمفاجأة التي جابهت المتلقي في إعطاء التأويل المناسب للنص كل ذلك ماكان ليتم لولا استعمال المجاز المرسل لغاية أسلوبية تعبيرية .

وقال تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (2) ، لفظة (الرجز) تعني العذاب فاطلق المسبب وأريد السبب ؛ إذ يقول الزمخشري عن الآية " اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم، والمعنى: الثبات على هجره ؛ لأنه كان بريئاً منه " (3) ، وعليه يكون الرجز : العذاب المسبب عن عبادة الأصنام (4) . وأريد السبب وفصل القاسمي القول في الاستعمال فقال " وقيل : المراد بالرجز العذاب وهجره كناية عن هجر ما يؤدي إليه من الشرك والمعاصي . فالرجز مجاز، وقد أقيم مقام سببه. أو هو بتقدير مضاف ، أي أسباب الرجز أو التجوز بالتنشيه " (5) . ونحن نرى أن تأويل الآية مجاز مرسل علاقته السببية وهو استعمال بليغ في التحذير من عبادة الأصنام وسوء العاقبة المترتبة عليه .

ح - علاقة المسببة / إطلاق السبب وأريد المسبب

قال تعالى ﴿ أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (6) ، وعن الآية يقول الزمخشري " فإن قلت : لم سميت السابقة قدماً ؟ قلت: لما كان السعي والسبق

(1) ينظر: المجاز العقلي في القرآن الكريم /133.

(2) المدثر/5.

(3) الكشف /4/181.

(4) ينظر: البرهان، الزركشي 2/260، التصوير البياني ، حفني محمد شرف/228.

(5) محاسن التأويل 16/1973.

(6) يونس /2.

بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً ؛ كما سميت النعمة يداً ؛ لأنها تعطى باليد" (1) . وأشار الرازي إلى العلاقة من غير أن يخصص الآية بالمجاز المرسل فقال "وأعلم أن السبب في إطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ، أن السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم، فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يداً، لأنها تعطى باليد" (2) . في حين كان الآلوسي أكثر تحديداً فعدها من المجاز المرسل وقال " (عند ربهم) وأصل القدم العضو المخصوص واطلقت على السبق مجازاً مرسلًا لكونها سببه وآلته وأريد من السبق الفضل والشرف والتقدم المعنوي إلى المنازل الرفيعة مجازاً أيضاً فالمجاز هنا بمرتبين" (3) وقريب من رأي الآلوسي كان رأي القاسمي (4) .

ط - علاقة المحلية :

قال تعالى ﴿يَأْيُهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ (5) ، فالنص الكريم تضمن المجاز العقلي، والمجاز المرسل وعلاقته المحلية، فالطاهر بن عاشور يحدد المجاز العقلي فيقول " وإسناد الأحران إلى الذين يسارعون في الكفر مجاز عقلي ليست له حقيقة ؛ لأن الذين يسارعون سبب في الأحران، وأما مثير الحزن في نفس المحزون فهو غير معروف في العرف ولذلك فهو من المجاز الذي ليست له حقيقة وأما كون الله هو موحد الأشياء كلها فذلك ليس مما تترتب عليه حقيقة ومجاز، إذ لو كان كذلك لكان غالب الإسناد مجازاً عقلياً" (6) كما حدد الدكتور عبد الفتاح لاشين المجاز المرسل وعلاقته المحلية بقوله "فعبر بالأفواه عن الألسن إذ هي محلها" (7) فالتعبير الكريم زخر بالمجاز مما منح النص القرآني إحياء متدفقا وسمة أسلوبية واضحة مما أثار لدى المتلقي هزة انفعالية مشحونة بالقيمة الأسلوبية الإبداعية

(1) الكشف 224/2.

(2) التفسير الكبير 7/17.

(3) روح المعاني 62/11.

(4) ينظر: محاسن التأويل 3322/9.

(5) المائدة/41.

(6) التحرير والتنوير 197/6.

(7) البيان في ضوء أساليب القرآن /148.

لكون المجاز قد عدل بظاهر اللفظ إلى معنى خفي وجميل ومعبر . وقال تعالى ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ ... ﴾ (1) فالآية من المجاز المرسل وعلاقته المحلية باطلاق اسم الحال على المحل ، فقال الزركشي " وقال الحسن في قوله (إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ) أي في عينيك واستبعده الزمخشري وقدر يعني في رؤياك" (2) . فالمجاز المرسل عبر أصدق تعبير عن قيمة فنية كبيرة وهي العدول بلفظة (يريكهم في منامك) إلى معنى خفي هو (عينيك) ليعبر عن سياق زاخر بالإحياء وليزيده جمالاً في الصياغة وتكثيفاً في الدلالة.

ي - الحالية :

قال تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ (3) ، فقد أطلق لفظ الحال ويراد به المحل وهو من علاقات المجاز المرسل، فالمجاز المرسل تمثل في قوله (مقاماً محموداً) ؛ إذ وصف المقام بأنه محمود " ووصف مجازي والمحمود من يقوم فيه " (4) فهذا المجاز أعطى المتلقي الحرية في تأمل هذا الأسلوب وهذا النوع من الصياغة التي أكدت براعة التعبير القرآني وسموه ورفعته.

ك - علاقة الزوم:

قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (5) ، فالآية من المجاز المرسل وعلاقته اللزوم (6) في قوله تعالى (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ) وهو هنا يحمل النص الكريم دلالات متعددة تضمن للقارئ الحرية في وضع الاحتمال المناسب عن طريق تحسس الشحنات الدلالية التي تضمنها النص .

ل - علاقة المجاورة :

(1) الأنفال / 43.

(2) البرهان 2/ 282 ، وينظر: الكشف 2/ 161.

(3) الإسراء / 79.

(4) التحرير والتتوير 15 / 185.

(5) النساء / 63.

(6) التحرير والتتوير 5/ 108.

قال تعالى ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾⁽¹⁾ ، فالنص القرآني مجاز فلم يكن تطهير الثياب وحده كافياً للطهارة المطلوبة بل طهارة البدن وقد مال التعبير إلى استعمال المجاز المرسل لعلاقة المجاورة فلو قال الباري - عَزَّوَجَلَّ - طهر بدنك لما صح الاستعمال ولكن التعبير عدل إلى استعمال الثياب تعبيراً عن المجاورة مع البدن⁽²⁾ .

م - علاقة المشاركة :

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾⁽³⁾ ، فاذا الله ورسوله يكون بوسائل الكفر وانكار النبوة وهذه الآية من المجاز المرسل وعلاقته المشاركة أي ان لفظة (يؤذون) تحتل معنى الحقيقة والمجاز أي المشاركة في المعنى وفي هذا الصدد نرى طائفة من المفسرين يطلقون على الآية وصف المجاز بصيغته العامة من غير تحديد ماهيته في كونه مجازاً مرسلًا ومن هؤلاء الزمخشري⁽⁴⁾ ، والنسفي⁽⁵⁾ ، وأبو السعود⁽⁶⁾ ، أما القاسمي فحدد نوع المجاز بالمرسل فقال " وقيل المراد بأذية الله ورسوله ارتكاب ما لا يرضيانه، مجازاً مرسلًا ؛ لأنه سبب ، أو لازم له . وإن كان بالنسبة إلى غيره، فإنه كان في العلاقة وذكر الله والرسول على ظاهره . ومن جوز إطلاق اللفظ الواحد على معنيين كاستعمال اللفظ المشترك في معنييه أو في حقيقته ومجازه ، فسر الأذية بالمعنيين باعتبار المعمولين فتكون بالنسبة إليه تعالى ، ارتكاب ما يكره مجازاً ، وإلى الرسول على ظاهره، فان تعدد المعمول بمنزلة تكرار لفظ العامل فيجيء فيه الجمع بين المعنيين⁽⁷⁾ فضلاً عن ذلك فابن عاشور هو الآخر وصف المجاز في الآية بالمرسل فقال " وفعل (يؤذون) معدى إلى اسم الله على معنى المجاز المرسل في اجتلاب غضب الله وتعديته إلى الرسول حقيقة فاستعمل (يؤذون) في معنييه

(1) المدثر /4.

(2) ينظر: فنون التصوير البياني /178.

(3) الأحزاب /57.

(4) ينظر: الكشف /273/3 .

(5) ينظر: مدارك التنزيل /78/3.

(6) ينظر: إرشاد العقل السليم /332/4.

(7) محاسن التأويل /4906/13.

المجازي والحقيقي " (1) . فالمجاز هنا مثل هالة من القيم الأسلوبية التي انبثقت من كثرة التخيلات التي يستحضرها المتلقي في معرفة هذا التجوز ، كما أن ثراء النص متأت أيضاً من الدلالة للفظه واعطاء المعنى الحقيقي لها في وجهها الثاني، فالمتمعن للتعبير يمكن أن يقرأ ذلك الأمر على الحقيقة والمجاز .

ن - علاقة الحلول :

قال تعالى ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (2) ، فالنص الكريم اشتمل على المجاز المرسل وعلاقته الحلول ؛ لأنه ملك لله يراد به الكائنات التي في تلك الجهات فيعم الجميع (3) وهكذا فالمجاز المرسل عبّر عن ذائقة جمالية ذات شحنات أسلوبية بخروج اللفظ ليفيد العموم أي جميع الناس وليتسم بالشمولية والدقة وكل ذلك لم يكن ليحدث لولا وجود المجاز الذي زخر بالإيحاء والسمات الأسلوبية الخلاقة.

إنّ المجاز المرسل في هذه الآيات والآيات الأخرى (4) التي وقفنا على تحليلها يبين مدى اقتدار التعبير القرآني وكثافته في إبراز الدلالة التي تمنح المتذوق لهذا النص صفة المفاجأة والاندھاش متدبراً روعته وحسن نظمه وتواشج معانيه.

(1) التحرير والتنوير 104/22.

(2) مريم /64.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 140/16.

(4) للاستزادة من الآيات التي حملت المجاز المرسل تنتظر : مريم /84 ، آل عمران / 31، 159 ، الأنعام/109، النساء/81، الكهف/6، الفتح/1، النور/41، 50، العلق/19.

ثالثاً :- الاستعارة

يقول أرسطو " البراعة في المجازات ، لأنها ليست مما نتلقاه عن الغير ، بل هي آية المواهب الطبيعية ، لأن الإجازة في المجازات معناها الإجازة في إدراك الأشباه" (1) . وتأسياً على ذلك أولى علماءنا العرب موضوع الاستعارة عناية فائقة، ومن الذين ذكروها هو أبو عمرو بن العلاء (2) وكذلك الجاحظ الذي عرفها بقوله: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه " (3) كما تعرض ابن قتيبة لموضوع الاستعارة ووضع فروقاً بينها وبين المجاز، فالمجاز عنده أعم من الاستعارة ويعرفها فيقول: "العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاوراً ، أو مشاكلاً فيقولون للنبات، نوء؛ لأنه لا يكون عن النوء عندهم" (4) . وعرفها الرمانى قائلاً "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للابانة" (5) . وعرفها أبو هلال العسكري "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض" (6) .

(1) فن الشعر /64.

(2) ينظر: حلية المحاضرة/ 136/1.

(3) البيان والتبيين 1/153، وقد أفاض الدكتور حمادي صمود الحديث عن جهود الجاحظ البلاغية والأسلوبية وربطها بالعصر الحاضر؛ إذ يقول "والسياق الوحيد الذي تحدث فيه بشيء من التفصيل عن مقوماته كانت بمناسبة تعريفه بمؤلفه الضائع إلا أن الأوجه الأسلوبية والبلاغية المذكورة في هذا النص لا تتجاوز مسألة الاستعارة باعتبارها وجهاً بلاغياً يتولد من تعليق الكلام وتوزيعه وتركيز الخطاب القرآني على الطاقة الإيحائية للغة كطريقة من طرق أداء المعنى ذلك الذي سمّاه الجاحظ إيجازاً مرة واختصاراً مرة أخرى والفرق في استعمال هذا الأسلوب بين القرآن وغيره من الخطابات الأدبية فرق في الدرجة لا في النوع" التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)/ 294.

(4) تأويل مشكل القرآن/ 134، وينظر: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية محمد رمضان الجربي/153.

(5) النكت في إعجاز القرآن/ 79.

(6) كتاب الصناعتين/ 274.

ووقف عبد القاهر الجرجاني عند موضوع الاستعارة في كتبه المتعددة. (1) كما وجدنا تعريف الاستعارة عند السكاكي فيقول: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرق الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به" (2). ويعرفها ابن الأثير فيقول: "تقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد؛ لأن التشبيه يشارك الاستعارة فيه" (3). ويعرفها أيضاً: "وهو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره، وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه" (4). كما عرفها الطيبي؛ إذ يقول: "اعلم أن الكلام الذي فيه التشبيه ولم تذكر الأداة، لا يخلو من أن يذكر الطرفان أو أحدهما، والثاني الاستعارة" (5) فالاستعارة إذن تبنى على جمال الصورة واختزال التعبير لكونها "أحد اعمدة الكلام وعليها المعمول في التوسع والتصرف وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر" (6). وبعد هذا الاستقراء المقتضب لتعريف الاستعارة لدى القدامى لا نبغي أن نطيل القول كثيراً في ذكر الجميع، لأن هذا الأمر قد تكفلت به دراسات جادة متخصصة في موضوع الاستعارة. (7) أما الأمر الآخر فأن موضوع الاستعارة بسبب أهميته لم يعن به البلاغيون والنقاد العرب القدامى فحسب بل تعدى ذلك إلى الفلاسفة منهم الفارابي، (339هـ)، وابن سينا (428هـ) وكذلك ابن رشد (595هـ). (8)

(1) ينظر: كتاب أسرار البلاغة / 28، 29، 41، كتاب دلائل الإعجاز / 74، 431.

(2) مفتاح العلوم / 369.

(3) المثال السائر، 2 / 83.

(4) الجامع الكبير / 82.

(5) التبيان في البيان / 187، وينظر: المجاز في البلاغة العربية / 120.

(6) الوساطة القاضي الجرجاني / 428.

(7) ينظر: فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي / 18-

19، الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب / فاضل عبود خميس التميمي / (أطروحة

دكتوراه) / 7-16.

(8) ينظر: الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب / 17.

ولم نكن بدعاً في التنويه بهذا الأمر فقد سبقنا الدكتور سعد مصلوح إلى القول إن مبحث الاستعارة "لا يعني البلاغيين وحدهم بل يعني جمهرة كبيرة من اللسانيين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين والمناطق" (1) .

أما الدراسات الحديثة فقد تصدت هي الأخرى لمبحث الاستعارة وتميزت اتجاهات عربية وعربية حديثة في دراسة الاستعارة كانت "تستغل جميعها بمظلة اللسانيات ولكنها تختلف في الآفاق النظرية وفي كيفية تناول وفي اللغة الواصفة وفي المادة المستخلصة منها النظرية" (2) ويتحدث في هذا الشأن محمد الهادي الطرابلسي فيقول: "الاستعارة عند العرب أسلوب من الكلام يكون في اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في الأصل لعلاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي وهي لا تزيد عن التشبيه إلا بحذف المستعار له فهي ضرب من التشبيه حذف أحد طرفيه الرئيسيين والعلاقة فيها بين الموصوف وصورته هي التشابه دائماً غير أنه تشابه كالتحام وتقارب كانسجام؛ لأنه مفض الافناء أحد الطرفين في الآخر ولذلك كانت الاستعارة عندهم من قبيل المجاز" (3) ، فالرؤية الأسلوبية الحديثة لموضوع الاستعارة قامت في الأساس على تأكيد الجانب الانفعالي فيها. ويقول ريتشاردز "إن الاستعارة شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللغوي إنها انحراف عن اللفظ الاعتيادي للاستعمال" (4) .

وعلى هذا تكون الاستعارة "انتقال في الدلالة لأغراض محددة وإنّ هذا الانتقال لا يصح ولا يتم إلا إذا قام على علاقة عقلية صائبة تربط بين الأطراف وتسير عملية الانتقال من ظاهر الاستعارة إلى حقيقتها وأصلها" (5) وهي على ضوء هذا الفهم "اختيار معجمي تقترب بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي" collocation اقتراناً دلالياً ينطوي على تعارض - أو عدم انسجام - منطقي ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية

(1) في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية/177-178.

(2) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص/ محمد مفتاح/ 81-82.

(3) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ 161-162.

(4) في الاستعارة/ ترجمة ناصر حلاوي/ مجلة كلية الآداب/ جامعة البصرة، ع 9/س 7/ص 270،

وينظر: الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب/17.

(5) الصورة الفنية/245، وينظر: المبالغة في البلاغة العربية/ غالي سرحان القرشي/190.

Semanticdeviance تثير لدى المتلقي شعوراً بالدهشة والطرافة وتكمن علة الدهشة والطرافة فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع" (1) ولما كانت الاستعارة تقوم على مبدأ الإيجاز فقد أغرت الدراسة الأسلوبية على اعتمادها بوصفها تحقق الاقتصاد اللغوي كما يسميه الدكتور صلاح فضل. (2) ؛ لأن الأسلوبية الغربية صار "من مهماتها خلق أوجه التعبير الأدبي عن طريق شكل التعبير الذي يقوم على أسلوب إيجازي استعاري" (3) . إن المتخصص للاستعارة القرآنية- التي نحن بصدد الحديث عنها وهي موضوع -بحثنا- يجد أن كثيراً "من الاستعارات والتشبيهات في القرآن تدخل نطاق الحرج ؛ لأنها تتعلق بالذات أو بالعقيدة أو بصور البعث وموقف أبي عبيدة من هذه جميعاً موقف اللغويين يأخذ بظاهر القول إلى أمد محدود غاية المعنى المجازي القريب" (4) وهو مذهب لديهم خالفهم في ذلك المعتزلة. فغايتهم في تحليل النص القرآني الابتعاد عن دائرة الحرج أو التجسيم الذي وقع فيه المعتزلة وأتباعهم. والاستعارة القرآنية لا تحدد عند أسلوب المدح فحسب وإنما تدخل أحياناً في إطار التهكم ولا سيما عندما يكون الحديث عن الكفار وأهل الشرك والنفاق فاستعمل النص القرآني الألفاظ الدالة على المدح ونقيضها الذم على حسب السياق التي ترد فيه. (5) ونتساءل حقاً ما هو السر الكامن في جمال الاستعارة القرآنية؟

وربما نجد في إجابة الدكتور أحمد بدوي ما يشفي غليلنا فيقول: والسر في جمال الاستعارة في القرآن هو بعد حسن تصويرها وإيضاحها للمعنى وإيجازها في أدائه اختيار ألفاظها وحسن تركيبها ومراعاة حسن تشبيهها الذي بنيت عليه ألفاظ القرآن موحية

(1) في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية/ 187.

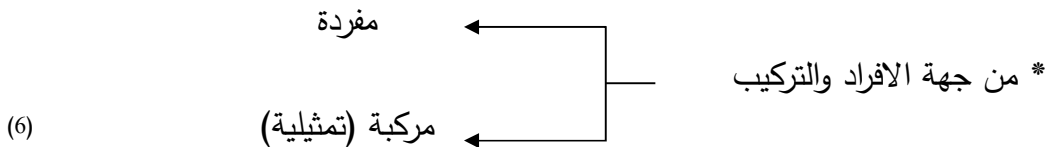
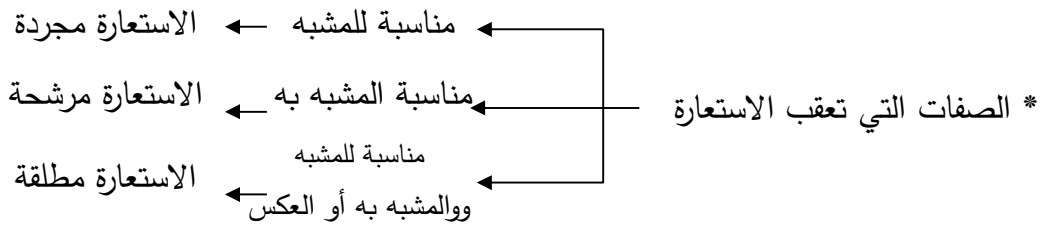
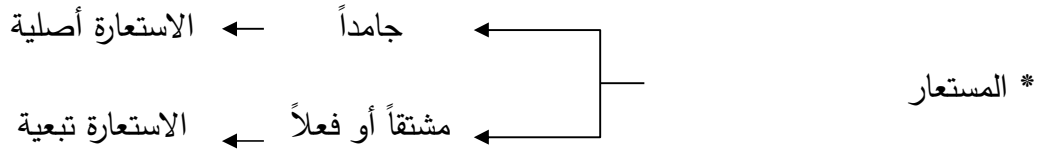
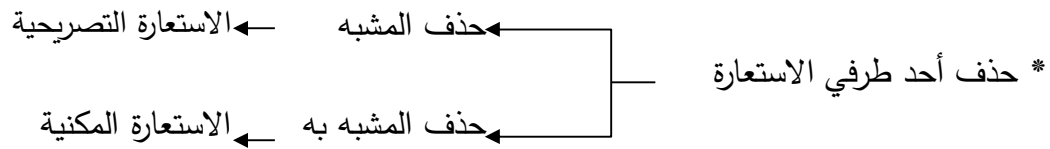
(2) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته/ 257.

(3) الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب/ 44، وينظر: الأسلوب والأسلوبية/ بيرجيرو/ 88-89.

(4) أثر القرآن في تطور النقد العربي الحل آخر القرن الرابع الهجري/ 47.

(5) ينظر: التصوير البياني/ حفني محمد شرف/ 306.

صادقة في جعل السامع أو القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه كما أنها تصور المنظر للعين وتثقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموساً محسناً. (1)
وقسم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى: استعارة مفيدة وغير مفيدة (2) كما قسمها عدد من البلاغيين المتأخرين منهم الرازي (3)، والسكاكي (4)، والقزويني (5)، وقد اجتهدنا في رسم تقسيماتها على وفق المخطط الآتي:



(1) من بلاغة القرآن / 217، وينظر: التصوير البياني، حفني محمد شرف/ 303-304.

(2) ينظر: كتاب أسرار البلاغة/ 29-31.

(3) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز/ 127.

(4) ينظر: مفتاح العلوم 373.

(5) ينظر: الإيضاح 176-182.

(6) ينظر: جواهر البلاغة / 303 - 331

وستتناول في بحثنا أشهر أنواعها :

1 - الاستعارة التصريحية

تعرف الاستعارة التصريحية بأنها "ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه"⁽¹⁾ فقد مثلت الاستعارة التصريحية ملمحاً بارزاً في النص القرآني فعلى "مستوى الصورة الظاهر يكون أقرب مأخذاً ودالة أبين أثراً في التركيب إذا ذكر المستعار بلفظه في الاستعارة ولذلك تعد الاستعارة التصريحية أبسط مظهر يخرج فيه هذا النوع من التصوير في الكلام أما درجة عمق المدلول ومدى بعد المرمى فيتحكم فيهما المتعلقات خاصة"⁽²⁾ ولقد كثرت الاستعارة التصريحية في التعبير القرآني حتى برزت بشكل واضح، ويرى أحد الباحثين في حديثه عنها "أن الاستعارة التصريحية هي التي يذكر في تركيبها (المشبه به) الذي هو (المستعار منه) صريحاً ويحذف (المشبه) الذي هو (المستعار له) الذي يكتب بحذفه من التعبير معاني جديدة وإبحاءات وجمالية نتيجة تفاعل طرفي الاستعارة (المستعار منه والمستعار له) وبذلك يحقق التعبير بالاستعارة الأصلية ومنها التصريحية في التعبير القرآني في سياقها ما لا يحققه التعبير بالحقيقة"⁽³⁾.

ومن الآيات التي تضمنت الاستعارة التصريحية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽⁴⁾ . فقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ حمل معنى الاستعارة التصريحية التهكمية، لأن البشارة عادة للأمر السار والمفرح أما عندما تطلق في الشر والعذاب فتفيد التهكم. وهذا ما ذهب إليه طائفة من المفسرين⁽⁵⁾ . فالاستعارة في هذا النص "تتحقق عمودياً بين (بشرهم) البنية الحاضرة، و(انذرهم) البنية الغائبة في حين أنه لا يوجد تشابه بين التبشير والإنذار، وعلى هذا تخرج الاستعارة التهكمية من وصف الاستعارة الذي

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، 155/1.

(2) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ 163.

(3) الاستعارة في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان (رسالة ماجستير)/49.

(4) آل عمران/21.

(5) ينظر: مجمع البيان 43/3، التفسير الكبير 230/7، التحرير والتنوير 207/3.

يشترط التشابه بين حقلي الاستعارة الحاضر والغائب" (1) . فالاستعارة التصريحية كانت بؤرتها قوله (بشرهم) إذ استعملت في غير معناها الحقيقي، وهذا يمثل الجانب الانفعالي في الاستعارة فوردت الاستعارة التهكمية وتعريفها بأنها "ما استعمل في ضد معناه، نقيضه بتنزيل التضاد، أو التناقض منزلة التناسب" (2) . وهذا هو تعريف التهكمية التي يدعوها ابن قتيبة بـ (المقلوب) (3) . ويذكرها الزمخشري بـ (العكس في الكلام). (4) ومن الآيات التي حملت الاستعارة التصريحية التهكمية قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (5) .

فالآلوسي يرى ان قوله "(بشر) موضع انذر تهكماً بهم ففي الكلام استعارة تهكمية وقيل موضع أخبر فهناك مجاز مرسل تهكمي" (6) .

ويقول الدكتور محمد عبد المطلب عن الاستعارة التهكمية "يتخذ البلاغيون من هذه النظرة التقسيمية وسيلة لانتاج دلالات اضافية تستوعبها بنية الاستعارة مثل دلالة (التهكم).. قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فالبشارة والإنذار لا يجتمعان بحال ومن ثم جاء هذا الناتج العنادي التهكمي" (7) فالبشرى في النص الكريم استعملت للشر، وهذا التضاد بين المعاني قد ألح عليه التعبير القرآني كثيراً ليعطي إحساساً بالتهكم اللاذع المرير، فيقدم للمتلقي أبعداً جميلة إلى تلك الصورة الساخرة المبدعة، فيعمل النص بفضل المفاجأة والدهشة التي تتبعث منه على كسر سمة الألفة بين الثواب والعقاب أو بين الخير والشر، وهنا يكون العدول قيمة أسلوبية تتسم بالتفرد بكسر الحواجز المنطقية بين الأشياء كل ذلك جاء عن طريق الاستعارة التصريحية التهكمية.

(1) التوازي في القرآن الكريم/ 195.

(2) الإيضاح/ 290.

(3) ينظر: تأويل مشكل القرآن/ 142.

(4) ينظر: الكشف 104/1.

(5) النساء/ 138.

(6) روح المعاني 171/5.

(7) البلاغة العربية قراءة أخرى/ 175، وللاستزادة من الآيات التي حملت الاستعارة التصريحية

التهكمية بنظر: التوبة/ 3، 34، لقمان/ 7، الجاثية/ 8، آل عمران/ 21.

وقال تعالى: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾ (1) ، فالتعبير الكريم اشتمل على الاستعارة. (2) في قوله (السلخ) وهو خروج جسد الحيوان من جلده واستعير هنا للانفصال المعنوي أي الاقلاع عن العمل بدين الجاهلية لفساده. (3) وهنا الاستعارة تصريحية ؛ لأنها قامت عن طريق كلمة (انسلك) برسم "صورة عنيفة للتملص من هذه الآيات، لأن الانسلاخ حركة حسية قوية" (4) فالاستعارة التصريحية رسمت "المشهد التصويري لحالة هذا الرجل في تلاشي عناصر الخير عنده جملة، وتجرده منها تجرداً كاملاً يوحى بكيفية تجرد الشاة عن إهابها ونزعها لردائها اثناء السلخ في بطء وتدرج وشدة حتى عادت سناً آخر في الهيكل والصورة والنحول وكذلك أمر هذا الرجل إذا استحال إلى حقيقة أخرى جوفاء مترهلة وبديهي أن الآيات في إدراك المعرفة أمر عقلي وإن السلخ أمر مادي فاستعير هنا المحسوس للتعبير عن المعقول بصورة شاخصة تنبض بالتعبير الحي فثبتت الحقيقة الواقعة للأمر من المجرّد العقلي إلى الإدراك الحسي المتميز" (5) فالاستعارة أدت الجانب الانفعالي عن طريق تشخيص الأشياء المعنوية العقلية بالمادية مما منح التعبير إحياء وحركة ابتعدت عن التقرير المباشر للفظ. وقال تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ...﴾ (6) فقد وقف العلماء العـرب قـديماً وحبـديماً فـي تحليـل هـذه الـآيـة فتعـرض لـها البلاغيون (7) ، والمفسرون (8) ،

(1) الأعراف/175.

(2) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن / 51.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 9/176.

(4) التصوير الفني في القرآن / 74.

(5) الصورة الفنية في المثل القرآني / 202.

(6) إبراهيم/1.

(7) ينظر : النكت في إعجاز القرآني / 85، تلخيص البيان في مجازات القرآن/121، التنزيه /

185، كتاب الإشارة إلى الإيجاز/ 61 ، الطراز 1/ 213 .

(8) ينظر: الكشف/2/365، التحرير والتنوير 13/180.

وغيرهم (1) . فنرى "الاستعارة التصريحية قد تحققت في كلمتي الظلمات والنور ، إذ حذف المشبه وصرح بالمشبه به والتقدير: (من ضلال كالظلمات إلى إيمان النور)" (2) فالمراد بالظلمات في الآية: الجهل والضلال، وأريد بالنور: العلم والهداية وهي استعارة محسوس لمعقول بوجه بعضه محسوس وبعضه الآخر معقول، فالمشبه به في الحالتين (الظلمات والنور) محسوسان أما المشبه في الحالتين الآخرين (الجهل والعلم) فمعقولان والأمر الجامع بين الجهل والظلام. هو عدم رؤية الطريق أو المنهج الصحيح الذي يوصل إلى النجاة، فالاستعارة هنا في جميع المواضع تصريحية أصلية مطلقة (3)، وقال تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ.....﴾ (4) فالناظر إلى قوله (فاصدع) بدلاً من (بلغ) وفيه استعارة والملاحظ أن أول من تحدث عن هذه الاستعارة من غير تخصيص لنوعها هو الرماني فقال "حقيقته فبلغ ما تؤمر به والاستعارة أبلغ من الحقيقة ؛ لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج" (5) . وإلى الرأي نفسه وقف القدماء في تحليل هذه الاستعارة من غير أن يحددوا نوعها منهم الشريف الرضي (6) ، وابن أبي الأصبع المصري (7) ، والعلوي (8) ، والسيوطي (9) ، وتابع هذا الرأي طائفة من الباحثين والدارسين المحدثين (1) ،

- (1) ينظر: فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي/ 48-49، البيان في ضوء أساليب القرآن/ 162، التعبير الفني في القرآن الكريم / 204، المشاهد في القرآن الكريم / 357، إعجاز القرآن البياني/ 345، الإعجاز في نظم القرآن / 104، التصوير البياني / 260، البلاغة التطبيقية/ 221-222، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها 1/ 155، الاستعارة في القرآن الكريم/ 2، أساليب المجاز في القرآن الكريم/ 227.
- (2) ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة/ 268.
- (3) أساليب المجاز في القرآن/ 227.
- (4) الحجر / 94.
- (5) النكت في إعجاز القرآن/ 80، وينظر: مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية/ عبد السلام عبد الحفيظ/ 163، الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره/ عبد الغني محمد سعد/ 89 ، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ/ 99، المجاز في اللغة وفي القرآن / 260-261.
- (6) تلخيص البيان في مجازات القرآن / 104.
- (7) بديع القرآن/ 22.
- (8) كتاب الطراز 1/ 245.
- (9) معترك الأقران 1/ 226-227.

فضلا عن ذلك فقد خصص عدد من الدارسين المحدثين نوع الاستعارة في الآية الكريمة وعدّوها من الاستعارة التصريحية التبعية ⁽²⁾، فالاستعارة في الآية تصريحية تبعية ؛ لأنه - في الحقيقة استعارة محسوس لمحسوس بوجه معقول. ⁽³⁾ فالاستعارة حملت شحنة دلالية بفضل تفاعل المستعار والمستعار له . إنّ الاستعارة هنا تتميز بالإيحاء " والقيمة الفنية أنّها من الاستعارات الخاصة الغريبة لخفاء الجامع فيها بسبب التباعد بين الطرفين، وأنّها تمتاز بالإيجاز وتوحي بشدة التأثير في المشاعر والعقول الإنسانية وأن الذي يتغلغل الايمان في قلبه لا يمكن أن يعود إلى الكفر وإلى حالته الأولى كما أن الزجاج المحطم لا يمكن أن يعود إلى صورته السابقة" ⁽⁴⁾ فقد رأى الدارسون القدامى والمحدثون أنّه لو استبدلت كلمة (اصدع) بكلمة (بلغ) لذهب الحسن عن هذه الاستعارة وتلاشى تأثيرها فالصدع رسم صورة حية متحركة لا يمكن لكلمة بلّغ أن ترسمها. ⁽⁵⁾

فالاستعارة هنا ذات فاعلية أدبية أسلوبية نقلت المعاني بإيحاءاتها إلى تخيل واسع لدى المتلقي وتصوره للشيء غير الطبيعي بأنه طبيعي ومقبول. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ⁽⁶⁾ . فالاستعارة تمثلت في قوله (زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) . "فاستعار الزهرة لما يظهر من زينة الدنيا ورونقها وادراك لذاتها كالزهرة اذا تفتح واعجبت نضارته وحسن بهجته" ⁽⁷⁾.

(1) ينظر: الإعجاز في نظم القرآن/ 102-103 ، التصوير البياني/ محمد محمد أبو موسى/ 212، نظرية المعنى في النقد العربي مصطفى ناصف / 39-40، القرآن والصورة البيانية/ 173، البلاغة العربية قراءة أخرى/ 181.

(2) ينظر: المجاز اللغة وفي القرآن/ 261، البلاغة التطبيقية/ 225-226، البيان في ضوء أساليب القرآن/ 168-169، أساليب المجاز في القرآن الكريم/ 236.

(3) ينظر: أساليب المجاز في القرآن الكريم/ 236.

(4) البلاغة التطبيقية/ 225-226.

(5) ينظر: الإتقان 75/2، مباحث في علوم القرآن/ صبحي الصالح/ 326، الإعجاز في نظم القرآن/ 102-103.

(6) طه/ 131.

(7) كتاب الطراز 239/1.

فهي من "الاستعارات التصريحية البديعة" (1) فعملت الاستعارة بفضل التفاعل والتوتر بين بؤرة الاستعارة والاطار المحيط بها على الانسجام بين المستعار والمستعار له مما أوجد ثراء دلاليًا مال إلى الحسية. فنأى بالنص عن التقريرية. فضلاً عن ذلك فالآية حوت على "تصور آخر سبق الاستعارة يتمثل في قوله «وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ» حيث عمق معنى الاستعارة فالعين لا تمتد ولكن البصر هو الذي يمتد وفي ذلك تأكيد في النهي عن الأعراض من السقوط في أسر التهالك في جمع حطام الدنيا" (2). وقال تعالى: «وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعُمِّي عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعْ....» (3). فالنص الكريم زخر بعدة ألوان من أساليب البيان منها التشبيه والاستعارة، ويقول الطاهر ابن عاشور في هذا المنحنى "هذا التكرار هنا ما بين التشبيهين من الفروق مع اتحاد الغاية؛ فانهم شبهوا بالموتى في انتقاء إدراك المعاني الذي يتمتع به العقلاء، وبالصم في انتقاء إدراك بلاغة الكلام الذي يضطلع به بلغاء العرب." (4) ويضيف إلى هذا القول أيضاً "وشبهوا ثالثاً بالعمي في انتقاء التمييز بين طريق الهدى وطريق الضلال من حيث إنهم لم يتبعوا هدي دين الإسلام والغاية واحدة وهي انتقاء اتباعهم الإسلام ففي تشبيههم بالعمي استعارة مصرحة، ونفي إنقاذهم عن ضلالتهم ترشيح للاستعارة؛ لأن الأعمى لا يبلغ إلى معرفة الطريق بوصف الواصف" (5).

وهكذا وجدنا أن المراد "بلفظ (العمي) في المواضع - الضالون وقد شبهوا بالعمي بجامع عدم الاهتداء إلى الصواب، فالاستعارة تصريحية. وهي استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي" (6).

فالاستعارة حملت شحنة دلالية أسلوبية؛ إذ تدخل مجموعة من العناصر المتنوعة غير المكتملة، ليقوم الذهن بعقد علاقات بينها للتواشج فيما بينها وإمكان نيابة بعضها عن

(1) الاستعارة في القرآن الكريم أحمد فتحي رمضان (رسالة ماجستير) / 93.

(2) نفسه / 93.

(3) النمل/ 81.

(4) التحرير والتنوير 36/20.

(5) نفسه/ الصحيفة نفسها.

(6) أساليب المجاز في القرآن الكريم/ 263.

البعض الآخر. وقريب من هذا النص قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ (1). فالاستعارة في النص الكريم تتمثل في عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين. (2) من خلال قوله تعالى ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ وهي "استعارة تصريحية حيث استبدل لفظ الكافرين (بالموتى) بجامع عدم التبصر والوعي فهم مسلوبو لحياة الحقيقة التي يبعثها الإيمان بالله الذي يحيي القلوب والأبدان" (3). فالقيمة الأسلوبية لهذا النص تتمثل في التداخل الحيوي بين طرفيها المستعار منه والمستعار له. لكي نعود بتخيّلنا إلى الملائمة بين الأشياء المتنافرة ما بين اللفظ ودلالته. وهذا ما رأيناه في استعارة الموتى للكافرين الذين يصمون آذانهم عن الحق والتبصر.

وقال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (4)، وقد اختلف العلماء والدارسون في وصف هذه الآية، بعضهم عدّها من المجاز والآخر استعارة تصريحية. ويطالعنا قول الشريف الرضي الذي يقول: "وهذا القول مجاز واستعارة؛ لأن النبي - ﷺ - لا يجوز أن ينتهي عظم ذنبه إلى حال انقراض الظهر وهو صوت تقعع العظام من ثقل الحمل؛ لأن هذا القول لا يكون الا كناية عن الذنوب العظيمة والأفعال القبيحة وذلك غير جائز على الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم -" (5). في حين عدّ القاسمي الآية استعارة تمثيلية ويكون الوضع ترشيح لها. (6) أما ابن عاشور فعدها من المجاز العقلي؛ إذ يقول "واسناد (انقض) إلى الوزر مجاز عقلي، وتعديته إلى الظهر تبع لتشبيه الشقة بالحمل، فالتركيب تمثيل لمتجشم المشاق الشديدة بالحمولة المثقلة بالاحمال تنقيلاً شديداً حتى يسمع لعظام ظهرها فرقة وصرير. وهو تمثيل بديع؛ لأنه تشبيه مركب

(1) الروم/ 52.

(2) ينظر: كتاب التسهيل، 125/3.

(3) الاستعارة في القرآن الكريم/ 88.

(4) الانشراح/ 2-3.

(5) تلخيص البيان في مجازات القرآن/ 279.

(6) ينظر: محاسن التأويل 6189/17.

قابل لتفريق التشبيه على أجزائه" (1) . وبما أن الوزر "الذنب حملاً ثقيلاً يوضع عن النبي - ﷺ - ومثل به لأعباء الرسالة وأحمالها" (2) ولأن الوزر في واحد من التأويلات هو الذنب. (3) فالآية من الاستعارة التصريحية كما يرى الدكتور محمد علي أبو حمدة إذ يقول "المشبه: الهم وما كان يعانيه الرسول - ﷺ - من الأمور المستعصية. المشبه به: الوزر (وهو ما يحمله الإنسان) على سبيل الاستعارة التصريحية والحمل شيء مادي محسوس ويفضل المعنوي في وضوح الدلالة" (4) وهذا ما نطمئن اليه، فالاستعارة التصريحية تضمنها قوله (وزرك) ولو استبدلت هذه اللفظة بكلمة (ذنبك) لما أدت هذا الإيحاء ولذهب الحسن من الاستعارة. فالشحنات الدلالية في النص القرآني التي تتمثل في هذه الاستعارة عملت على تحريك ذهن المتلقي إلى فك رموز الألفاظ وإبداء التلاءم المطلوب بين أجزاء الاستعارة، المستعار له والمستعار منه. إن النصوص التي وقفنا عندها في هذه الآيات والآيات الأخرى (5) التي اشتملت على الاستعارة التصريحية بينت صوراً ذات فاعلية أسلوبية ضمن النص فتجعل رد الفعل إيجابياً خلافاً متدفقاً.

2 - الاستعارة المكنية

تمثل الاستعارة المكنية واحدة من أهم أنواع الاستعارة لمالها من أثر عميق في ذهن المتلقي، والسبب في ذلك أنها تتميز "بدرجة أوغل في العمق مرجعه إلى خفاء لفظ المستعار وحلول بعض ملائماته محله مما يفرض على المتقبل تخطي مرحلة إضافية في العملية الذهنية التي يكتشف إثرها حقيقة الصورة" (6) . وتعرّف الاستعارة المكنية بأنها

(1) التحرير والتنوير 410/30.

(2) التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم ، محمود السيد حسن / 514.

(3) ينظر: النكت والعيون 475/4.

(4) من أساليب البيان في القرآن الكريم/ 138.

(5) للاستزادة من الآيات التي حوت الاستعارة التصريحية ينظر: البقرة/101، المائدة/100، الأنعام/25، 50، 93، إبراهيم/30، الكهف/29، الشعراء/215، لقمان/6، سبأ/53، ص/45، الزمر/39، الطور/30، النجم/33، الحديد/12، الطلاق/11، المزمل/7، النازعات/42، الضحى/7، البينة/2.

(6) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ 166 .

الاستعارة التي يذكر فيها المشبه كطرف من طرفي التشبيه. (1) أو هي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه. (2) واهتم ابن المعتز من القدامى بموضوع الاستعارة بشكل عام وأكثر من ذكر الاستعارة المكنية متمثلاً بالشواهد وفي هذا الصدد علق الدكتور شوقي ضيف على جهد ابن المعتز قائلاً "وتكاد الشواهد جميعها أن تكون من باب الاستعارة المكنية ؛ لأنها فعلاً كانت موضوع النقاش بين المحافظين من اللغويين والشعراء وبين من ينزعون نحو التجديد المسرف" (3) ومن هنا نلاحظ أهمية هذا النوع من الاستعارة بسبب كونه " أكثر بلاغة في توكيد المعنى وتوضيحه وفي أعمال العقل واجتهاده من التصريحية (ولقد اعتبر الصولي الاستعارة المكنية أجل استعارة وأحسنها وكلام العرب جار عليها) (4) " وجملة القول في الحديث عن هذا الموضوع " أن الاستعارة المكنية ما حذف منها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه الذي به كما له أو قوامه وإثبات هذا اللازم للمشبه به هو الاستعارة التخيلية وبذلك تكون الاستعارة التخيلية قرينة المكنية لا تفارقها إذ لا استعارة بدون قرينة وهي ما كان المستعار له فيها غير محقق لاحتساً ولا عقلاً بل يكون صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقيق بقسميه" (5) . ومن الآيات التي وردت فيها الاستعارة المكنية قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (6) . وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ (7) .

فالاستعارة المكنية وردت في قوله: (قل قتال فيه كبير) في الأولى وقوله (قل فيهما إثم كبير) في الثانية، ولاحظنا قوله (كبير) في الآيتين قد تضمن الاستعارة المكنية، والكبير هو عظيم الجثة من نوعه، وهو هنا مجاز عن القوة والكثرة وقد بنيت الاستعارة

(1) ينظر: مفتاح العلوم/604.

(2) ينظر: التصوير البياني/ محمد أبو موسى /167.

(3) البلاغة تطور وتاريخ/70.

(4) فن الإستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي /38 .

(5) نفسه /40.

(6) البقرة/ 217.

(7) البقرة/ 219.

على تشبيه المعقول بالمحسوس، فنراه يشبه القوي في نوعه بعظيم الجثة في الأفراد، وقد أفادت الاستعارة معنى العظيم في الإثم بقرينة المقام. (1) فأضفت هذه الاستعارة على المعنى بعداً جديداً أكسبه قوة في إيصال الفكرة من خلال الشحنة الدلالية التي حملتها هذه الاستعارة وكذلك عنصر المفاجأة والدهشة التي زرعتها لدى المخاطب. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ.....﴾ (2)

، فالخوض استعارة من خوض الماء وهي استعارة مشهورة عند الدارسين. (3) فالاستعارة أسست حضورها عن طريق "تشبيه استهزاء الكافرين وسخريتهم من آيات الله بماء آسن يخاض فيه ثم حذف المشبه به (المستعار منه) ودل عليه الرادف أو الخاصية المتمثلة (بالخوض) على سبيل الاستعارة المكنية" (4). فالعدول باللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مغاير جاء عبر صورة الاستهزاء التي ظهرت على الكافرين بآيات الله وصورة خوض الماء الآسن لتقيم علاقات متواشجة متلاحمة الأركان عبر سياق الآية وشحناتها الأسلوبية. وقال تعالى: ﴿.....وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (5).

فالمتعمن في التعبير الكريم يطالع أكثر من استعارة، منها استعارة "الإصر والاعلال". فالأصر الثقل الذي يأصر صاحبه. (6) وهو استعارة لما كان في شرائعهم من الأعمال الشاقة. (7) ويرى محمد رشيد رضا أنه "مثل لنقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم وكذلك الاعلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة" (8)، أما

(1) ينظر: التحرير والتنوير 326/2.

(2) الأنعام/ 68.

(3) ينظر: النكت في إعجاز القرآن / 91، تلخيص البيان في مجازات القرآن/36، نهاية الإيجاز

في دراية الإعجاز/ 133، التحرير والتنوير 289/7.

(4) الاستعارة في القرآن الكريم/111.

(5) الأعراف/157.

(6) ينظر: التفسير الكبير 25/15.

(7) ينظر: محاسن التأويل 2882/7.

(8) تفسير المنار 219/9.

ابن عاشور فكان غير مستقر في رأيه عند وصف هذه الآية فمرة ينعتها بالمكنية وأخرى تبعية فيقول "فان كان كما قيده الزمخشري يكن (ويضع عنهم أصرهم) تمثيلية تشبيه حال المزال عنه ما يخرج من التكاليف بحال من كان محملاً بثقل فأزيل عن ظهره ثقله، كما في قوله تعالى ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وان لم يكن كذلك كان (الاصر) استعارة مكنية و(يضع) تخيلاً وهو أيضاً استعارة تبعية للإزالة" (1). أما الاستعارة الأخرى في الآية فهي قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي﴾ . يقول الرازي "(واتبعوا النور الذي انزل معه) وهو القرآن وقيل: الهدى والبيان والرسالة، وقيل الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور فإن قيل: كيف يمكن حمل النور ههنا على القرآن؟ والقرآن ما أنزل مع محمد، وإنما أنزل مع جبريل. قلنا: معناه إنه أنزل مع نبوته؛ لأن نبوته ظهرت مع ظهور القرآن" (2) ونرى على ذلك ان "أجزاء هذا التمثيل استعارات، فالاتباع يصلح مستعاراً للقرآن؛ لأن الشيء الذي يعلم بالحق والرشد يشبه بالنور، وأحسن التمثيل ما كان صالحاً لاعتبار التشبيهات المفردة في أجزائه" (3) فالنور "هنا مستعار للبيان والحجة الكاشفة عن الحق، المزالة للشك، النافية للريب وليس بين النور، والحجة التي جاء بها رسول الله - ﷺ - اشتراك الأمن جهة الصورة العقلية" (4). ويذهب أحد الباحثين إلى أن الاستعارة تصريحية فيقول "شبه القرآن الكريم بالنور... لأنه يضيء قلب المؤمن فيرشده إلى المنهج الصحيح والاستعارة تصريحية أصلية بجريانها في الجامد" (5) وهذا ما نؤيده ونوافق عليه. والله أعلم. فالنص الكريم حمل استعارات عدة زاخرة بالإحياء وخرجت عن الأصل في الاستعمال المثالي للفظ إلى معانٍ أخرى متميزة. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (6)، فقوله تعالى

(1) التحرير والتنوير 136/9.

(2) التفسير الكبير 26-25/15.

(3) التحرير والتنوير 138/9.

(4) فنون التصوير البياني / 275.

(5) أساليب المجاز في القرآن الكريم / 228.

(6) الأنفال / 1.

(ذات بينكم) اختلف في وصفها فالقاسمي يعدّها كناية عن المنازعة والخصومة. (1) أما الدكتور عبد الحميد محمد العبيسي فيصف قوله (ذات بينكم) بأنها "لون بياني هو الاستعارة بالكناية فقد جعل ما بينهم من الحال لملاستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الأمور المضمرة في الصدور (ذات الصدور)" (2). فضلا عن ذلك فهناك استعارة في قوله (يسألونك) بصيغة المضارع مع أن السؤال قد مضى وفات، وهو استعارة تتبعية في الفعل فاشتق السؤال (يسأل) بمعنى (سأل) على سبيل الاستعارة التبعية والقرينة هي إسناد الفعل للسائلين من المجاهدين. (3) فالاستعارة تدخل في مجموعة من العناصر المتنوعة غير مكتملة، فنقوم بعقد علاقات بينها لاكتمالها. والتعدد الذي رأيناه في إيراد الاستعارة في هذا النص جعله ينقل المخاطب إلى آفاق رحبة وقال تعالى: ﴿.....نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا.....﴾ (4). فالتعبير القرآني الوارد في قوله (السرادق) فيه "تخيل الاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار، وأثبت لها سرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم، وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية" (5). فالاستعارة منحت النص القرآني إحياء متجدد عذب استعملت استعمالاً موفقاً تتجسد بأبرز مظاهرها الفنية، فالقيمة الأسلوبية عبر عن القصد الفني الذي أراده سياق الآية. وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (6). فقوله (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) استعارة مكنية أي طريق موصل إلى الحق. (7) فشبه الباري - وَجَّهٌ - الهدى بالطريق الموصل إلى المطلوب ورمز إليه بالمستقيم ؛ لأن دلالة لفظة (المستقيم) أسرع إيصالاً. (8) فالاستعارة المكنية التي ظهرت

(1) ينظر: محاسن التأويل 101/9 .

(2) مع بلاغة القرآن/31.

(3) ينظر: نفسه /29.

(4) الكهف/29.

(5) التحرير والتنوير 308/15.

(6) الحج/67.

(7) ينظر: روح المعاني 197/17، التحرير والتنوير 330/17.

(8) ينظر: التحرير والتنوير 330/17.

في النص جاء محملاً بالتكثيف الدلالي ، فنرى التفاعل أو التوتر ما بين بؤرة الاستعارة والإطار المحيط به، من خلال علاقة التشابه بين أركان الاستعارة . وقال تعالى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾ . فالاستعارة في النص الكريم وردت في قوله (واخفض جناحك)؛ لأن الطائر إذا أراد أن ينحط خفض جناحه وإذا أراد أن ينهض رفعه وهو مستعار من حال الطائر. ⁽²⁾ فالآية استعارة مكنية فإنه لم يقل جناح الذل فالرسول محمد - ﷺ - أمر بخفض جناحه وهو جانبه أما الولد أمر بخفض جناحه ذلاً فلا بد مع خفض جناحه أن يذل لأبويه وهذا بخلاف الرسول - ﷺ - فإنه لم يؤمر بالذل فاقتران ألفاظ القرآن تدل على اقتران معانيه وإعطاء كل معنى حقه فضلاً عن أنه سبحانه كمل ذلك بقوله (من الرحمة) فهو جناح ذل من الرحمة لا جناح ذل من العجز والضعف فيكون الأول محموداً والثاني مذموماً⁽³⁾ وعدّ أبو حيان الآية كناية عن التواضع. ⁽⁴⁾ ونراه تأويلاً ضعيفاً. ونحن نرى أن الآية استعارة مكنية، وقد تمثلت القيمة الأسلوبية للبنية الاستعارية في التضاد ما بين اللفظ ودلالته فقد خرج اللفظ عن معناه الظاهر إلى معانٍ مليئة بالإحياء بعيدة عن التقريرية فالاستعارة ذات فاعلية أدبية أسلوبية. وقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾ . فالناظر إلى الآية الكريمة يلمس أنها مشتملة على الاستعارة ويخبرنا الشريف الرضي أنها استعارة والمراد بها ألن كنفك لهم. ⁽⁶⁾ أما الزمخشري فذهب إلى أن الطائر إذا انحط كسر جناحه وإذا نهض رفعه ولم يذكر لفظ الاستعارة صراحة. ⁽⁷⁾ واختلف الرازي عن

(1) الشعراء/215.

(2) ينظر: التفسير الكبير 173/24، إرشاد العقل السليم 181/4، محاسن التأويل 4648/13 .

(3) ينظر: منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم/ 131.

(4) ينظر: البحر المحيط 46/7.

(5) الحجر/ 88.

(6) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن/ 103.

(7) الكشف 397/2-398، وينظر: النظم القرآني في كشف الزمخشري/161.

هذا المنحنى وجعل خفض الجناح كناية على اللين والتواضع. (1) فالجناح كما يرى ابن جزي استعارة. (2) ويذهب أحد الباحثين إلى أن الاستعارة تصريحية؛ إذ يقول : "المعنى في الجميع: الن جانبك لهم، فالمستعار منه هو الطائر، والمستعار له: الشخص المقصود بالخطاب، والمستعار خفض الجناح، والمراد: لين الجانب والتواضع، فالاستعارة تصريحية أصلية وهي استعارة محسوس لمحسوس بوجه معقول" (3) . والرأي الذي نؤيده أن الاستعارة مكنية وليست تصريحية وذلك توافقاً مع طبيعة السياق الذي وردت فيه الآية فالنص حمل عنصر المفاجأة بأن يعدل بسياق الآية من المعنى المتعارف والطبيعي إلى دلالات أخرى تكثف المعنى وتوجزه. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعُمِّي عَنْ ضَلَلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ.....﴾ (4) . فنلمس من خلال قوله تعالى (عن ضلالتهم) وجود "استعارة مكنية قرينتها الحالية "شبه الدين الحق بالطريق الواضحة، وإسناد الضلالة إلى سالكيه ترشيح لها وتخيل والضلالة أيضاً مستعارة لعدم إدراك الحق تبعاً للاستعارة المكنية" (5). فالصورة الرائعة التي رسمتها الاستعارة المكنية وحقت انفعالاً غير اعتيادي لدى المخاطب حين بدأ يتخيل الدين الحق بالطريق الواضح، وتخيل الضلالة في عدم اتباع هذا الطريق القويم فالمقطع الاستعاري يطرح تكثيفاً للنمط الفني الذي غلف التعبير الكريم. وقال تعالى: ﴿كَشَفَاتْ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي.....﴾ (6) . فنرى قوله تعالى: (كاشفات) و"الكاشفات: المزيلات، فالكشف مستعار للإزالة تشبيه المعقول وهو الضر بشيء مستتر، وتشبيه إزالته بكشف الشيء المستور، أي إخراجه، وهي مكنية والكشف استعارة تخيلية والإمساك أيضاً مكنية بتشبيه الرحمة بما يسعف به، وتشبيه التعرض لحصولها بإمساك صاحب المتاع متاعه عن طالبه" (7) . فالاستعارة عملت على إضفاء طابعاً تخيلياً . يركز على القيمة

(1) ينظر: التفسير الكبير 211/19.

(2) ينظر: كتاب التسهيل 149/2.

(3) أساليب المجاز في القرآن الكريم/250.

(4) النمل/ 81.

(5) التحرير والتنوير 37/20.

(6) الزمر/ 38.

(7) التحرير والتنوير 17/24.

الإيحائية بنقل اللفظ لعنصر المفاجأة أو عدم التوقع، ويسجل القيمة الأسلوبية مبتعداً عن الأسلوب التقريري المباشر. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾⁽¹⁾. فالاستعارة جاءت في قوله تعالى (لا ترفعوا) "والرفع: مستعار لجهر الصوت جهراً متجاوزاً لمعتاد الكلام، شبه جهر الصوت بإعلاء الجسم في أنه أشد بلوغاً إلى الإسماع كما أن إعلاء الجسم أوضح له في الإبصار، على طريقة الاستعارة المكنية، أو شبه إلقاء الكلام بجهر قوي بإلقائه من مكان مرتفع كالمئذنة على طريقة الاستعارة التبعية"⁽²⁾. فالسياق الأسلوبي كان زائراً بصورة هذه الاستعارة عبر العلاقة بين أطرافها، وفي ضوء قيمها الجمالية وتتبع شحناتها الدلالية عبر تكثيف واضح للمعنى. وهكذا نرى الاستعارة المكنية في الآيات المذكورة والآيات الأخرى⁽³⁾. التي أطلنا القول في تحليلها أنها كانت أكثر عمقاً في إبراز الدلالة من الاستعارة التصريحية زاهرة بفيض من الصور الخلافة المتدفقة.

3 - الاستعارة التمثيلية

يعدّ عبد القاهر الجرجاني أول من تحدث عن هذا النوع من الاستعارة؛ إذ يقول "أعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقع الذي يقتضي كونه مستعاراً ثم لا يكون مستعاراً، وذلك؛ لأن التشبيه المقصود منوط به مع غيره وليس له شبه ينفرد به على ما قدمت لك من أن الشبه يجيء منتزعاً من مجموع جملة من الكلام"⁽⁴⁾. أما المحدثون فيعرفونها بقولهم "يحدّ العرب الاستعارة التمثيلية بالتركيب يستعمل في غير ما يوضع له في الأصل لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي"⁽⁵⁾. ومن الآيات التي اشتملت على الاستعارة التمثيلية قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

(1) الحجرات / 2 .

(2) التحرير والتنوير 219/26 .

(3) للاستزادة من الآيات التي حوت الاستعارة المكنية تنظر: المائدة/13، الانعام/30، 149، الأنفال/58، هود/100، الإسراء/24، 36، الكهف/22، 49، الأحزاب/7، 19، فاطر/31، الفجر/13.

(4) كتاب أسرار البلاغة/ 237.

(5) خصائص الأسلوب في الشوقيات/ 167.

الرُّسُلُ أَفَايِنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...⁽¹⁾ والآية كما يقول الشريف الرضي مشتملة على "استعارة والمراد بها الرجوع عن دينه والتقاعس عن اتباع طريقة فشبه - سبحانه- الرجوع في الارتياح بالرجوع على الأعقاب"⁽²⁾ وقد علّق الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني على تحليل الشريف الرضي قائلاً "جزم الشريف - رحمه الله - بأن في الآية استعارة مفردة - تشبيه رجوع برجوع - وهذا جائز ولكن الأصح منه اعتبارها استعارة تمثيلية تشبيه هيئة المرتدين عن الدين بعد الدخول فيه بهيئة المتقلب على عقبه وهو يسير في الطريق بجامع الهلاك والخسارة في كل كما يجوز اعتبار الآية من باب الكناية عن الانتكاس والخيبة"⁽³⁾ . وقد حمل عدد من الدارسين قديماً وحديثاً الآية لمعنى الكناية أي الارتداد على الأعقاب، هو ارتداد عن الدين.⁽⁴⁾ أما الطاهر بن عاشور فقد أولّ التعبير في الآية لمعنى المجاز في الرجوع إلى الحال التي كانوا عليها أي حال الكفر.⁽⁵⁾ والرأي الراجح عندنا أن الآية استعارة تمثيلية، وفي تحليل هذا النص يقول سيد قطب "وفي التعبير تصوير حي للارتداد (انقلبتم على أعقابكم)... (ومن ينقلب على عقبيه) فهذه الحركة الحسية في الانقلاب تجسم معنى الارتداد عن هذه العقيدة، كأنه منظر مشهود. والمقصود أصلاً ليس حركة الارتداد الحسية بالهزيمة في المعركة، ولكن حركة الارتداد النفسية"⁽⁶⁾ . وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفَرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽⁷⁾ . فالنص القرآني الكريم اشتمل على "استعارة تمثيلية، شبه الأمر المتخيل في نفوسهم بما يضره مريد التفريق بين الأولياء والأحباب. فهي تشبيه هيئة معقولة بهيئة معقولة ، والغرض من

(1) آل عمران/ 144.

(2) تلخيص البيان في مجازات القرآن/21، وينظر: المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم 204/1.

(3) المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم 204/1.

(4) ينظر: الكشف 468/1، في ظلال القرآن 94/2، الكناية في القرآن الكريم/146.

(5) ينظر: التحرير والتنوير 113/4.

(6) في ظلال القرآن 94/4، وينظر: جماليات المفردة القرآنية/152-153 ومن الآيات التي حملت

الاستعارة التمثيلية في قوله (الانقلاب) تنظر: آل عمران/196، الفتح/12.

(7) النساء / 150.

التشبيه تشويه المشبه" (1) . فالاستعارة حملت التفاعل والتوتر بين أجزاء الاستعارة وأركانها ومدى العمق في دلالتها، فأظهرت خصيصة أسلوبية قائمة على الشحن الدلالي والثراء في المعاني. وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ (2) . فالنص حمل تركيب اشتمل على استعارة تمثيلية، (3) لأن الآية الكريمة أشبهت المثل فهي تصح لكل رسول وهذا مما يعطي الاستعارة صفة الديمومة والبقاء والثراء الدلالي في رسم صورة البلاغ وإيصاله إلى الناس جميعاً. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ...﴾ (4) ، فالمتعمن في استجلاء النص يلمس الاستعارة التمثيلية وقد "شبهت حالة من لا يفقه الأدلة ولا يفكك بين المعاني المتشابهة بحالة الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ولا أين يضع قدمه وشبهت حالة من يميز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة القوي البصير حيث لا تختلط عليه الأشباح وهذا تمثيل بحال المشركين" (5) . فالاستعارة في هذا النص بوصفها نقلاً للمعنى بأوسع معاني هذا النقل تؤسس بنيتها الفنية على الإيحاء في تشبيه عدم المعرفة بالأعمى، والعالم بالبصير، وهذا التواشج ما بين أطراف الاستعارة قد زاد من جمالية النص وقيمتها الأسلوبية. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (6) فنرى بجلاء قوله تعالى (من تكون له عاقبة الدار) فيها استعارة وقد اضطربت رؤية الطاهر بن عاشور في تأويل هذه الاستعارة وتحديد نوعها فقال "استعارة تمثيلية مكنية، شبهت حالة المؤمنين الفائزين في عملهم، مع حالة المشركين، بحالة الغالب على امتلاك دار عدوه، وطوى المركب الدال على الهيئة المشبه بها، ورمز إليه بذكر ما هو من روادفه، وهو (عقبة الدار) فإن التمثيلية تكون مصرحة، وتكون مكنية وإن لم يقسموها إليهما، ولكنه تقسيم لا

(1) التحرير والتنوير 9/6.

(2) المائدة/ 99.

(3) ينظر أساليب المجاز في القرآن الكريم/ 268.

(4) الأنعام/50.

(5) التحرير والتنوير 243/7.

(6) الأنعام/135.

محيص منه" (1) هذا ما قاله ابن عاشور بيد أنه استترك قائلاً: "يجوز أن تكون (الدار) مستعارة للحالة التي استقر فيها أحد تشبيهاً للحالة بالمكان في الاحتواء، فتكون إضافة عاقبة إلى الدار إضافة بيانية أي العاقبة الحسنى التي هي حالة، فيكون الكلام استعارة مصرحة" (2). والرأي الذي نظمئن إليه بشدة هو أن الآية استعارة تمثيلية وقد منحت الاستعارة السياق طابع التجدد وفتحت أمام المخاطب فرصة التدبر، فالصورة الرائعة التي قامت برسمها الاستعارة التمثيلية حققت انفعالاً غير اعتيادي لدى المخاطب، وهكذا وجدنا الشحنت الدلالية للنص الكريم تضمنته الاستعارة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّنَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَتِنَا﴾ (3)، فنرى بوضوح ان الباري - عَزَّ وَجَلَّ - أطلق "على تأجيل الله عذابهم اسم المكر على وجه الاستعارة التمثيلية، لأن هيئة ذلك التأجيل في خفائه عنهم كهيئة فعل الماكر" (4). فالقصد الفني الذي حملته الاستعارة التمثيلية عبر إحياءاتها وثرأها الدلالي كان عاملاً حاسماً لدى المخاطب على اختيار التأويل المناسب لهذا الاستعمال وليكون المعنى مختبئاً خلف ظلال المعنى. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.....﴾ (5) فالآية الكريمة احتوت الاستعارة. (6) كما يرى الشريف الرضي، وعدّها الزمخشري مجاز التمثيل في قوله (بين يدي الله ورسوله). (7) واكتفى النسفي بالقول بأن "العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلاً" (8) وعد البيضاوي الآية من المجاز المرسل، ثم استعيرت الجملة استعارة تمثيلية للقطع بالحكم بلا اقتداء. (9) وإلى الرأي نفسه ذهب القاسمي. (10) وأما أبو السعود

(1) التحرير والتنوير 92/8-93.

(2) نفسه: 93/8.

(3) يونس/ 21.

(4) التحرير والتنوير 114/11.

(5) الحجرات/ 1.

(6) تلخيص البيان في مجازات القرآن/ 227.

(7) ينظر: الكشف 552/3.

(8) مدارك التنزيل 390/3.

(9) ينظر: أنوار التنزيل 414/2.

(10) ينظر: محاسن التأويل 5438/15.

فوصف قوله (بين يدي الله ورسوله) مستعار. ⁽¹⁾ ورأى الآلوسي أن الكلام " على سياق الاستعارة المتمثلة بصورة محسوسة مستندة في تصويرها على مشهد قد افتته العرب آنذاك وهو مشهد الخادم وتقدمه على سيده" ⁽²⁾ . فالاستعارة التمثيلية في قوله (بين يدي الله ورسوله) قد أوحى بمعاني ودلالات متعددة كما أبرزت لنا صورة مليئة بالشمولية والسعة والابتكار فجعلت المخاطب يتخيل المعنى المراد من هذا الاستعمال الاستعاري. وهكذا رأينا الاستعارة التمثيلية في هذه الآيات والآيات الأخرى ⁽³⁾ التي وقفنا على تحليلها ان النص القرآني قد مال إلى استعمالها ليعبر عن صور ومواقف يتطلبها سياق النص ولذلك فهو تارة يستعمل ألفاظ شديدة ومرة سهلة كلما دعت حاجة الموقف التعبير عن ذلك.

4 - الاستعارة في الحروف

وقد يعدل النص القرآني إلى استعارة حرف بدلاً من حرف آخر لغاية دلالية يتطلبها سياق الآية ومعناها . من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا....﴾ ⁽⁴⁾ . والملاحظ ان النص عدل إلى استعمال (على) بدلاً من (إلى) ولهذا العدول واستعارة الحرف يخبرنا أبو حيان قائلًا "نزل بـ على إشارة إلى استعلاء المنزل على المنزل عليه وتمكنه منه وأنه قد صار كالملابس له، وبخلاف (إلى) فإنها تدل على الانتهاء والوصل ولهذا المعنى الذي إفادته على" ⁽⁵⁾ فالنص القرآني يستعير الحرف المناسب الذي يتطلبه سياق الآية والهدف من إيرادها. وقال تعالى: ﴿...فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ ⁽⁶⁾ . فالعدول في استعمال الحروف انه استعار الحرف (على) بدلاً من (إلى) وذلك ؛ لأنه "أتى بلفظ على ؛ لأن القرآن مشعل على القلب ؛ إذ القلب سامع له ومطيع

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم 607/5.

(2) روح المعاني 132/25.

(3) للاستزادة من الآيات التي حوت الاستعارة التمثيلية ينظر: البقرة/ 143، آل عمران/ 196، النساء/ 49، يونس/ 42، الإسراء/ 29، الكهف/ 6، الأنبياء/ 109، النمل/ 80، الزمر/ 19، فصلت/ 5، 39، المجادلة/ 12.

(4) البقرة/ 23.

(5) البحر المحيط 103/1.

(6) البقرة/ 97.

ليتمثل ما أمر به ويجتنب ما نهى عنه، وكانت أبلغ من إلى؛ لأن إلى تدل على الانتهاء فقط وعلى تدل على الاستعلاء وما استعلى على الشيء يتضمن الانتهاء إليه" (1)، ولهذا وجدنا استعارة الحرف تأتي لغرض يتقصده - الباري - وَعَجَلٌ - لتلائم المعنى المطلوب منها. وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ...﴾ (2). فجاء التعبير القرآني باستعارة الحرف (على) ويفيد الاستعلاء على الهدى والحق فاستعار الحرف (على) وافاد هذا المعنى. (3) فعدل بالأداة (على) بدلاً من (إلى)؛ لأن "الله - وَعَجَلٌ - هو الحق وصراطه حق ودينه حق فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى) فتأمله فانه سر بديع" (4). فالتعبير القرآني يختار الحرف المناسب يستعيره ليؤدي خدمة دلالية يتطلبها السياق وتبرز معاني خلاقة وتحمل سمة أسلوبية يتفرد هذا الاستعمال عن غيره.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (5) فالمتفحص إلى هذا النص انه استعار حرف الاستعلاء (على) مع الهداية وحرف (في) مع الضلال، ويقول الزمخشري عن هذا الاستعمال "فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلي على الحق والضلال؟ قلت: لأن صاحب الحق كأنه مشعل على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه" (6). وتابع هذا الرأي ابن الأثير فقال "ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر هاهنا، فانه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه مشعل على فرس جواد يركض به حيث يشاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه، وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام" (7). ويرى

(1) البحر المحيط 320/1.

(2) النمل/ 79.

(3) ينظر: التعبير القرآني/184.

(4) ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن/ 73.

(5) سبأ/ 24.

(6) الكشف 289/3، وينظر: التعبير القرآني/184.

(7) المثل السائر 240/2، وينظر: البلاغة والأسلوبية/ محمد عبد المطلب/ 212-213.

الإمام ابن قيم الجوزية أن "طريق الحق تأخذ علواً صاعدة تصاحبها إلى العلي الكبير وطريق الضلال تأخذ سفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين" (1). ولهذا عبر "بلفظ (على) الدال على الاستعلاء أما صاحب الباطل فهو لمكابرتة وفشله وتخبطه كأنه منغمس في ظلمته ليس فيها بصيص من نور لذا عبر بلفظ (في) التي تدل على الظرفية والانغماس في الشيء" (2). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (3). فالرازي يقول على استعارة الحرف (على) "وفيه دققة أخرى، وهي قوله (على خلق عظيم) وكلمة على للاستعلاء، فدل اللفظ على أنه مستعل على هذه الأخلاق ومستول عليها وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة إلى العبد وكالأمير بالنسبة إلى المأمور" (4).

وإلى المعنى نفسه ذهب الدكتور عبد القادر حسين فقال "على في حقيقتها تفيد الاستعلاء وهو غير مقصود في الآية؛ إذ الرسول عليه السلام لا يستعلي فوق الخلق العظيم ويمتطيه كما يمتطي الرجل صهوة الجواد مثلاً وإنما هو على المجاز والاستعارة أراد به تمكن الرسول عليه السلام من الخلق العظيم والسجاي الشريفة" (5) فالحرف (على) استعير للاستعلاء "الحسي وهو الامتطاء للاستعلاء المعنوي وهو التمكن" (6). فالاستعلاء جاء لإعلاء قدره عليه الصلاة والسلام وإن العدول بالحرف (على) بدلاً من غيره دلل على ذلك وكثف الإيحاء فيها.

رابعاً :- الكناية

- (1) التفسير القيم 16، وينظر: التعبير القرآني/ 184-185.
- (2) فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي/ 54.
- (3) القلم/ 4.
- (4) التفسير الكبير 80/30-81.
- (5) القرآن إعجازه وبلاغته/ 195، وينظر: الاقتباس نفسه/ القرآن والصورة البيانية/ 192 للمؤلف نفسه.
- (6) القرآن والصورة البيانية/ 192، وينظر: فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي/ 53 وللاستزادة من الآيات التي تضمنت الاستعارة في الحروف تنظر: آل عمران/ 3، 44، سبأ/ 50، الأنعام/ 135.

تعد الكناية من الأساليب البيانية المهمة التي تثري العبارة وتزيد من حلاوتها وورصانتها، والكناية "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه" (1) وهي أن "تتكلم بشيء وتريد غيره" (2) فهي اسم جامع ويعني "اللفظ الذي أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى" (3) وقد تحدث علماء البلاغة القدامى عن موضوع الكناية ولا نريد الوقوف عندها، لأن هناك دراسة متخصصة تكفلت بذلك. (4) وقد خلص الباحث صاحب هذه الدراسة المذكورة آنفاً إلى القول "ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن المحدثين والمعاصرين من البلاغيين لم يخالفوا ما انتهى إليه البلاغيون المتأخرون خلافاً جوهرياً في دائرة فن الكناية وإن كان لكل منهم ملاحظاته وطريقة تناوله لهذا الفن البياني" (5).

(1) التلخيص في علوم البلاغة / 337.

(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / 154/3.

(3) خصائص الأسلوب في الشوقيات / 213.

(4) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 58-70.

(5) نفسه / 54.

وقد حظي موضوع الكناية باهتمام الدارسين من الذين عنوا بدراسة النص القرآني ومنهم الزمخشري. (1) لقد كان تصدي رجال الكلام الى تفسير الكنايات القرآنية بخاصة والأساليب الأدبية بعامة قد شق رافداً دافقاً في مجرى التفسير البياني عمل على دقته وعمقه واستيعابه، فكان ذا نفع صائب من هذه الجهة وإن حمل كثيراً من الكدرة التي تجمعت فيما بعد لدى العقليين من رجال التفسير (2) وللكناية أقسام ذكر عبد القاهر الجرجاني منها:

1- الكناية عن صفة.

2- الكناية عن نسبة.

وأضاف الزمخشري اليها قسم آخر هو:

3- والكناية عن موصوف.

وقد جاء السكاكي فنظم الأقسام الثلاثة المذكورة آنفاً وأضاف إليها تقسيمات أخرى هي كناية قريبة وكناية بعيدة وحاول تقنينها وتبويبها. (3)

1 - كناية عن صفة

قال تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ...﴾ (4) ، فنحن نرى قوله تعالى (ممن ينقلب على عقبيه) ليعني ذلك "من يرتد عن دينه؛ لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم ونافق قوم" (5) . فرسمت الكناية صورة لهذا الانقلاب على العقبين وهو كناية عن صفة أي الارتداد في الدين، أي الرجوع عما كان يعتقد الانسان وفي ذلك نلمس العدول من ظاهر اللفظ إلى البنية العميقة التي عدلت باسم كناية عن صفة الى صورة الارتداد والنكوص والانكفاء. وقال تعالى: ﴿إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ...﴾ (6) . فالنص الكريم تضمن كنايتين هي قوله

(1) ينظر: الكشف 16/1.

(2) خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم / 164.

(3) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 43.

(4) البقرة / 143.

(5) الجامع لأحكام القرآن 2/157.

(6) آل عمران / 153.

(إذ تصعدون ولا تلون على أحد) وقوله (والرسول يدعوكم في أخراكم) ، فالكناية الأولى وهي تعبر عن حركة حسية تمثلت في الارتفاع واللي فيقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض (1) ، وهذه الكناية تصور الانفعال النفسي القوي والخوف والذعر الذي ظهر على سلوك المسلمين المقاتلين الذي كان من جرائه ارتدادهم وأدبارهم من أرض المعركة. (2) أما الكناية الثانية (والرسول يدعوكم في أخراكم) فهي في دلالتها تبين حال الرسول الكريم - ﷺ - الذي كان يقول "اليّ عباد الله اليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة" (3) . وهنا يظهر ثبات الرسول وشجاعته في هذا الموقف الحرج وهو الثبات على المبدأ وقوة الاندفاع والحماس الذي ظهرت على شخصيته، وهنا الكناية تبرز عن طريق البنية العميقة ذلك المعنى الباطن ولنرى أن صورة الكنايتين من خلال التضاد في المعنى من صورة المسلمين الفارين وصورة الرسول الكريم - ﷺ - وهي الثبات والشجاعة (4) قد أعطت للنص الكريم سمة أسلوبية جمالية جعلت المخاطب يستدق دلالة التصوير وإبداع التعبير. وفي الصورتين فهي كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا...﴾ (5) . فالتعبير القرآني عبر عن طريق التعبير الكنائي بقوله (لو تسوى بهم الأرض) عن صورة الكافرين العسوية في عصيانهم للرسول - ﷺ - ويقول الزمخشري في هذا الصدد "(لو تسوى بهم الأرض) لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى، وقيل يودون أنهم لم يبعثوا وانهم كانوا والأرض سواء، وقيل تصوير البهائم تراباً فيودون حالها" (6) أما الطاهر بن عاشور فيرى أن في الكلام إطناباً "قصد من إطنابه سلوك طريقة الكناية عن صيرورتهم تراباً بالكناية

(1) ينظر: الكشف 471/1.

(2) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 186.

(3) الكشف 471/1.

(4) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 186.

(5) النساء / 42.

(6) الكشف 528/1.

المطلوب بها نسبة كقولهم: المجد بين ثوبيه⁽¹⁾ . فالظاهر في هذه الألفاظ أنها صورة من يتمنى أن يدفن وتسوى به الأرض كالموتى هذا هو المعنى السطحي أما البنية العميقة التي تكشفها بنية الكناية في التعبير، فهي شدة الأمر عليهم وتصور حالتهم النفسية المتمثلة خجلاً وندامة وحزناً وحسرة ومهانة في ساحة الباري - وَجَلَّ - وهو يوم القيامة صورة الخزي أمام الرسل والأمم ومن خلال الاضاءات السياقية التي يمكن الركون إليها وهي الآية التي سبقت هذه الآية فقال تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (2) ، فالمعنى بحسب السياق الخارج يمنح للمعنى دلالة مخصوصة لدى المخاطب وتصور عبر الصورة الكنائية الظلال النفسية والشعورية التي انتابت هؤلاء الكافرين والهول النفسي الذي يواجهونه، بإيحاء التعبير وتألقه بشحنات دلالية واضحة.⁽³⁾ وهي في كل هذا كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ (4) ، فقوله تعالى (وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) كناية عن استحقاقهم، فضلاً عن التنويه بكرامة الرسول محمد - ﷺ - عنده. (5) فالمعنى الظاهر هو وجود الرسول بين هؤلاء أما المعنى المكنى عنه في النص الكريم فهو الكرامة والتشريف الذي يسبغه الباري على حبيبه المصطفى - ﷺ -، ويرى الماوردي ان الآية تحمل أكثر من دلالة في تأويلها فيقول "يحتمل وجهين (أحدهما) أنه قال ذلك إكراماً لنبيه وتعظيماً لقدره أن يعذب قوما هو بينهم تعظيماً لحرمة. و(الثاني) إرساله فيهم رحمة لهم ونعمة عليهم فلم يجز أن يعذبهم وهو - فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بإخراجه عنهم" (6) . وهكذا عبرت الكناية عن احتمالات أسلوبية متعددة تفتح أمام المخاطب والمتلقي تصوراً عقلياً خلاقاً عن طريق عدول اللفظ من معناه الظاهر إلى معنى باطن مليء بالحركة والتجدد. والكناية في

(1) التحرير والتنوير 59/5.

(2) النساء / 41.

(3) ينظر: الكناية في القرآن الكريم/ 149.

(4) الأنفال/33.

(5) التحرير والتنوير 333/19.

(6) النكت والعيون 98/2.

كل هذا كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽¹⁾ ، فالناظر إلى الكناية يجدها في قوله (حتى يثخن في الأرض) ويقول ابن فارس عن لفظة (يثخن): " وقد أثخنه أي أثقلته، قال الله تعالى (حتى يثخن في الأرض) وذلك أن القتل قد أثقل حتى لا حراك به وتركته مثخناً، أي وقيداً " ⁽²⁾ ويعطي الزمخشري دلالات هذه اللفظة ويربطها بالمعنى لهذه الآية فيقول عن الإثخان هو "كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم، أثخنه الجراحات إذا أثبته حتى تنقل عليه الحركة، وأثخنه المرض إذا أثقله، ومن الثخانة التي هي الغلظ والكثافة: يعني حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله، ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر. ثم الأسر بعد ذلك، ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر" ⁽³⁾ فالكناية عبرت عن معنى مغاير للفظ عبر سياق الآية وهي معركة بدر التي مثلت المعركة الأولى مع المشركين فيتطلب ذلك الإثخان في قتل المشركين وكسر شوكتهم فضلاً عن كثرة المشركين وقلة المسلمين في هذه المعركة. ⁽⁴⁾ فرسمت الكناية صورة لجو المعركة بدلالات فنية معبرة عن الحدث وزاخرة بفيض متدفق من التخييل وهي كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ ⁽⁵⁾ . وقد حلل الزمخشري هذه الآية بشيء من التطرف فقال "(عفا الله عنك) كناية عن الجناية؛ لأن العفو رادف لها، ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو" ⁽⁶⁾ وقد تعرض رأي الزمخشري هذا إلى انتقادات من القدامى والمحدثين، منهم السيوطي الذي وصفه بسوء أدبه. ⁽⁷⁾ كما

(1) الأنفال/ 67.

(2) معجم مقاييس اللغة 372/1.

(3) الكشف 168/2.

(4) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 255.

(5) التوبة/ 43.

(6) الكشف 192/2.

(7) ينظر: الإتيان 886/2، وقد انتقد الدكتور مصطفى ديب البغا رأي السيوطي هذا الذي تهجم فيه على الزمخشري وهو يقدم ويعلق على آراء السيوطي في كتابه الإتيان فيقول: "لعل =

رفض الدكتور فتحي أحمد عامر رأي الزمخشري قائلاً : " فأننا لا نوافق الزمخشري هناك " ، ويضيف الدكتور عامر إلى رأيه فيقول : " فلم تكن هناك جناية جناها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بل هي هفوة من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) عاتبه الله عليها في رفق ولين ، وبالجمل الماضوية التي تفيد أن العفو قد كان ووقع ، والأنبياء لا يخطئون خطأ جسيماً يستأهلون عليه (أخطأت وبئس ما فعلت) ثم هو متناقض مع نفسه ، لأنه حين يقرر ذلك يقرر مرة ثانية في آخر حديثه عن الآية الكريمة: أن النبي - ﷺ - فعل شيئاً ولم يؤمر بهما ، فعوقب عليهما وهذا واحد منها" (1) وقريب من رأي الزمخشري كان رأي ابن الأثير (2) ، والنسفي (3) ، والبيضاوي (4) ، أما ابن عاشور فكان أقل المفسرين حدة في تحليل وتأويل هذه الآية فقال: "وافتح العتاب بالإعلام بالعفو إكرام عظيم ، ولطافة شريفة ، فاخبره بالعفو قبل أن يباشره بالعتاب ، وفي هذا الافتتاح كناية عن خفة موجب العتاب ؛ لأنه بمنزلة أن يقال: ما كان ينبغي " (5) . فالكناية في النص الكريم حملت في طياتها صورة لهذا الترفق بالعتاب والتوجيه العذب إلى رسوله الكريم - ﷺ - فعبرت الكناية عن هذا الغرض بخطاب غير مباشر مكنى عنه ولغة تميل إلى التشفير من أجل تجنبه بالمواجهة والكلام المباشر المقصود ، فأدت الكناية أثراً فعالاً في إيصال المعنى عبر العدول باللفظ من السمة الظاهرة إلى القيمة العميقة لهذا التكنيف الدلالي المنبعث

=مراده بسوء أدبه قوله في تفسير (عفا الله عنك) كناية عن الجناية؛ لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت. انتهى كلام الزمخشري ولعل الزمخشري قصد بيان المعنى من حيث اللغة، لا أن هذا المعنى موجه إلى النبي - ﷺ - وعلى كل حال كان الأليق بالشيخ رحمه الله - تعالى أن لا يصفه بقوله: على عادته في سوء الأدب لا سيما وأنه ينقل عنه كثيراً في كتابه، ويعتبره مرجعاً من مراجعه " ، هامش الاتقان ج2/886، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا.

(1) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني 369-370.

(2) ينظر: الجامع الكبير / 163.

(3) ينظر: مدارك التنزيل 1/653.

(4) ينظر: أنوار التنزيل 1/406.

(5) التحرير والتنوير 10/210.

عبر صورة الكناية، وهي في كل هذا كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (1)، فالنص تضمن كناية عن صفة في قوله تعالى (اقم وجهك) وقد تعرض لها المفسرون وأفصحوا عن تأويلها فقال الرازي " إقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين، لأن من يريد أن ينظر إلى شيء نظراً بالاستقصاء، فانه يقيم وجهه في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لا القليل ولا بالكثير؛ لأنه لو صرفه عنه ولو بالقليل فقد بطلت تلك المقابلة وإذا بطلت تلك المقابلة فقد اختل الأبصار فهذا السبب حسن جعل إقامته الوجه للدين كناية عن صرف العقل بالكلية إلى طلب الدين" (2). وقريب من رأي الرازي في الوقوف عند هذه الكناية كان رأي القاسمي (3) والطاهر بن عاشور (4). بيد أن هنالك اختلافاً بينهما، فعند الرازي إقامة الوجه كناية عن توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين، في حين عدّها القاسمي والطاهر بن عاشور كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادته. وهكذا عملت البنية الكنائية عن طريق الإشارة الى معنى باطن تضمنه التعبير فتحول المعنى من الوجه الى النفس عن طريق الاضاءات السياقية التي وردت فيها الآية. وهي كناية عن صفة، ومن جهة اخرى فهناك آيات مشابهة لهذه الآية وردت فيها الكناية عن صفة هي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (5). وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ (6) فوردت إقامة الوجه كناية عن الذات، أي النفس بكل جزئياتها وإيحاءاتها. فالقيمة الأسلوبية في هذه الكنايات العدول باللفظ إلى معانٍ تليق بنفس الرسول الكريم وشخصيته وعلو مكانته لدى خالقه. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

(1) يونس / 105.

(2) التفسير الكبير 17/173.

(3) ينظر: محاسن التأويل 9/3403.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 11/303.

(5) الروم / 30.

(6) الروم / 43.

وأبقى⁽¹⁾ . فالكناية في الآية القرآنية وردت في قوله (ولا تمدن عينيك)، لأن العين لا تمتد، بل يمتد النظر، يقول الزمخشري "(ولا تمدن عينيك) أي نظر عينيك، ومد النظر: تطويله، وأن لا يكاد يردّه، استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وتمنياً أن يكون له... ولما كان النظر الى الزخارف كالمركز في الطباع، وأن من أبصر منها شيئاً أحب ان يمد اليه نظره ويملاً منه عينيه"⁽²⁾ . فضلاً عن وجود الاستعارة في قوله تعالى (زهرة الحياة الدنيا) ويبدو أن الصورة التي رسمتها الكناية كانت متواشجة مع بروز الاستعارة ليكونا توليفة جميلة في دلالة النص، فالآية "وان كانت خطاباً للرسول - ﷺ - فإنها تخاطب المؤمنين فلا تمتد أنظارهم ولا تنهأ نفوسهم أمام زينة الحياة الدنيا وزخرفها، ولا تتخذ بما يتقلب فيه الكافرون من نعم الدنيا وزينتها"⁽³⁾ . فالكناية في الآية كناية عن صفة وقد حملت دلالة مخصوصة معكوسة عن الأصل الشاخص أمام المتلقي، فمد العين كناية عن مد النظر إلى زخرف الحياة وبهرجها فالآية حملت قيمة أسلوبية جمالية مالت إلى التهذيب والموعظة والإرشاد إلى الرسول وصحابته والمسلمين بلغة إيحائية بعيدة عن التقرير واللفظ المباشر. وشبيه بهذه الآية أيضاً آية قرآنية أخرى هي قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، فمد العين أيضاً كناية عن مد البصر وهي كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾⁽⁵⁾ . فقوله تعالى (ولو على اديبارهم نفوراً) كناية عن صفة وهي تعبير عن الفرار والهزيمة والهول كأنهم يفرون من عدو يطاردهم في المعركة، والكناية تعبير عن الهزيمة الروحية والنفسية التي تنتاب هؤلاء المشركين عند استماعهم للقرآن وآياته التي تدعوهم الى التوحيد والهدى، ونرى أن البنية الكنائية للآية حملت معها السخرية والاستهزاء لهم من عبادة آلهة مزعومة،

(1) طه/ 131.

(2) الكشف 559/2.

(3) الكناية في القرآن الكريم/ 190.

(4) الحجر/ 88.

(5) الإسراء/ 46.

وعندما يسمعون التوحيد يولون نفوراً على أديبارهم. ⁽¹⁾ هذا المعنى الذي جاء في النص يبرز دلالة جميلة قائمة التضاد ما بين اللفظ والمعنى الذي يختفي من خلاله، ليدل على فاعلية أدبية أسلوبية بنقل المعنى إلى آفاق أوسع. فالآية كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا  أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝ (2) ۝

فالتعبير الكريم اشتمل على كنايتين هما (قل كونوا حجارة أو حديدا) و قوله (فسينغضون اليك رؤوسهم) والكنايتان كناية عن صفة، فقوله في الأولى (قل كونوا حجارة) كناية عن التحدي والتعجيز لهؤلاء الكافرين وتوبيخ وتقريع لهم، فهؤلاء بتناولهم واستهزائهم وتكبرهم يشير الى الجمود والتحجر الذي قابله التعبير بقوله على سبيل التحدي والتعجيز (قل كونوا حجارة أو حديداً) أما الكناية الثالثة (فسينغضون اليك رؤوسهم) فهي كناية عن تلك الرؤوس المتعجبة المستهزئة والمتحجرة والجامدة، فالكناية حركية ترسم حركة تلك الرؤوس وخوائها. ⁽³⁾ والكناية في هذا التعبير أبلغ من التعبير المباشر فهي تميل الى التشفير الدلالي وتجعل المخاطب يمعن النظر في هذه الحالة المتردية التي بلغها هؤلاء من نفورهم وعنادهم والدلالات المتعددة التي اشتملها النص، فتشي بقيم أسلوبية تعبيرية تكثف المعنى وتجعله أكثر إيجازاً. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ (4) ۝

قوله (مداداً) وهي كناية عن صفة، وعن دلالة لفظة المداد يقول لزمخشري "المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط، ويقال السمد مداد الأرض" ⁽⁵⁾ .

(1) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 207.

(2) الإسراء / 50-51.

(3) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 180.

(4) الكهف / 109.

(5) الكشف / 500/2.

وقال عنها ابن فارس "والمداد: ما يكتب به، لأنه يمد بالماء ومددت الدواة وأمددتها. والمدة: استمدادك من الدواة مدّة بقلمك" (1). فالكناية التي تضمنتها لفظة (مداداً) توحى بصورة الشيء المتناهي الذي لا يحده حد ولا يمكن أن يستوعبه مثيل، وعلى هذا الأساس "فالخيال يظل يتصور تلك الحركة الدائبة: حركة الامتداد بماء البحر لكتابة كلمات الله؛ في غير ما توقف ولا انتهاء، إلا أن ينتهي البحر بالنفاد" (2) ومن هنا تحتمل دلالة المداد أكثر من معنى وأكثر من قراءة أسلوبية بفضل اتساع الاحتمالات التي تكتنفها، فيمكن تأويل لفظة المداد، بالمد المستمر، وتحتمل المداد الحبر، وتحتمل المد والجزر في البحر ونلاحظ أن السياق يلاءمها من غير اخلال، ومن هنا نرى "الكلام كناية عن عدم تناهي معلومات الله تعالى التي منها تلك المسائل الثلاث التي سألوا عنها النبي - ﷺ - فلا يقتضي قوله (قبل أن تنفذ كلمات ربي) أن كلمات الله تعالى نفادا كما علمته" (3). والكناية في هذا النص كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (4). فالكناية في النص الكريم تمثلت في قوله (يأكل الطعام) وعن هذا القول يذهب الزمخشري الى أن "هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخريّة منهم وطنز كأنهم قالوا: مال هذا الزاعم أنه رسول أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل، ويتردد في الأسواق يطلب المعاش كما نتردد" (5). ويبدو لنا من رأي الزمخشري أنه أراد بالكناية في قوله (يأكل الطعام) بقضاء الحاجة وإن لم يصرح به بشكل واضح والله أعلم. أما ابن عاشور فاكتفى بالقول "وكنوا بأكل الطعام والمشي في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال الناس" (6).

(1) معجم مقاييس اللغة 5/ 269.

(2) التصوير الفني في القرآن/ 60.

(3) التحرير والتنوير 54/16.

(4) الفرقان/ 7.

(5) الكشف 3/ 82.

(6) التحرير والتنوير 327/18.

في حين ذهب يونس السامرائي إلى أن قوله "يأكل الطعام كناية عن الحدث ؛ لأن من أكل فلا بد من عاقبة الأكل ونفص الفضل" (1) . وتابعه في هذا الرأي الدكتور محمد علي أبو حمدة. (2) والظاهر من خلال التعبير الكنائي في هذه الآية ان القرآن الكريم عدل باللفظ اللائق والمهذب في التعبير عن الأشياء الخاصة بالإنسان ولا سيما عندما كان الأمر يخص سيد الكائنات الرسول محمد - ﷺ - فالدلالة الإيحائية للكناية اعطت دفقاً أسلوبياً جمالياً في الحديث عن الأمور الظاهرة والباطنة ولولا الكناية لما تحقق هذا الحسن وهذا الثراء في المعنى والكناية في هذه الآية كناية عن صفة. ومثل هذه الآية آية مشابهة أخرى ورد فيها الكناية بـ (أكل الطعام) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (3) ، فقلوه (ليأكلون الطعام) كناية عن صفة وهي قضاء الحاجة. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي الرَّسُولُ سَبِيلًا﴾ (4) . فالناظر الى قوله تعالى (يعضُّ الظالم) كناية عن صفة وهي الندم والحسرة والغيط، وعن هذه الكناية يقول النسفي: "عض اليمين كناية عن الغيط والحسرة؛ لأنه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه" (5) . ولم تخرج آراء المفسرين عن هذا المعنى ودلالة الكناية في النص الكريم (6) فالكناية التي وردت في الآية تشي بالعمق والتجدد الدلالي في مجيء اللفظ على غير المعنى السطحي فيحتوي في بنيته العميقة على دلالة إيحائية تحمل شحنة أسلوبية واضحة مليئة بالإبداع الفني والكناية استطاعت أن ترسم صورة شمولية لحال الكافر وهو يعاني الألم والندم ويمتليء قلبه بالتحسر على ما ضيعه من خلال عدم اتباع الرسول . ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَيْنُكُمْ

(1) الكنايات القرآنية/ 52.

(2) ينظر: من أساليب البيان في القرآن الكريم/ 157.

(3) الفرقان/ 20.

(4) الفرقان/ 27.

(5) مدارك التنزيل 538/2.

(6) ينظر: كتاب التسهيل 77/3، البحر المحيط 495/6، التحرير والتنوير 12/19.

الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ...»⁽¹⁾ (فِعْضُ الْإِنَامِلِ) كناية عن الندم والحسرة والآيات جميعها كناية عن صفة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾⁽²⁾. فالكناية نلمسها في قوله (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) وهي كناية عن صفة، وعن دلالة (لَوَّوْا) يقول الفراء "حركوها استهزاء بالنبي - ﷺ - ودعائه"⁽³⁾. وقال الأخفش "لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ؛ لأن كلام العرب إذا كان في السخري أو في التكثر قيل: لوى لسانه ورأسه"⁽⁴⁾. وذهب الزمخشري إلى القول عن هذا الاستعمال "عطفوها وأما لوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً"⁽⁵⁾ وقريب من هذا المعنى كان رأي الرازي⁽⁶⁾ فقله (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) أي عطفوها وأمالوها وتعبر هذه الحركة عما يجول في دواخلهم من موقف نفسي آزاء الرسول الكريم "وهو موقف لم تحلله العبارة تحليلاً مباشراً مفصلاً ولا مجملاً وإنما أومأت إليه وفتحت الطريق نحوه. وعليك أن تتأمل صورة أعناقهم ورؤوسهم وهي تميل وتتعطف فور سماع هذا العرض لتدرك ما وراء ذلك من رفض وسخرية وكفر وغيظ وحقد وامتهان كل ذلك مشوب بشعور حاد وانفعال محمي نحو هذا الرسول ومصادمة دعوته"⁽⁷⁾. فالتعبير الكريم حمل في اثناءه "كناية عن التكبر والإعراض وقيل كان ذلك حقيقة حيث أنهم فعلوا ذلك وحركوا رؤوسهم استهزاء والتشديد في (لَوَّوْا) للكثرة"⁽⁸⁾. فهذه الكناية تعبير عن عنادهم وكفرهم.⁽⁹⁾ فالنص عبر هذه الكناية صور لنا حركة أعناق الكافرين والمعنى الباطن لهذه الحركة على نحو واضح فالقيمة الأسلوبية تكمن في العدول باللفظ من معناه الصريح إلى دلالاته العميقة ليشتمل على احتمالات عدة يمكن أن

(1) آل عمران/ 119.

(2) المنافقون/ 5.

(3) معاني القرآن 3/ 159.

(4) معاني القرآن 2/ 501، وينظر: لمحات بلاغية في معاني القرآن للاخفش/ 88.

(5) الكشف 4/ 110.

(6) ينظر: التفسير الكبير 30/ 15.

(7) التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى/ 366.

(8) لغة المنافقين في القرآن 2/ 234.

(9) ينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قفيلة/ 107، فنون التصوير البياني/ 294.

تعد تميزاً إضافياً لطبيعة النص القرآني بالإيماء والإشارة والتلميح إلى المعنى المراد التعبير عنه. والآية كناية عن صفة وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ (1). فالناظر الى التعبير القرآني في قوله (قد سمع) يجده تضمن كناية عن الاستجابة والقبول. (2) وأورد القاسمي رأي صاحب كتاب العناية في تأويل هذه الآية فقال "المراد من قوله (قد سمع الله) الخ قبل قولها وأجابه كما في: سمع الله لمن حمده، مجازاً بعلاقة السببية أو كناية" (3). والملاحظ على الفعل في الآية (قد سمع الله قول) ان الفعل يتعدى بنفسه. وهو على الأصل أما في قوله (سمع الله لمن حمده) فتعدى باللام وإنما اصله أن يتعدى بنفسه. (4) ويزعم أحد الباحثين إلى أن العدول بـ "(قد سمع) بدل (استجابة) له مغزى وبه عمق ومحققاً بعداً نفسياً في الآية ومصورة قدرته تعالى فقد حققت الكناية هنا جملة من الأمور منها ان (سمع) في الكلام وفي تأليف الحروف أقصر من استجابة مما يساعد على تعجيل الاستجابة" (5). وهذا التوجيه للكناية مما لا نقبله، فإذا كان قصر الحروف وطولها سبباً في التفرد الأسلوبي للألفاظ فإن ذلك سوف يلغي عوامل كثيرة تتحكم بالمعنى المراد من اللفظة من ذلك السياق وما يستلزمه من عوامل وكذلك الإيحاء الذي تتميز به لفظة عن أخرى وأمور أخرى. وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن الكناية في قوله (قد سمع) جاءت عدولاً عن لفظة (أجاب) ومن المؤكد ان هنالك فروقاً دلالية بين اللفظتين مما جعل التعبير القرآني يميل إلى استعمال واحدة وأبعاد أخرى ومن هنا نرى أن الكناية عن صفة في الآية كان زاخرة بأدوات الشحن الأسلوبية التي أثرت النص وجعلته أكثر ملائمة لجو السياق.

(1) المجادلة/ 1.

(2) ينظر: روح المعاني 3/28.

(3) محاسن التأويل 5705/16.

(4) ينظر: بدائع الفوائد 75/2-76، تناوب حروف الجر في لغة القرآن/ 70-71، نظرية اللغة في

النقد العربي/ 424، معاني النحو 12/3.

(5) فواتح السور القرآنية ، دراسة بلاغية / 171 .

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (1) . فالكناية جاءت في قوله (ليزلقونك بأبصارهم) وعن هذه الكناية يقول الزمخشري : "يعني: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء ، يكادون يزلون قدماك أو يهلكونك من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني: أي: لو أملت به بنظره الصرع أو الأكل لفعله" (2) . فالكناية عبرت عن الحالة النفسية التي يشعر بها الكافرون تجاه الرسول ﷺ - ، من خلال حركة العين المحدقة بالعداوة والبغضاء في نظرها شزراً، مما يؤدي الى إيذاء الرسول الكريم عبر نظرات هؤلاء الكافرين المليئة بالحق والكراهية. (3) فالكناية في الآية كناية عن صفة تصور حالة هؤلاء القوم بنفس موحى وإيحاءات تنبعث من ألفاظها مما يجعل الخصيصة الأسلوبية في النص ذات مغزى تهذيبي ارشادي لهؤلاء كي يرفعوا إلى الطريق القويم. وجملة الأمر في هذا النوع من الكناية انه يأتي ليصف عدة أمور تأتي في التعبير القرآني حاملة معها آفاق رحبة أمام المخاطب ليتخيل الصور التي ترسمها وليستطيع فك شفرات النص الكريم. وهذا ما لاحظناه في الآيات المذكورة آنفاً والآيات الأخرى (4) التي وقفنا على تحليلها في النص القرآني فالنص يخرج عن معناه في الآية إلى معانٍ جديدة ومبتكرة .

2 - كناية عن موصوف

مما لاشك فيه أن الزمخشري "أول من أشار الى هذا الموضوع فلم نقرأ إشارة واضحة عن الكناية عن موصوف فيما سبق" (5) . ومن الآيات التي شملت الكناية عن موصوف قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (6) . فالكناية وجدناها في قوله (كصاحب الحوت) وهي كناية عن موصوف هو النبي

(1) القلم / 51.

(2) الكشف / 4 / 148.

(3) ينظر: الكناية في القرآن الكريم / 155-156.

(4) ينظر: إبراهيم / 43، الإسراء / 60، الأنبياء / 45، النور / 4، الأحزاب / 19، غافر / 18، الزخرف / 40، المنافقون / 4، المزمل / 20، الانشراح / 2.

(5) الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي / محمد الحسن علي الأمين أحمد / 61.

(6) القلم / 48.

يونس - عليه السلام -، فقد "هم الرسول - عليه السلام - أن يدعو على ثقيف فنهاه الله أن يوجد منه مثل ما وجد من يونس - عليه السلام - صاحب الحوت من الضجر والغضب على قومه الذين لم يؤمنوا فدعا ربه وهو في بطن الحوت فالمعنى لا يوجد منك ما وجد من يونس فتبتلي ببلائه بل تذر بالصبر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً (فصاحب الحوت) كناية عن موصوف هو يونس - عليه السلام - " . (1) وبهذا اشتمل النص الكريم خفاء في ذكر اسم النبي يونس لكي لا يبتأس بفعل هؤلاء لذلك ذكر النبي يونس للعبارة والموعظة والاقتداء . وقال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ..﴾ (2) فقوله " هو أدنى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم إن شئتم - من الكنايات اللطيفة والتعريضات الحسنة " (3) . فالاعتزال كناية عن ترك مجامعتهم وقت الحيض . (4) وربما ينتهي الاعتزال وترجعون إليهن فالاعتزال يختلف عن الابتعاد . أما قوله تعالى (فاتوهن من حيث أمركم الله) فهو كناية عن الفرج كما يخبرنا بذلك الفراء . (5) فالأمر كما يقول ابن عاشور في قوله (فاتوهن) "للاباحة لا محالة لوقوعه عقب النهي مثل (واذا حللتم فاصطادوا) عبر باللاتيان هنا وهو شهير في التكني به عن الوطء لبيان أن المراد بالقربان المنهي عنه هو ذلك المعنى الكنائي فقد عبر الاعتزال ثم قفي بالقربان ثم قفي باللاتيان ومع كل تعبير فائدة جديدة وحكم جديد وهذا من إبداع الإيجاز في الأطناب" (6) ، فالكناية عن موصوف جاءت تحمل الإيحاء والتشهير الدلالي، فالبنية الظاهرة للكناية تعمل على التضاد من البنية العميقة . فالسياق هو وحده يدلنا عن المغزى الذي عمد إليه النص القرآني إلى إخفاء الدلالة . وقال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ

(1) القرآن والصورة البيانية/ 233، وينظر: الكشاف 148/4.

(2) البقرة/ 222.

(3) الكشاف 1/ 363، وينظر: الإتيان 60/1.

(4) ينظر: نفسه 1/ 361، والتحرير والتنوير 2/ 366.

(5) معاني القرآن 1/ 143 . وينظر: نظرية اللغة في النقد العربي/ 237.

(6) التحرير والتنوير 2/ 369.

اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...» (1) . فالكناية وردت في قوله (رجالكم) فكنى عن سيدنا زيد (2) وقد عدل التعبير القرآني عن التصريح باسمه وذلك لدلالة السياق عليه فقد سبقه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ﴾ . والملاحظ " أن هذه الكناية تعني أن محمداً - ﷺ - لم يكن أباً رجل منكم على الحقيقة لئلا يثبت بينه وبين الولد حرمة الصهر والنكاح ولكن كان (رسول الله) وكل رسول أبو امته، فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصحية لهم عليه.. وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم وقد جاء قوله (وخاتم النبيين) يعضد دلالة الكناية على نفي الأبوة" (3) . فالتعبير انبرى إلى العدول بلفظة (رجالكم) بدلاً من زيد ليدل ان هذا الرجل قريب الى نفس الرسول وأصحابه وكذلك عمد إلى الخفاء في التعبير ليعلي من شأن سيدنا زيد والله أعلم. فالكناية نوعها: كناية عن موصوف. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4). فقوله تعالى (بُبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) كناية عن موصوف. يقول الزمخشري "كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك، كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين" (5) . فالموصوف هو الولد. ولم يخرج الدارسون المحدثون عن هذا المعنى. (6) فالنص الكريم هذب النفس الإنسانية بأمرها الابتعاد عن ما يسيء الى الشرف والى العفة والطهر فعبر بلغة كنائية موحية عن أغراض

(1) الأحزاب/40.

(2) ينظر: البرهان/ الزركشي 302/2 ، الكنايات القرآنية/ يونس الشيخ إبراهيم السامرائي/ 58، الموسوعة القرآنية الميسرة/ 147/2.

(3) الكشف 3/ 264.

(4) الممتحنة/ 12.

(5) الكشف 94-95، وينظر: روح المعاني 57/9، الكناية اساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي/ 61.

(6) ينظر: الكنايات القرآنية/69، الكناية في القرآن الكريم/ 325.

ومعان عدة لكي يتدبرها المخاطب ويتعظ بها. وهكذا كانت الكناية عن موصوف في هذه الآيات والآيات الأخرى. (1) التي قمت بتحليلها انها تناسب السياق وتعبّر عنه بلغة تكشف عن مكنون التعبير وظلاله.

3 - كناية عن نسبة : قال تعالى : ﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرَ﴾ (2) . وهي الآية الوحيدة من هذا النوع للكناية . وتعد كناية عن نسبة، بحسب السياق ايماء الى المعنى وقد اختلف العلماء والدارسون في تأويل هذه الكناية، فبعضهم عدّها على الحقيقة. (3) وعدّها بعض آخر انها كناية عن النفس (4) والقسم الأكثر عدّها كناية عن القلب (5) في حين ذهب البعض الى المساواة بين كل التأويلات. (6) في حين عدّها قسم من الدارسين مجازاً مرسلأ علاقة المجاورة. (7) وربما كان هذا التشظي في إعطاء الاحتمالات المطلوبة من أهم العوامل الإبداعية التي رافقت ذكر الآية فكثرة التأويل جعل المخاطب يتدبر كثيراً في معرفة التأويل المناسب.

(1) للاستزادة تنظر: البقرة/ 48، 91، آل عمران/ 7، 119، النساء/ 49، المائدة/ 60، الأنفال 5-6...الخ.

(2) المدثر/ 4.

(3) ينظر: معاني القرآن الفراء 200/3، الكشف 180/4، البحر المحيط 371/8.

(4) ينظر: التفسير الكبير 192/30، روح المعاني 117/19.

(5) جامع البيان/ 91/29، الجامع الكبير/ 165، الأقصى القريب/ التتوخي 72 ، إغاثة اللهفان/ ابن قيم الجوزية/ 48.

(6) ينظر: النكت والعيون 342-341/4.

(7) ينظر: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية/ 17.

نتائج البحث

نتائج البحث

بعد هذا التطواف في روضة من رياض القرآن الكريم ودوحة يانعة تسر الناظرين ببهجتها ومذاقها الطيب الشهي كان لزاماً علينا استشفاف كنوز معرفته وأسرار بلاغته فلا مندوحة إذن أن نضع ملامح وتصورات لحديث هذه الرحلة التي كم تمنيت أن أطيل مدى أنسي بها، فأستدرك ما فرط مني ولأقيم لائحة بأهم النتائج التي يمكن بيانها بما يأتي :-

✽ إن دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول محمد ﷺ - على وفق المنهج البلاغي والأسلوبي يمكن أن تفتح الباب إلى دراسات جديدة تتناول الرسل والأنبياء الآخرين، منهم على سبيل التمثيل (عيسى، موسى، داود، الخ) والتصدي للآيات القرآنية المتعلقة بكل واحد منهم على حدة بدراسة بلاغية وأسلوبية جديدة .

✽ إن الإيحاء الصوتي المنبعث من النص القرآني كان نتيجة لتواشج الصوت مع المعنى عبر العلاقة بين شكل اللفظة وطبيعة النسق داخل الآية، فالصوت يقوم بنصرة المعنى، وقد ظهر ذلك بوضوح عبر اختيار وانتقاء الألفاظ ذات الجرس الموحى واللجوء إلى أساليب التكرار والجناس فضلاً عن السمات الفنية التي اشتملت عليها الفواصل القرآنية.

✽ ظهر لنا أن نسبة تكرار الأفعال جاءت أكثر منها في الأسماء، وقد كان هذا الشيوع في تكرار الأفعال يدل على التجدد والاستمرار على العكس من الأسماء التي تدل على الثبات، كما إن الأفعال هنا دارت في دلالتها على الطاعة والدعوة إلى سماع الرسول - ﷺ - وهو يرشد العباد إلى الهداية لتدل على التجدد والاستمرار حتى بعد وفاته - ﷺ -، فضلاً عن أن تكرار الفعل الماضي جاء بشكل واسع يتلوه المضارع ثم الأمر .

✽ تضمن التعبير القرآني خروج الخبر والإنشاء عن دلالاته الوضعية إلى غايات أسلوبية ومعان مجازية، ليدفع المتلقي إلى التفكير وإعمال الذهن في الهدف المقصود، فضلاً عن مجيء أسلوب الاستفهام بالنسبة الأكبر مقارنة بالأساليب الأخرى، وذلك لقدرته

على لفت انتباه المتلقي عن طريق السؤال مما يؤدي إلى شد عرى التعبير بأواصر متينة، كما يمكن تعليل هذا الشيوع للاستفهام في الجملة القرآنية بأنه يتطلب الإجابة من المستفهم منه ومن ثم تضمنه وجوب الاستماع إلى الجملة المستفهم عنها. وهو ما أفاده أيضاً شيوع أسلوب النداء في القرآن الكريم وفي آيات الدراسة على وجه الخصوص.

❖ كان مجيء الخطاب القرآني للرسول محمد - ﷺ - في أكثر الأحيان لدلالة التعظيم والتشريف لرسوله الكريم، فضلاً عن تعبير الخطاب بـ (يا أيها) بدلاً من (يا محمد) على العكس مع الأنبياء والرسل الآخرين الذين خاطبهم بأسمائهم فقال يا آدم، يا إبراهيم، يا عيسى الخ فضلاً عن ورود اسم محمد وأحمد في كل موضع بما يتناسب والسياق وطبيعة الحال. كما إن السبب في ذلك لاقتران الشريعة بالنبي وأسمه؛ إذ أن عقيدة النبي الذي بعده تنسخ شريعته فأقترن ذكر الشريعة باسم النبي بخلاف شريعة الرسول محمد - ﷺ - بوصفه خاتم الأنبياء والمرسلين، وإن شريعته نسخت جميع الشرائع السابقة.

❖ اشتمل الخطاب القرآني للرسول محمد - ﷺ - على العدول من الخطاب الخاص إلى الخطاب العام في مواضع كثيرة؛ لئلا يخاطبه وحده ومواجهته بالخطاب مباشرة بل يخاطب الجمع ويكون الرسول - ﷺ - من بينهم لزيادة الترفق به وليدل على رفعة قدره، والأمر تكرر أيضاً في أسلوب الالتفات فتجنب مخاطبته مباشرة كي لا يتوهم من يتوهم أن الملام للرسول الكريم فيعدل بالكلام من ضمير إلى آخر ليتجنب مخاطبته صراحة وهذا فيه علو لمنزلته الشريفة .

❖ كان أسلوب الحذف من الأساليب التي حفل بها النص القرآني الكريم للعلاقة الوثيقة بين التعبير بالبنية السطحية والبنية العميقة وذلك لدلالة الحذف على التعبير الموجز بأقل الألفاظ وليثري التعبير بمعان ودلالات كبيرة، فالإيجاز سمة غلفت التعبير بالحذف لزيادة المعاني واتساعها.

❖ كان للتعريف والتكثير أثر مهم في الآيات التي بحثناها وكانت دلالاته في أكثر الأحيان

للتعظيم والتشريف للرسول ﷺ - فخرج على خلاف مقتضى الظاهر إلى معان مجازية ولیمثل ملامح أسلوبیه ذات تفرد معین .

✽ أكثر النص القرآني من أساليب البيان لينأى بالتعبير عن التقريرية والمباشرة مستغلاً طاقات هذه الأساليب للوصول إلى الإقناع والتأثير في المتلقي فعدل بلفظ عن آخر للتعبير عن معان ودلالات عميقة ، فرسم النص القرآني عبر التصوير بأساليب البيان من تشبيه ومجاز واستعاره وكناية سمة عامة هي العدول بلفظ دون آخر للتعبير عن المعنى المراد بشكل جميل وموح لتشكل لوناً مهماً من ألوان التصوير الفني القرآني .

✽ كانت أساليب البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية تعتمد التصوير بالمحسوس أكثر منه بالمعقول وذلك لكي تقرب هذه الصور في نفوس العرب الذين جبلوا على البساطة في التعبير ومحدودية ألبئنه الصحراوية البسيطة التي يعيشون عليها ، فالتعبير بالمحسوس أبين وأوضح على نفسية العربي وأكثر تفهماً وإدراكاً له من المعقول .

وهكذا رأينا بعد هذه الرحلة العلمية المباركة التي حاولت أن تخطوا بخطى وثيدة لرسم صورة تطبيقية لمنهج بلاغي وأسلوبى ومؤسسة لبعض التصورات والمفاهيم التي سوف لن تكون بلا شك الكلمة الفصل فيما قلناه ونقوله بل تفتح آفاقاً للحوار والمناقشة ومن الله العون والسادد .

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998م.
- 2- ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية، د. محمد رمضان الجربي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية ، ط1 ، 1393 هـ -1984م.
- 3- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، د . عبدالفتاح لاشين، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط1، 1402 هـ -1982م.
- 4- الإتجاه الأسلوبى في النقد الأدبى، د.شفيع السيد /، دار الفكر العربى ، الكويت (د.ط) ، 1986م.
- 5- الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى (849-911هـ) ، تقديم وتعليق د.مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - بيروت، ط4 ، 1420 هـ -2000 م .
- 6- أثر البلاغة في تفسير الكشاف ، د.عمر الملا حويش، مطبعة دار البصري ، بغداد ، (د. ط) ، 1390 هـ -1970م.
- 7- أثر القرآن في تطور النقد العربى الى آخر القرن الرابع الهجرى، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، 1961م.
- 8- إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، العلامة أبي السعود ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د. ط) (د.ت).
- 9- أساليب الاستفهام في القرآن ، عبد العليم فودة ، مؤسسة دار الشعب، القاهرة (د. ط) (د.ت).



- 10- أساليب النفي في العربية دراسة وصفية تاريخية، د.مصطفى النحاس ، (د.ط) 1399هـ-1979م.
- 11- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، د.محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط1 ، 1403هـ-1983م.
- 12- أسرار التكرار في القرآن ، تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، (د.ط) (د.ت).
- 13- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د. عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ط2 ، 1399هـ-1979م.
- 14- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د.مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية ، بيروت، ط1، 1984م.
- 15- أسلوب الدعوة القرآنية ، بلاغة ومنهاجا ، د. عبد الغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط1، 1403هـ-1983م.
- 16- الأسلوب والأسلوبية ، بيجريرو ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي - بيروت - لبنان . (د.ط) (د.ت).
- 17- الأسلوب والأسلوبية ، د.محمد عبد المطلب، الناشر مكتبة الحرية ، جامعة عين شمس ، (د.ط) (د.ت).
- 18- أسلوبية البناء الشعري ، دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي ، أرشد علي محمد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1999م.
- 19- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، د. فتح الله أحمد سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، المطبعة الفنية، (د.ط)1990م.
- 20- الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السني في نقد الأدب ، د. عبد السلام المسدي الدار العربية للكتاب / ليبيا - تونس (د. ط) /1397هـ - 1977م.
- 21- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)1987م.
- 22- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني



- الشنقيطي ، (د.ط) 1400هـ - 1980م.
- 23- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة عابدين ، القاهرة ، ط1 ، 1405هـ - 1984م.
- 24- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، د. محمود السيد حسن مصطفى ، د.حسن عون ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1 ، 1981م.
- 25- الإعجاز الفني في القرآن ، عمر السلامي ، تونس ، (د.ط) 1980م.
- 26- الإعجاز في نظم القرآن ، د.محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1398هـ - 1978م.
- 27- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق ، د. حفني محمد شرف ، اللجنة العامة للقرآن والسنة ، القاهرة ، (د.ط) 1390هـ - 1970م.
- 28- إعجاز القرآن الكريم ، د.فضل حسن عباس ، عمان - الاردن (د.ط) 1412هـ - 1991م.
- 29- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، د.مصطفى صادق الرافعي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط9 ، 1393هـ - 1973م.
- 30- الإعجاز القرآني وجوهه وأسواره ، د.عبد الغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1409هـ - 1989م.
- 31- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، في تفسير القرآن ، ج5 ، تحقيق وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، (د.ط) 1973م.
- 32- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان (د.ط) (د.ت).
- 33- اللغة ، ج ، فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (د.ط) 1950م.
- 34- الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته ، أ.ف تيشترين ، ترجمة د.حياة شرارة ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، (د.ط)



- 1978م.
- 35- الأقصى القريب في علم البيان، الإمام زين الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التنوخي ، طبعت بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، ط1 ، 1327هـ.
- 36- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، للشریف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ط1 ، 1373هـ-1954م.
- 37- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع (مختصر تلخيص المفتاح) ، الخطيب القزويني ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده (د.ط) 1390هـ -1971م.
- 38- الإيمان ، شيخ الإسلام ابن تيمية (728-661هـ) نشر المكتب الاسلامي ، ط2، 1392هـ.
- 39- بحوث في تفسير القرآن ، سورة المدثر، جمال الدين عياد ، دار الحمامي للطباعة (د.ط) 1386هـ -1967م.
- 40- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر (د.ط) (د.ت).
- 41- البديع في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، طبع ونشر دار المعارف القاهرة ، ط1، 1979م.
- 42- بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري (585-654هـ) ، تح حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر بالفعالة ، ط1، 1377هـ -1957م.
- 43- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت-لبنان/(د.ط)1408هـ-1988م.
- 44- البرهان في وجوه البيان ، أبو الحسن اسحاق بن إبراهيم بن الكاتب ، تح ، د. أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي ، مطبعة العاني - بغداد ، ط1، 1387هـ-1967م.



- 45- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت سنة 651هـ ، تح د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط 1 ، 1394هـ - 1974م.
- 46- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى 817هـ ، تح محمد علي النجار ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، (د.ط) 1383هـ.
- 47- البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز قلقيلية ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ط) ، 1407هـ - 1987م .
- 48- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ دراسة تاريخية فنية مقارنة ، د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 49- البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان ، د. محمد رمضان الجربي ، منشورات جامعة ناصر ، الخمس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، ط 1 ، 1997م.
- 50- البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، (د.ط) 1965م.
- 51- البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط 1 ، 1997م.
- 52- بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية ، د. عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (د.ط) (د.ت).
- 53- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، مطبعة دار القرآن ، ميدان الأزهر الشريف (د.ط) (د.ت).
- 54- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد حسين أبو موسى ، القاهرة ، (د.ط) 1976م.
- 55- بلاغة الكلمة والجملة والجمال ، د. منير سلطان ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، (د.ط) 1988م.



- 56- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية للكتاب ، (د.ط) 1984م.
- 57- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، ترجمة وتقديم وتعليق د.محمد العمري منشورات دراسات سال ، الدار البيضاء، ط1، 1989م.
- 58- البناء الصوتي في البيان القرآني ، د. محمد حسن شرشر ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة، ط1، 1408 هـ -1988م.
- 59- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، كامل حسن البصير ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (د.ط) 1407 هـ -1987م.
- 60- البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية ، د. مصطفى السعدني منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 61- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، د. مصطفى السعدني ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 62- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين، ترجمة محمد العربي ومحمد العمري، دار توبقال ، المغرب ، ط1، 1986م.
- 63- بيان إعجاز القرآن ، الخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تح محمد أحمد خلف الله ود.محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر (د.ط) (د.ت).
- 64- البيان في ضوء أساليب القرآن ، د. عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط) 1420 هـ -2000م.
- 65- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ 150-255 هـ ، تح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر، ط5 ، 1405 هـ -1985م.
- 66- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، د.مهدي صالح السامرائي المكتب الإسلامي، دمشق ، ط1، 1397 هـ -1977م.



- 67- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان، ط2 ، 1394هـ-1974م، ج2.
- 68- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (213-276هـ) ، تح : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ط) (د.ت).
- 69- التبيان في أقسام القرآن ، العلامة ابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751هـ، صححه وعلق عليه فضيلة الشيخ طه يوسف شاهين من علماء الأزهر ، دار الكاتب العربي (د.ط) (د.ت).
- 70- التبيان في البيان ، للطبيي شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله المتوفى سنة 743هـ ، تح . د. توفيق الفيل ود.عبد اللطيف لطف الله ، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت ، ط1، 1406هـ -1986م.
- 71- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، لابن الزملكاني ، تح د. أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي ، مطبعة العاني - بغداد ، (د.ط) 1383هـ -1964م.
- 72- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 1985م.
- 73- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية (د.ط) (د.ت).
- 74- التركيب اللغوي للأدب ، بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا ، د. لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية ، ط1، 1970م.
- 75- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، تأليف واجدة مجيد الأطرقي ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية (د.ط) ، 1978م .
- 76- التصوير البياني، د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب ، القاهرة ، (د.ط) 1390هـ -1970م.



- 77- التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة عابدين ، ط2 ، 1400هـ - 1980م .
- 78- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق (د.ط) (د.ت).
- 79- التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة، د. ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ط1، 1387هـ - 1967م.
- 80- التعبير الفني في القرآن الكريم ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1994م.
- 81- التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، (د.ط) 1988م.
- 82- التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم ، د. محمود السيد حسن ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، (د.ط) 2001م.
- 83- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، (د.ط) 1999م.
- 84- التعريفات ، الشريف الجرجاني، مصطفى البابي الحلبي بمصر (د.ط) 1357هـ - 1938م.
- 85- التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) دار المعارف بمصر ، ط4 ، 1969م.
- 86- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إمام المحققين وقُدوة المدققين ، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى 791هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1، 1408هـ - 1988م.
- 87- تفسير التحرير والتنوير، سماحة الاستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس ، (د.ط) 1984م.



- 88- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتصحيح خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1376هـ-1957م.
- 89- التفسير القيم للإمام ابن القيم، تح محمد حامد الفقي، بيروت، (د.ط) 1948م.
- 90- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، (د.ط) 1357هـ-1938م.
- 91- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، أبو حيان (ت 754هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية (د.ط) (د.ت).
- 92- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، القاهرة، ط8، 1346هـ.
- 93- تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان (د.ط) (د.ت).
- 94- تفسير النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان الاندلسي المتوفى سنة 754هـ، تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط1، 1407هـ-1987م.
- 95- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، (د.ط) 1981م.
- 96- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د.فايز عارف القرعان، المركز الجامعي للنشر والدعاية والاعلان وقياس الرأي العام، ط1، 1415هـ -



1994م.

- 97- التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1996م.
- 98- التكرير بين المثير والتأثير ، د. عز الدين علي السيد ، عالم الكتب ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1407هـ-1986م.
- 99- التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1935م.
- 100- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي، مطبعة المعارف ، بغداد ، (د.ط) 1375هـ-1955م.
- 101- تناوب حروف الجر في لغة القرآن ، محمد حسن عواد ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ط1 ، 1402هـ-1982م.
- 102- تنزيه القرآن عن المطاعن ، إملأ قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد المتوفى بالري سنة 415هـ ، طبع بالمطبعة الجمالية بمصر (د. ط) سنة 1329هـ.
- 103- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، سمير إبراهيم وحيد العزاوي ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط1 ، 1421هـ-2000م .
- 104- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لأبي طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ط) (د.ت).
- 105- تيجان البيان في مشكلات القرآن ، محمد أمين خير الله الخطيب العمري، تح حسن مظفر الرزو، مطبعة جامعة الموصل ، ط1، 1985م.
- 106- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تاليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة 310هـ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، (د.ط) ، 1408هـ-1988م.
- 107- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تأليف ضياء الدين،



- ابن الأثير الجزري ، تحقيق وتعليق د.مصطفى جواد ، د. جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د.ط) 1956م-1375هـ .
- 108- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان (د.ط) / 1965م.
- 109- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د.ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، (د.ط) 1980م.
- 110- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنعام، ابن قيم الجوزية ، ت751هـ، مكتبة أنصار السنة المحمدية، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، (د.ط) 1968م.
- 111- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، أحمد ياسوف ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - سورية ، ط1 ، 1415هـ-1994م.
- 112- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د.فاضل صالح السامرائي، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، (د.ط) 1419هـ-1998م.
- 113- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف حسن بن قاسم المرادي المتوفى سنة 749هـ، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، (د.ط) 1396هـ-1976م.
- 114- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تأليف السيد المرحوم احمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط12، 1379هـ - 1960م.
- 115- حلية المحاضرة في صناعة الشعر لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، تحقيق د.جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، (د.ط) 1979م.
- 116- خزانة الأدب وغاية الأرب، للعالم الأديب واللوزعي الأريب الشيخ تقي الدين



- أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت (د.ط) (د.ت).
- 117- الخصائص، ابن جنبي، تح محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة كنوز التراث، بغداد، ط4، 1990م.
- 118- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1400هـ -1980م.
- 119- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (د.ط) 1981م.
- 120- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د. محمد رجب البيومي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، (د.ط) 1391هـ -1971م.
- 121- دراسات قرآنية في جزء عمّ، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط) 1988م.
- 122- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف محمد عبدالخالق عضيمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، مطبعة السعادة (د.ط) (د.ت).
- 123- دراسات لغوية في القرآن، د. أحمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 124- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 1396هـ -1976م.
- 125- درة التنزيل و غرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الاردستاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1393هـ -1973م.
- 126- الدرس الدلالي في خصائص ابن جنبي، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة



- الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 1989م.
- 127- دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، نقله الى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح القرمادي ، الجامعة التونسية، نشریات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، (د.ط) 1966م.
- 128- دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، عابدين ، القاهرة ، ط1 ، 1399هـ -1979م.
- 129- دليل الدراسات الأسلوبية ، د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت ، ط1 ، 1984م.
- 130- الرازي مفسراً ، د. محسن عبد الحميد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، (د.ط) 1394هـ-1974م.
- 131- رسول الله في القرآن الكريم ، حسن كامل الملقطاوي، مطابع دار المعارف بمصر - القاهرة ، (د.ط) 1972م.
- 132- الرسول في القرآن ، د. محمود بن الشريف ، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان ، ط3 ، 1401هـ-1981م.
- 133- روائع الإعجاز في القصص القرآني، د.محمود السيد حسن(د.م)(د.ط)(د.ت).
- 134- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ، 1270هـ ، ادارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (د.ط) (د.ت).
- 135- الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، د.بكري عبد الكريم ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1999م.
- 136- سر الفصاحة ، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة 466هـ ، شرح وتصحيح عبد



- المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده،
(د.ط) 1389هـ-1969م.
- 137- شخصية الرسول الأعظم قرآنيا ، الشيخ جلال الحنفي البغدادي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1418هـ -1997م.
- 138- شروح التلخيص:(مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح لأبي يعقوب المغربي،عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي)مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه -مصر(د.ط)(د.ت).
- 139- الشعرية ، تزفيتان طودوروف ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء،المغرب،ط2، 1990م.
- 140- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس تح د.مصطفى الشويمى ، بيروت ، (د.ط) 1964م.
- 141- صفاء الكلمة ،د.عبد الفتاح لاشين،دار المريخ للنشر،الرياض،(د.ط) (د.ت).
- 142- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط2 ، 1983م.
- 143- الصورة الفنية في المثل القرآني ، د.محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، (د.ط) 1981م.
- 144- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، د.السيد أحمد عبد الغفار ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، (د.ط) 1980م.
- 145- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة - السعودية ، ط1 ، 1412هـ - 1991م.
- 146- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، د.طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 147- العدول عن المطابقة بين أجزاء الجملة ، نجلاء محمد نور عبد الغفور ، دار



- ابن كثير ، دمشق ط1 ، 1418هـ -1998م.
- 148- علم أساليب البيان، د. غازي يموت ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1403هـ -1983م.
- 149- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، د. صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، 1985م.
- 150- علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، (د.ط) 1405هـ -1985م.
- 151- علم البيان ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، د.بدوي طبانة ، المطبعة الفنية الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2 ، 1386هـ-1967م.
- 152- علم البيان، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (د.ط) ، 1970م.
- 153- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار المعارف ، بمصر ، (د.ط) 1962م.
- 154- علم اللغة والدراسات الأدبية دراسة الأسلوب، البلاغة ، علم اللغة النصي ، برنر شبلز ، ترجمه وقدم له وعلق عليه د.محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1987م.
- 155- علم المعاني ، درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة (د.ط) (د.ت).
- 156- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1989م.
- 157- الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمّار - عمان ، ط2 ، 1406هـ -1986م.
- 158- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للقاضي الحافظ



- الضابط المحدث المفسر الشهير محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1 ، ربيع الثاني ، 1351هـ.
- 159- فخر الدين الرازي بلاغياً ، د.ماهر مهدي هلال ، منشورات وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية ، (د.ط) 1397هـ -1977م.
- 160- فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، د.لطفی عبد البديع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، (د.ط) 1976م.
- 161- الفلك الدائر على المثل السائر ، لأبن أبي الحديد ، قدم له وحققه وعلق عليه د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ط1 ، 1959م ، ج4.
- 162- فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، أحمد عبد السيد الصاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية (د.ط) (د.ت).
- 163- فن البلاغة ، د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- 164- فن الشعر ، أرسطو طاليس مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (د.ط) 1953م .
- 165- فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، فتحي عبد القادر فريد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط2، 1404هـ -1984م.
- 166- فنون التصوير البياني ، د. توفيق الفيل، منشورات ذات السلاسل للطباعة



- والنشر والتوزيع ، الكويت ، ط1 ، 1407 هـ - 1987 م .
- 167- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين بن القيم الجوزية المتوفى 751 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط) (د.ت).
- 168- في بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة عبداللطيف، دار القلم، الكويت، ط1، 1402 هـ - 1982 م.
- 169- في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية) ، د. سعد أبو الرضا، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط) 1988 م.
- 170- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط7 ، 1391 هـ - 1971 م.
- 171- في المجالات الدلالية في القرآن الكريم ، صيغة افتعل ، د. زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية إسكندرية ، ط1، 1989 م.
- 172- في النص الأدبي ، دراسة أسلوبية احصائية، د. سعد مصلوح ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم ، القاهرة، ط1، 1414 هـ - 1993 م.
- 173- قاموس قرآني معجم دقيق للألفاظ، تفسير سديد للآيات، عرض شيق للصور البيانية، وضع في مجموعات متجانسة لتفسير مأخذ القرآن وتفسير بعضه ببعض، جمع وتأليف حسن محمد موسى ، مطبعة خليل ابراهيم بالإسكندرية، (د.ط) 1386 هـ - 1966 م.
- 174- القرآن إعجازه وبلاغته ، د. عبد القادر حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، (د.ط) 1975 م.
- 175- القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، عالم الكتب ، بيروت، ط2، 1405 هـ - 1985 م.



- 176- قواعد تحويلية للغة العربية، محمد علي الخولي، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية ، ط1، 1402هـ-1981م.
- 177- قواعد الشعر ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (291-200هـ) تحقيق وتقديم وتعليق د. رمضان عبد التواب ، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1966م.
- 178- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة(د.ط) (د.ت).
- 179- الكتاب، كتاب سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1408، 3هـ-1988م.
- 180- كتاب أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تح ، هـ. ريتز ، مطبعة وزارة المعارف، إستانبول ، أعادت طبعه مكتبة المثنى - بغداد، ط2، 1979م.
- 181- كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، تأليف الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، الناشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد سلطان النمكاني المدني، مطابع دار الفكر بدمشق (د.ط) (د.ت).
- 182- كتاب البديع لعبد الله بن المعتز ، تح اغناطيوس كراتشوفسكي ، منشورات دار الحكمة حلبوني ، دمشق (د.ط) (د.ت).
- 183- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي (741هـ-792هـ) ، دار الفكر (د.ط) (د.ت).



- 184- كتاب الحيوان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1، 1362هـ-1943م.
- 185- كتاب دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- 186- كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي نشره وحققه د.شوقي ضيف ، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ط1 ، 1366هـ-1947م.
- 187- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح . علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر (د.ط) (د.ت).
- 188- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي مصر ، (د.ط) 1914م.
- 189- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (د.ط) (د.ت).
- 190- الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن علي الأمين أحمد،المكتبة الفيصلية،مكة المكرمة،(د.ط) 1405هـ-1985م.
- 191- الكنايات القرآنية ، يونس الشيخ إبراهيم السامرائي ، مطبعة الأمة ، بغداد ، (د.ط) 1395هـ-1975م.
- 192- كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة ، ط1، 1419هـ-1999م.
- 193- لغة المنافقين في القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت -



- لبنان ، ط1 ، 1405هـ-1985م.
- 194- لمحات بلاغية في معاني القرآن للأخفش الأوسط المتوفى سنة 215هـ ،
د.فتحي عبد القادر فريد، توزيع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
ط1، 1403هـ -1983م.
- 195- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د.فاضل صالح السامرائي، دار
الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1، 1999م.
- 196- مباحث في إعجاز القرآن، أحمد جمال العمري، مكتبة الشباب (د.ط) (د.ت).
- 197- مباحث في علوم القرآن الكريم ، د.صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ،
بيروت، ط10 ، 1977م.
- 198- المبالغة في البلاغة العربية تأريخها وصورها ، عالي سرحان القرشي ،
مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط1 ، 1406هـ -1985م.
- 199- متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المتوفى سنة 415هـ
، تح د. عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- 200- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تح ، د.أحمد
الحوفي ود. بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة
، القاهرة ، ط1، 1959 -1962م.
- 201- المجاز في البلاغة العربية، د. مهدي صالح السامرائي ، دار الدعوة ، حماة
-سوريا ، ط1 ، 1974م.
- 202- المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه، عرض وتحليل ونقد
، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مطبعة حسان ، القاهرة (د.ط)
(د.ت).
- 203- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تح . د. محمد فؤاد سزكين مؤسسة الرسالة -
بيروت ، ط2 ، 1401هـ-1981م.
- 204- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي،



دار الفكر ، ودار الكتاب اللبناني - بيروت ، (د.ط) 1376هـ -
1957م.

205- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب الفقير الى الله عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد وفقهما الله ، مطابع الرياض، ط1، 1381هـ .

206- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف ، د.عبد الحليم النجار، د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار سزكين للطباعة والنشر، ط2،
1406هـ -1986م.

207- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د.رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1402هـ -1982م.

208- المدهش في علوم القرآن ، والحديث واللغة، وعيون التأريخ والوعظ ، تأليف الإمام شيخ الإسلام جمال الدين الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي البغدادي، طبع على نفقة نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد ، مطبعة الآداب ، بغداد ، ط1 ، 1348هـ.

209- المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية) د. حامد صادق قنيبي ، مكتبة المنار - الزرقاء ، الاردن ، ط1، 1984م.

210- مع بلاغة القرآن (تفسير بياني لسورتي الأنفال والفرقان) ، د. عبد الحميد محمد العبيسي ، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط1، 1394هـ -1974م.

211- معاني الأبنية في العربية، د.فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت - الكويت ، ط1، 1401هـ -1981م.



- 212- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي أحمد عامر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، (د.ط) 1976م.
- 213- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، 1978م.
- 214- معاني القرآن صنفه الأخفش الأوسط (الإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المتوفى سنة 215هـ) ، تح د. فائز فارس ، المطبعة العصرية ، الكويت ، ط2 ، 1401هـ - 1981م.
- 215- معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة 207هـ ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1403هـ - 1983م.
- 216- معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، تح د. عبد الجليل عبده شلبي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، (د.ط) 1394هـ - 1974م.
- 217- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط1 ، 1420هـ - 2000م.
- 218- معايير تحليل الأسلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة د. حميد الحمداني ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، (د.ط) 1993م.
- 219- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ، ضبطه وصححه وكتبه فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1408هـ - 1988م.
- 220- معجزة القرآن ، محمد متولي الشعراوي ، المكتبة الشرقية ، طبع الدار العربية ، بغداد (د.ط) (د.ت).
- 221- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، (د.ط) ، الجزء الأول ، 1983 ، الجزء الثاني ، 1986 ، الجزء الثالث ، 1987 .
- 222- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (000 -



- 395هـ) تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) 1399 هـ -1979م.
- 223- مفتاح العلوم ، للإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفى سنة 626هـ ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ط2 ، 1407 هـ -1987م.
- 224- المفردات في غريب القرآن ، الحسن محمد بن المفضل الملقب بالراغب الأصفهاني أعده للنشر وأشرف على الطبع د. محمد أحمد خلف الله ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية (د.ط) (د.ت).
- 225- المفعول به وأحكامه عند النحويين وشواهد في القرآن الكريم، د. شرف الدين علي الراجحي ، دار المعرفة الجامعية، (د.ط) 1989م .
- 226- مقدمة في المنهج ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) معهد البحوث والدراسات العربية ، (د.ط) 1391 هـ-1971م.
- 227- ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، للإمام الحافظ العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح ، دار الغروب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط1، 1403 هـ -1983م.
- 228- مناهج البحث البلاغي في الدراسات العربية، د. عبد السلام عبد الحفيظ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1، 1978م.
- 229- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1974م.
- 230- مناهج وآراء في لغة القرآن ، د. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن (د.ط) ، 1984م.
- 231- من أخلاق القرآن وبلاغته في سورة النور، د.فتحي فريد ، مكتبة النهضة



- المصرية، القاهرة ، ط1 ، 1405 هـ -1985م.
- 232- من أساليب البيان في القرآن الكريم، محمد علي أبو حمدة، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ، ط1، 1398 هـ -1978م.
- 233- من أسرار البلاغة في القرآن ، د. محمود السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ط1، 1404 هـ -1984م.
- 234- من أسرار العربية في البيان القرآني ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) دار الأحد (البحيري اخوان) بيروت ، (د.ط) 1972م.
- 235- من بديع لغة التنزيل ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان عمان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط1، 1404 هـ -1984م.
- 236- من بلاغة القرآن ، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، ط3 ، 1950م.
- 237- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.عبدالعزیز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405 هـ -1984م.
- 238- من حديث الشعر والنثر، د.طه حسين ، دار المعارف بمصر، (د.ط) 1961م.
- 239- من وحي القرآن ، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط1، 1401 هـ -1981م.
- 240- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق محمد بن الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ، (د.ط) 1966م.
- 241- منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم ، صبري المتولي ، عالم الكتب ، القاهرة ، (د.ط) 1401 هـ -1981م.
- 242- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف القاهرة ، ط3، (د.ت).
- 243- الموسوعة القرآنية الميسرة ، تصنيف إبراهيم الأبياري ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، (د.ط) 1974م.



- 244- نحو منهج جديد في البلاغة والنقد دراسة وتطبيق، د. سناء حميد البياتي، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي، ط1، 1998م.
- 245- النحو الوصفي من خلال القرآن ، د. محمد صلاح الدين مصطفى بكر ، مؤسسة الصباح ، الكويت (د.ط) (د.ت).
- 246- النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط1، 1418هـ -1997م.
- 247- نظرية الأدب ، رينيه ويلك وأوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د. حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (د.ط) (د.ت) .
- 248- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي بمصر، مطابع الدجوي ، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- 249- نظرية المعنى في النقد العربي، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، 1401هـ -1981م.
- 250- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى سنة 885هـ -1480م) توزيع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط1، 1389هـ -1969م.
- 251- نظم القرآن والكتاب ، الكتاب الأول : إعجاز القرآن ، الأستاذ الحداد (د.م) (د.ط) (د.ت).
- 252- النظم القرآني في كشاف الزمخشري، د. درويش الجندي ، دار نهضة مصر للطبع ، 1969م.
- 253- النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تح محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، (د.ط) (د.ت).
- 254- النكت والعيون تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي



البصري ، 364-450هـ، حققه خضر محمد خضر ، راجعه د. عبد الستار أبو غدة ، طباعة مطابع مقهوي ، الكويت ، ط1 ، 1402هـ -1982م.

255- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن (د.ط) ، 1985م.

256- الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د.ط) (د.ت).

ثانيا: الأطاريح والرسائل الجامعية

أ- أطاريح الدكتوراه :

- 1- الآيات القرآنية المتعلقة بشخصية الرسول -ﷺ- ، أحمد محمد السروان ، (أطروحة دكتوراه) كلية العلوم الإسلامية-جامعة بغداد، 1998م.
- 2- أساليب المجاز في القرآن الكريم ، أحمد حمد محسن الجبوري (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1410هـ -1989م.
- 3- الاستعارة في التراث البلاغي النقدي عند العرب ، فاضل عبود خميس التميمي (أطروحة دكتوراه) كلية التربية - الجامعة المستنصرية، 1995م.
- 4- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، محمد كريم الكواز (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1410هـ -1990م.
- 5- الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، عواطف



- كنوش مصطفى (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة البصرة ،
1416هـ-1995م.
- 6- بنية العدول البلاغية في القرآن الكريم، فاطمة حيدر علي ، (أطروحة دكتوراه)
كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1420هـ -2000م.
- 7- التصوير الفني في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية في جهود الباحثين ، جبير
صالح حمادي (أطروحة دكتوراه) كلية التربية - ابن رشد جامعة
بغداد ، 1999م.
- 8- التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة لغوية وصفية تحليلية، عز الدين
محمد أمين سليمان (أطروحة دكتوراه) كلية التربية للبنات - جامعة
بغداد ، 1997م.
- 9- التنوع في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية أزهار علي ياسين الغالبي (أطروحة
دكتوراه) كلية الآداب- جامعة البصرة ، 1420هـ -1999م.
- 10- التوازي في القرآن الكريم ، وداد مكاوي حمود الشمري (أطروحة دكتوراه) كلية
التربية للبنات - جامعة بغداد 2001م.
- 11- دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني ، عامر عبد محسن السعد ،
(أطروحة دكتوراه) كلية الآداب- جامعة البصرة ، 1995م.
- 12- دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم ، شكر محمود عبد الله (أطروحة
دكتوراه) كلية التربية للبنات -جامعة بغداد 1420هـ -1999م.
- 13- السور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية، عهود عبد الواحد عبد الصاحب
العكيلي، (أطروحة دكتوراه) كلية التربية -ابن رشد- جامعة بغداد
، 1418هـ -1997م.
- 14- ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة، عبد العزيز عبد الله
محمد (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب-جامعة الموصل، 1999م.
- 15- الكناية في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب



- جامعة الموصل ، 1415 هـ - 1995 م.
- 16- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، عبد المجيد ياسين الحميدي (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1419 هـ - 1998 م.
- 17- المجازات القرآنية ومناهج بحثها دراسة بلاغية نقدية ، كامل حسن عزيز البصير ، (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة القاهرة 1395 هـ - 1975 م.
- 18- مستويات النظم في التركيب القرآني ، عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة البصرة 1419 هـ - 1998 م.
- 19- المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر ، حامد مزعل حميد الراوي (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1417 هـ - 1996 م.
- 20- المنظور البلاغي في تفسير التحرير والتتوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت (1973 م) ، عبده محمد صالح الحكيمي (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب - جامعة بغداد ، 2000 م.
- ب- رسائل الماجستير :
- 1- الاستعارة في القرآن الكريم ، أحمد فتحي رمضان (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة الموصل ، 1408 هـ - 1988 م.
- 2- أسلوب الخبر في القرآن الكريم دراسة بلاغية ونقدية ، أحلام موسى حيدر (رسالة ماجستير) كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 1986 م.
- 3- الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية، عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري (رسالة ماجستير) كلية الآداب -



- جامعة البصرة 1416 هـ - 1995 م.
- 4- البنى الأسلوبية في تفسير قصار السور من خلال جهود المحدثين ، عامر مهدي صالح العلواني (رسالة ماجستير) كلية التربية - جامعة الأنبار ، 1999 م.
- 5- التشكيل الصوتي وأثره في دلالة سورة آل عمران ، جاسم غالي رومي المالكي (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة البصرة ، 1419 هـ - 1998 م.
- 6- التضمن في ضوء الدراسة النحوية ، محمد محمد أحمد عبد الرحمن (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة الكويت ، 1397 هـ - 1977 م.
- 7- الجنس في القرآن الكريم ، أسماء سعود الخطاب (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة الموصل ، 1998 م.
- 8- الخطاب القرآني الموجه الى الرسول ﷺ ، شهيد راضي حسين (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة البصرة ، 1422 هـ - 2001 م.
- 9- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم ، كريم مزعل محمد اللامي (رسالة ماجستير) كلية التربية - الجامعة المستنصرية 1417 هـ - 1997 م.
- 10- دلالة العموم والخصوص في النص القرآني ، دراسة لغوية ، حسين علي عبد شبع (رسالة ماجستير) كلية القائد للتربية للبنات - جامعة الكوفة ، 1417 هـ - 1997 م.
- 11- الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية (رواد الشعر العراقي الحديث) ، عامر عبد محسن السعد (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة البصرة 1412 هـ - 1991 م.
- 12- علل التعبير القرآني في تفسير الكشف للزمخشري المتوفى 538 هـ ، أسعد عبد العليم عبد الرحمن السعدي (رسالة ماجستير) كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد ، 1420 هـ - 1999 م.



- 13- فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي سليمان (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة الموصل 1408 هـ - 1988م.
- 14- فواتح السور القرآنية دراسة بلاغية ، طالب عويد نايف الشمري (رسالة ماجستير) كلية الآداب - الجامعة المستنصرية 1999م.
- 15- المجاز العقلي في القرآن الكريم علاقاته ودلالاته ، أحمد محمد علي (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب - جامعة الموصل ، 1998م.
- 16- المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، عقيد خالد حمودي محي العزاوي (رسالة ماجستير) كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، 1420 هـ - 1999م.

ثالثا: البحوث والمجلات :

- 1- الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) ، فايز القرعان ، مجلة أبحاث اليرموك ، جامعة اليرموك ، اربد - الاردن ، مج 12 ، ع1 ، 1414 هـ - 1994م.
- 2- أساليب النداء في القرآن الكريم ، كاظم فتحي ، مجلة آداب المستنصرية ، ع 2 ، السنة الثانية ، 1397 هـ - 1977م.
- 3- الالتفات في القرآن ، الشاذلي الهشيري ، حوليات الجامعة التونسية، ع 32 لسنة 1991م ، تونس.
- 4- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، د.كاسد ياسر حسين ، مجلة آداب الرافدين ، ع9 ، 1978م.
- 5- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، د. نعمة رحيم العزاوي، بحث ضمن كتاب المورد (دراسات في اللغة) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1986م.
- 6- الصورة الفنية، نورمان فريدمان، ترجمة د. جابر عصفور ، مجلة الأديب



- المعاصر، بغداد ، ع16 ، 1976م.
- 7- فن الالتفات في مباحث البلاغيين ، جليل رشيد فالح ، مجلة آداب المستنصرية ، ع9 ، 1404هـ -1984م.
- 8- في الاستعارة، أ. ريتشاردز ، ترجمة د. ناصر حلاوي ، مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة، ع9 ، السنة الرابعة 1394هـ -1974م.
- 9- اللف والنشر في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) ، فايز القرعان، مجلة أبحاث اليرموك ، جامعة اليرموك، اربد - الاردن ، مج13 ، ع1 ، 1415هـ -1995م.
- 10- معاتبة النبي في القرآن والأدب نثراً وشعراً، د. علي كمال الدين الفهادي ، مجلة آداب الرافدين ، ع27، نيسان 1995م.
- 11- المعاني المجازية التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، د.قيس إسماعيل الأوسي ، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج4 ، ج3-4، 1410هـ -1989م.
- 12- معاني المضارع في القرآن الكريم، للأستاذ حامد عبد القادر عضو المجمع المصري، ج13، مطبعة الكيلاني الصيفي ، 1961م.
- 13- من أسرار البيان القرآني ، د . حسام سعيد النعيمي ، بحث ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ، 1410هـ -1990م.
- 14- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، محمد السيد سليمان العبد ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع36، مج9، 1986م.
- 15- النظم القرآني في تفسير القرطبي (دراسة أسلوبية) ، د. السيد عبد السميع حسونة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي ، ع21، 1422هـ -2001م.
- 16- وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ، د. عصام قصبجي ود.أحمد



المصادر والمراجع

محمد ويس، مجلة بحوث جامعة حلب ، ع 28 لسنة 1995م.

**The Koranic Verses Concerning the
Prophet Muhammad
((God's blessing and peace be upon him))
A Rhetorical and Stylistic study .**

**A Dissertation
*Submitted By***

ADNAN JASIM MUHAMMAD AL-JUMAILI

**To The Council of the College of Educational
(Ibn Rushd) / University of Baghdad in
Partial Fulfillment Of The Requirements of
the Degree of Phd in Arabic Literature**

Supervised By

**Dr. ALI ABDUL RAZZAK HMOOD
AL-SAMARRAI**

BAGHDAD

2003 A. D

1424 H

Abstract

The Holy Koran was, and is still, a pure resource from which researchers can tackle it to reveal its neat structure and eloquence.

Surely, contributing in such sacred field can give researchers a great honour and responsibility.

For such reason, the present researcher has chosen a subject, concerning such a field, entitled:

“The Koran verses relating to the Prophet Mohammed: A stylistic and eloquent study”.

The prophet Mohammed had owned a personality is situated at the top of the human modernization circle. This is why many scholars and researchers, from different civilizations, have devoted their efforts to study and analyze deeply such great personality. Those scholars and researchers were Muslims, westerners or orientalist.

This eternal personality had affected human beings as all. Thus, some had studied his message to the human beings as all.

Accordingly, as the present researcher believes, there is no doubt that the Verses of Koran relating to the Prophet Mohammed have been tackled by other university studies, which seem like the title of the present study, but radically different in their methodology conducted in the present study. Also, those studies have tackled both the descriptive and subjective aspects of the verses without showing the eloquent and stylistic features of such verses.

The stylistic approach or methodology depends on the literary criticism by analyzing the aesthetic features of the literary text, using a scientific objective method without giving judgment randomly.

The aim of the stylistic text is to stop at stimuli of the literary text by recognizing the aesthetic values found in it.

This can be done by studying the artistic aspect of the style by clarifying such features from inside the text because creativity cannot be subjected to any external law. Therefore, stylistics, as a critical approach, is considered one of the most successful approaches, which is capable of studying the style used by the speaker or researcher by studying certain elements resorted by the speaker or researcher proposing on the receiver the way he thinks. On this principle, the style is proper choice of the expression tools the distinguish one style from other ones.

This is done by studying the linguistic expression and analyzing its elements and tools using the way of exploring sources of the effect, uniqueness and beauty.

Also, the style gives the receiver or reader the ability to comprehend and



taste characteristics of the literary effect, abstracting in the same time from the subjective descriptive judgments. Hence, the present researcher has tried to adopt such an approach in studying these verses, showing cleary features of the artistic uniqueness, which are included in the Koran text without giving specific judgments.

The present study contains of three chapters, preceding by an introduction, and ending with a conclusion.

The first chapter is concerned with phonetic level. This chapter has four researching sections. The first section is concerned with utterances and the phonetic and patterns of represented by rhyming, ringing and rhythm.

The second researching section is concerned with repetition, while the third one is concerned with . The last fourth one is concerned with intervals in Koran.

The second chapter (the structural level) is built around three researching sections, the first is concerned with the predicative and paragraph writing styles, stopping at the more salient of such styles. The second section vocabulary and sentence in the Koran, surveying letters and tools up to the structure of the noun and verb phrases. The third section is concerned with the systems of the discourse of the prophet Mohammed in the Koran, and also the structure of the surface structure and deep structure of the sentence, deviation and surveying the styles used in deviation as pronoun switching, inversion, omission, separation, connection, definition and indefiniteness. The third chapter is concerned mainly with the semantic level.

This chapter contains of three researching sections. The first one is concerned with the sentence structure and the context, surveying the styles of the general and specific names. The second section is concerned with the image (picture) and its most salient features in the Koran texts. The third one is concerned with the “travelling stick” at the picturing sign in the forms of statement such as simile, synchdochi, metaphor, metonymy.

Then, results obtained by the present study are introduced which are various opinions that may open wide new scopes to embrace new visions and ideas.

Adnan Jassim Mohammed Al-Jumaily
17-5-2003

